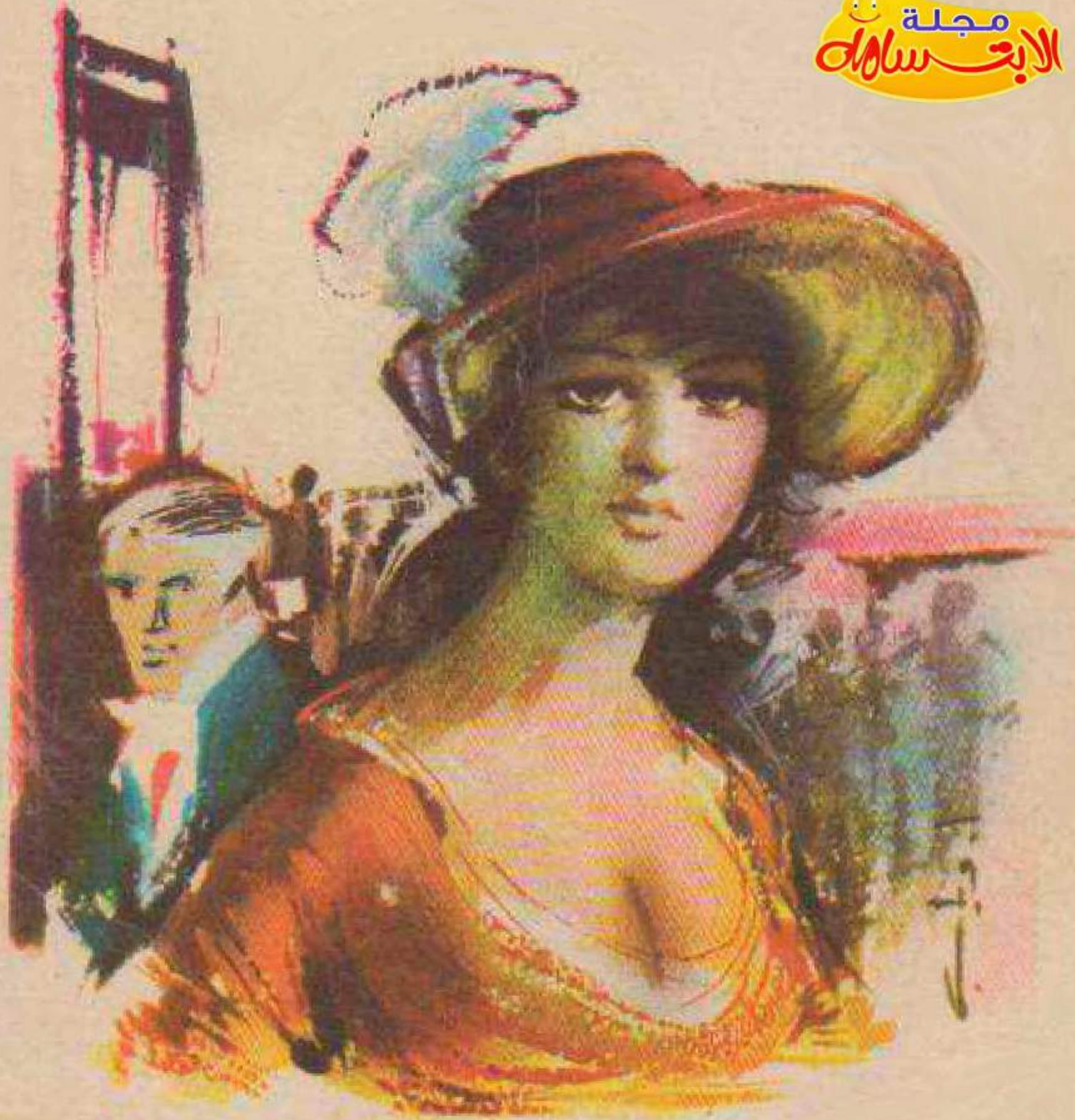
سآخذ بثأري

تأليف : البارونة أوركزى
ترجمة : غبريال وهبه



الثمن ١٥ قرش

سلسلة

روايات عالمية

تصدر عن :

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

روايات عالمية



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

الغلاف : اسماعيل دياب

روايات عالمية

العدد ٤٩٢ — من الأدب الانجليزى

سآخذ بثأرى

تأليف البارونة أوركزى

ترجمة غبريال وهبه

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

نقلت إلى العربية كاملة عن
روايـــــة

I Will Repay.

By :

Barcness Orczy.

مقدمة

بقلم المترجم

من العجيب أن تكون واحدة من ألمع الروائيات التى تتمتع بشعبية واسعة ، وتكتب باللغة الانجليزية ، من بنات المجر .. فقد ولدت اموسكا أوركزى الروائية الرومانتيكية المجرية الانجليزية ، فى تارنا أورس بالمجر عام ١٨٦٥ .. وكانت الابنة الوحيدة للبارون فليكس اوركزى ، الملحن والمؤلف الموسيقى . ومن الغريب أنها بالرغم من كونها لم تنطق كلمة واحدة باللغة الانجليزية حتى سن الخامسة عشرة من عمرها ، فان جميع كتاباتها كانت بتلك اللغة . لقد درست فى بدء حياتها فى بروكسل وباريس ثم التحقت بمدرسة الفنون والآداب فى هيزرلى بلندن حيث قابلت الطالب الشاب مونتاجو بارستو ابن أحد رجال الدين الانجليز الذى تزوجته . (وقد رزقت بابن وحيد هو جون مونتاجو أوركزى بارستو الذى ولد عام ١٨٩٩ وأصبح أستاذا للغة الانجليزية فى لوزان وكان يكتب تحت اسم : جون بلاكنى .. ومن الواضح لجميع قارئى روايات والدته أنه اسم مقتبس من كتاباتها) . وقد عرضت بعض رسومها الملونة فى معارض الأكاديمية الملكية ولاقت نجاحا متواضعا كرسامة وحدها ومع زوجها الذى

أصبح فنانا معروفا • وقد بدأت الكتابة مؤخرا فى عام ١٨٩٠ وكانت معظمها فى أول الأمر عبارة عن قصص قصيرة للمجلات الشعبية • وظهر لها فى عام ١٨٩٩ « شمعدانات الامبراطور » • وفى عام ١٩٠٥ ظهرت رواية « زهرة كزبرة الثعلب القرمزية» وهى قصة تحوى مغامرات رومانتيكية وقعت حوادثها فى ابان الثورة الفرنسية وفيها قدمت شخصيتها الشهيرة السير برسى بلاكنى الذى امتاز بجسارته واقدامه •• الا أن هذه القصة لم يكتب لها النجاح حتى تحولت الى مسرحية بالاشتراك مع زوجها • وظلت هذه الرواية تمثل على مسارح لندن مدة أربع سنين متوالية فذاع صيتها ككاتبة شعبية •

وقد تلت القصة والمسرحية قصص اخرى كان زهـــرة كزبرة الثعلب القرمزية يلعب فيها دورا رئيسيا •• فمثـــلا فى قصة « زهرة كزبرة الثعلب المراوغ » التى ظهرت عـــام ١٩٠٨ . نجدها قد جعلت السير برسى بلاكنى يتبادل النكات وســـيفه ملتحم مع خصومه الأشرار فى أثنـــاء الثـــورة الفرنسية •

وقد لاقت هذه القصص نجاحا بين دفتى الكتب وفوق خشبة المسرح وشاشة السينما • وفى عام ١٩٣٠ أظهر لهـــا مواطنها الكسندر كوردا فيلما ناطقا حيث قام الممثل الشهير لسلى هوارد بدور زهـــرة كزبرة الثعلب القـــرمزية ورايموند ماسى بدور الخصم الشرير •

وفى عام ١٩٠٨ ايضا ظهرت رواية « الحرير الموشى » •

ولقد لفتت رواية « العجوز المنزوى » التى ظهرت عام ١٩٠٩ نظر مؤرخى الروايات البوليسية ٠- وقد كانت هذه الشخصية من اقدم الشخصيات الخيالية التى تعقبت الجريمة٠

وتوالى ظهور الروايات والقصص بعد ذلك مرتبة بحسب ظهورها :

« حكم النساء »	١٩١٠
« الفارس الضاحك »	١٩١٤
« الوجه الجلدى »	١٩١٦
« عصبة زهرة كزبرة الثعلب القرمزية »	١٩١٩
« السير برسى الأول »	١٩٢٠
« انتصار زهرة كزبرة الثعلب القرمزية »	١٩٢٢
« نيكوليت »	١٩٢٣
« زهرة كزبرة الثعلب القرمزية وروزمارى »	١٩٢٤
« العقد المحلولة »	١٩٢٥
« المدينة السماوية »	١٩٢٦
« السير برسى يرد الاهانة »	١٩٢٧
« العيون الزرقاء والرمادية »	١٩٢٨
« نجوت باعجوبة »	١٩٢٨
« مغامرات زهرة كزبرة الثعلب القرمزية »	١٩٢٩
« ابن الثورة »	١٩٣٢

« طريق زهرة كزبرة الثعلب القرمزية » ١٩٣٣

« زهرة كزبرة الثعلب القرمزية حول العالم » ١٩٣٤

« الملك غير المتوج » ١٩٣٥

« الدوقة المتمردة » ١٩٣٥

« حماقة السماء » ١٩٣٧

« لا حب أعظم من ذلك » ١٩٣٨

« ساخذ بثاري » ١٩٣٨

« الآنسة مفصلة » ١٩٤٠

« الزائغ » ١٩٤٧

ولم يوقفها عن الكتابة بعد هذه الحياة الحافلة سوى القضاء الذى حم فى ١٢ نوفمبر من عام ١٩٤٧ فطوى هذه العبقرية الخالدة .. التى أثرت نقم الحياة الأدبية بعبيرها الجميل ..

مارس سنة ١٩٦٨

غبريال وهبه

شخصيات الرّواية

Paul Deroulède	بول ديروليد
Adèle de Montchéri	آديل دى مونشيرى
Vicomte de Marny	الفيكونت دى مارنى
Marquis de Villefranche	المركيز دى فيلفرانش
M. de Quettare	مسيو دى كيتار
Samson	سامسون
Duc de Marny	الدوق دى مارنى
Juliette	جوليت
Matthieu	ماتيو
Pétronelle	بترونيل
Pierre	بيير
Mara	مارا
Anne Mie	آن مى
Madame Déroulède	مدام ديروليد
Marie Antoinette	مارى انطوانيت

Scarlet Pimpernel	زهرة كزبرة الثعلب القرمزية
Margot	مارجو
Charlotte Corday	شارلوت كورداي
Foucquier-Tinville	فوكيه تنفيل
Robespierre	روبسبير
Danton	دانتون
Merlin	مرلين
Sir Percy Blakeney	سير برسي بلاكني
Brogard	بروجار
Lenoir	لنوار
Lord Hastings	اللورد هستنجس
Lord Antony Dewhurst	اللورد انتوني ديوهرست
Sir Andrew Ffoulkes	سير أندرو فولكس
Santerre	سانتير
Lebrun	لبرون

تمهيد

(١)

باريس : ١٧٨٣

ـ يالك من وغد .. نذل .. جبان !

انثالت الكلمات فى ثورة عارمة من فم الفتى الشاب وهو ينتفض فى غضب منكر عنيف .. وها هو ذا يثب الى قدميه وقد أطاح الحنق والغيظ بصوابه .. فاذا به يتعثر ويفقد توازنه فأسرع يتكىء على المنضدة بيده تفاديا من السقوط .. وفى عينيه دموع مكتومة مما يقاسيه من خزى .. تريد أن تسقط وهو يغالبها جهده ويكافحها لابقائها معلقة بين جفونه .

ثم حاول أن يصيح مرددا الاهانة والسباب حتى يسمعها الجميع ..

ـ أيها الجبان !

ولكن حلقه الجاف أبى أن يسعفه .. فراحت يداه المرتعشتان تتحسسان أوراق اللعب المبعثرة فوق المنضدة ،

فأسرع يجمعها فى عصبية واهتياج ٠٠ ثم ألقى بها فى وجه الرجل الذى كان يقف قبالته وهو ما زال يغمغم قائلا :

ـ جبان !

حاول الشيوخ الذين عركتهم السنون تهدئته ٠٠ فى حين اكتفى الشبان بالابتسام فى غير مبالاة ٠٠ وهم يتوقعون مبارزة وشيكة الوقوع ٠٠ فهى النهاية المحتومة لمثل هـــذا الشجار ٠

سبق السيف العذل ولم يعد فى الامكان حســم الأمر سلميا ٠٠ وما كان أحرى ديروليد الا يتعرض فى حديثه لما يمس آديل دى مونشيرى فى الوقت الذى راحت فيه باريس وفرساى لعدة شهور مضت ولا حديث لهـــا الا عن اعجاب الفيكونت الشـــاب دى مارلى وافتتانه بهـــذا الجمال الملطخ بالوحل ٠٠ كانت آديل حبه الأول ٠٠ فاتنة حســناء تطوى ضلوعها على الجشع والانانية ، وكان آل مارلى من ذوى الثراء الفاحش ٠٠ وكان الفيكونت فى شرخ الصبا غض الشباب ٠٠ فاعمل الصــقر ذى الألوان البراقة الزاهية منقاره فى ريش فريسته الأخيرة ٠٠ الحمامة الصغيرة الثرية ٠٠٠ وانهمك فى نتفه واصبح هذا شغله الشاغل ٠ ولكن آديل كانت بالنسبة له تجمع بين جنبيها فضائل الدنيـــا ٠٠ وكان على اســـتعداد ليحارب أرستوقراطيى فرنســا أجمعين دفاعا عن ســمعة تلك التى كانت أشد نساء هذا العصر فسقا وفجورا ٠ لقـــد كان بجانب هذا من أمهر رجال السيف مما حدا بأصدقائه الى تجنب الاشارة من قريب أو بعيد الى آديل دى مونشيرى ٠

بيد أن ديروليد كان قليل التبصر .. لم يتأقلم بعد طبقا لعادات ذلك المجتمع الخاص بعلية القوم الذى لم يزل يعد دخيلا عليه . ولولا ثروته الطائلة لما ولجت قدماه داخل دائرة ارستوقراطيى فرنسا . لم يكن أحد يعرف عن عائلته أو مصدر ثروته ما يشفي غليلا .. اللهم سوى أن أباه ولد وسط أسرة من الطبقة المتوسطة .. فاذا الحال غير الحال .. واذا به يمسى ما بين يوم وليلة صديقا للملك الراحل لويس ، وانطلقت الشائعات تترى أن ذهب ديروليد قد عمر خزائن جلالته الخاوية أكثر من مرة .

لم يسع ديروليد الى العراك الحالى الذى انساق اليه دون أن يدرى .. فلم يك يعلم شيئا عن مسائل الفيكونت الشخصية أو عن تدلهه فى حب آديل .. غير أن معلوماته عن العالم وعن باريس كانت كافية لتمكنه من التعرف على سمعة السيدات . كان يكره التحدث عن النساء ولم تكن له معهن علاقات ، ولكن المناقشة فى تلك اللحظة دارت فى هذا الاتجاه .. وعندما جاء ذكر اسم آديل هز ديروليد كتفيه فأثار ذلك غضبا شديدا فى صدر الفيكونت .. وما هى الا بضع كلمات بلا روية .. واذا بالرجل الأكبر سنا يفاجىء بالشتائم والفاظ السباب تنهال عليه .. وبأوراق اللعب تقذف فى وجهه .

لم يتحرك ديروليد من مقعده ، وظل جالسا رابط الجاش وهو يضع ساقا فوق ساق .. ولولا بعض الظلال الشاحبة التى بدت على وجهه المائل الى السمرة لما خيل لأحد

أن الاهانات قد صكت مسامعه أو أن أوراق اللعب قد أصابت وجنته .

لقد تنبه الى خطئه بعد فوات الأوان بعشرين ثانية .. فشعر الآن بالأسف من أجل الفتى ، وغضب من نفسه ... ولكن هيهات أن ينسحب الآن بعد أن وقعت الفاس في الراس. كان في هذه اللحظة على استعداد لأن يضحى بنصف ثروته ليتجنب العراك ، ولكنه لم يكن ليفرط في ذرة واحدة من كرامته .

وعندما أوشك الفيكونت على السقوط وقد أثمله الغضب انثنى اليه ديروليد وأعانه فى عطف صادق ليستوى على قدميه . ليته يستطيع أن يعتذر للفتى الصغير عما لم يكن يقصده ، ولكن تقاليد الشرف كانت تقف حجر عثرة في سبيل ما يبدو عملا منطقيا ولا تمنع من حدوث ما ليس منه بد . ولطالما شهدت جدران صالة اللعب الشهيرة مثل هذه المناظر .

كانت تقاليد المبارزة تتطلب بعض الاجراءات الشكلية ، لذا سرعان ما أحاطت زمرة من الأصدقاء بالفيكونت الشاب . ان اسمه الكبير ، وثراءه العريض ، ونفوذ أبيه كانت تفتح أمامه الأبواب في فرساى وباريس . وفي هذه اللحظة لم يكن عجيبا أن يهب جيش من المؤازرين للوقوف فى صفه في المعركة الوشيكة الوقوع .

أما ديروليد فقد تركوه وحيدا بجوار منضدة لعب الورق حيث كان الدخان ينبعث من فتائل الشموع التى طالت

ولم يأبه أحد بتشذيبها • فنهض من مكانه وقد بدا عليه بعض الدهشة والحيرة من الأحداث التى مرت سريعة متلاحقة • وأخذ يحملق بعينيه السوداوين زائغ البصر فى أرجاء الحجرة كأنما يبحث متلهفا عن صديق •

ولكن شتان بين الاثنين •• فبينما الفيكونت كان يبدو كما لو كان فى بيته بين اهله وخلانه بحكم مولده ، فان ديروليد لم ينخرط فى سلكهم الا بسبب ثرائه لا غير •• وما كان أكثر معارفه ومتملقيه فى حين أن اصدقاءه كانوا قليلين •

ولأول مرة يدرك هذه الحقيقة • ان كل من فى الحجرة لا بد يعلم ويدرك أنه لم يثر هذا الشجار ومع ذلك لم يتقدم أحد للوقوف بجانبه •

ـ هل لك أن تختار شهودك يا سيدى ؟

كان المتحدث هو المركيز دى فيلفرانش الذى كان يتكلم بشيء من العجرفة والغطرسة بلهجة يشوبها التهكم والاستهزاء كأنما قد تنازل وتفضل بمخاطبة حديث نعمة •• ذلك الذى كان على وشك أن ينال شرف مبارزة واحد من أنبل رجالات فرنسا •

فأجابه ديروليد فى برود قائلا :

ـ استحلفك يا سيدى المركيز أن تختار لى شهودى •• فانك كما ترى ليس لى سوى قلة من الاصدقاء فى باريس •

انحنى المركيز ولوح فى حذلقة وغرور بمنديله المزركش بالدنتلة وهو يتصنع الرشاقة · كان متعودا على أن ينشدوه في مثل هذه المواقف ·· وقد سره أن يسهم بدور رئيسى فى المهزلة المفجعة التى ستمثل بعد قليل على ارض صالة اللعب ·

دار ببصره فى الحجرة وهو يتفحص وجوه القوم من حوله ··فرأى الشبان من أبناء الذوات قد التفوا حول دى مارني·· بينما انتحت قلة من الرجال الاكبر سنا الى الجانب النائى من الحجرة ·· والى هؤلاء توجه المركيز وخاطب واحدا منهم وكان من كبار السن ويبدو عليه هيئة العسكريين وكان يرتدى حلة بنية متهدلة ·

ـ سيدى الكولونيل ·

ثم انحنى مرة أخرى فى تصنع وقال :

ـ لقد فوضنى مسيو ديروليد لأزوده بالشهود ·· فهل تسمح لى بأن أطلب اليك ···

فأجاب الكولونيل :

ـ بكل تأكيد ·· بكل تأكيد ·

ثم أردف قائلا :

ـ اننى لا أعرف مسيو ديروليد معرفة وثيقة ، ولكن أليس من الأوفق أن تقوم بهذه المهمة يا سيدى المركيز ···

فقال المركيز باستخفاف :

ـ أوه ! ·· انها مسألة شكلية كما تعرف · ان مسيو

ديروليد من المقربين الى صاحبة الجلالة وهو رجل من الشرفاء، ولكني لست شاهده •• فمارني صديقي ، واذا كنت تفضل الا ••••

فقال الكولونيل :

ـ انني بلا ريب في خدمة مسيو ديروليد •

ثم رمق الشبح الذي يقف وحيدا بالقرب من منضدة اللعب وأردف قائلا :

ـ اذا كان يقبل خدماتي ••

ـ سيكون سروره عظيما يا عزيزي الكولونيل •

ثم همس المركيز وهو يلوي شفتيه الارسـتوقراطيتين تهكما واستهزاء :

ـ انه بلا أصدقاء في زمرتنـا ، فاذا ما أوليتـه هذا الشرف انت ودي كيتار فانني أعتقد أنه سيكون ممتنا لكما •

كان دي كيتار معاون الكولونيل على استعداد ليقفو أثر رئيسه •• وبعد أن قاما بالتحية المفروضـة للمركيز دي فيلفرانش توجها لمخاطبة ديروليد حيث ابتدره الكولونيل في جفاء واقتضاب :

ـ اذا قبلت خدماتنا يا سيدي •• أنا ومعاوني مسيو دي كيتار فاننا نضع أنفسنا تحت تصرفك •

فأجاب ديروليد :

ـ شكرا لكما أيها السيدان ••

ثم استطرد قائلا :

– ان الأمر كله مهزلة .. وذلك الشـــــاب أحمق .. ولكنني قد أخطأت و ...

فسأله الكولونيل في برود :

– أوتبغي الاعتذار ؟

وكان الرجل العسكرى الوجيه قد بلغه شيئا عن انحدار ديروليد من أسرة متوسطة الحال . وهذا الاقتراح بالاعتذار يتفق مع عادات الطبقات المتوســـطة ومع هذا فقد شـــهق الكولونيل وهو يقول :

– اعتذار ؟ ياه ! يا للاشمئزاز ! يا للجبن ! ان هـــذا لا يليق بسيد فاضل مهما كان خطؤه .. فكيف تريد بجنديين في جيش صاحب الجلالة أن يوافقا على مثل هذه التصرفات ؟

ولكن يبدو أن ديروليد كان في غير وعيه ، ولم يدرك شناعة اقتراحه .. وها هو ذا يقول :

– ليتني أتجنب هذا النزال .

وأردف قائلا :

– اذن لأنبـــأت الفيكونت أنني كنت أجهـــل افتتانه بالسيدة التي مسها الحديث و ...

فقاطعه الكولونيل بصبر نافد :

– أو تخشى أن يصيبك خدش من السيف الى هذا الحد يا سيدى ؟

بينما رفع المسيو دى كيتار حاجبيه في دهشة من أمرهذا الجبن العجيب ٠

فقال ديروليد متسائلا :

ـ او تعني يا سيدى الكولونيل ؟ ٠٠٠

ـ أنك اما أن تبارز الفيكونت دى مارنى الليلة ، واما أن تغادر باريس غدا ٠٠ فسوف تكون في موقف لا تحسد عليه بيننا ٠

لم تكن اجابة الكولونيل كلها قسوة لأنه بالرغم من مسلك ديروليد الغريب لم يكن في مظهره ما ينبىء عن جبن او وجل ٠

فجرد ديروليد حسامه من غمده في صمت وهو يقول:

ـ انني أخضع لمشـــيئتك انت وأصدقائك ياسـيدى الكولونيل ٠

وسرعان ما أخلى وسط الردهة ٠٠ وشرع الشهود في قياس طول كل من السيفين ثم وقفوا خلف الخصمين متقدمين قليلا عن شراذم المتفرجين الذين غصت بهم الغرفة٠٠ والذين كانوا من زهرة رجالات فرنسا حسبا ونسبا في عام ١٧٨٣٠ كانت العاصفة ، التى كان مقــدرا لها أن تهب فوق رءوسهم لتكتسحهم من قصورهم قاذفة بهم الى غياهب السجن أو الى المقصلة لتحتز أعناقهم ، تنعقد سحبها ببطء في أفق باريس المظلم الذى ملأته الأدران وهده الجوع والفقر ٠ كان أمامهم

ستة أعوام أخرى يرقصون فيها ويقامرون ويمارسون فيهـا مبارزاتهم ورقاعتهم ودلالهم ويحيطون بعرش يترنح ويضعون الغشاوة على أعين ملك ضعيف .. فسـيف القدر المنتقم لم يزل في غمده بعد .. وما فتئت العجـلة القاسية التى لا تعرف الرحمـة تدور وتدور دون هوادة حاملة ايامهم فى دوامة اللذة واللهو .. ولكن ها قد بدأت تدور الى أسفل .. فهاهو ذا صراخ وصياح أطفال فرنسا وهم يئنون تحت وطأة العسف والظلم والجـور قد ضاع وسط ضجيج الموسيقى الراقصة والمقطوعات التى يعزفها العشاق تحت نوافذ مخادع معشوقاتهم .

ان دوق دى شاتودين كان هناك .. ولكنه لم يلبث بعد تسعة أعوام أن ذهب الى المقصلة فى صـباح يوم من أيام سبتمبر الباردة وقد صفف شعره على أحدث التسريحات .. تحيـط بمعصميه أرق الاشرطة المزركشة وهو يلعب الورق مع شقيقه الاصغر عنـدما حملتهما عربة البضائع مخترقة جموع شـعب باريس الجائع العـارى وهو يصرخ ويصـيح ويصفر استهزاء .

وكان هناك الفيكونت دى ميربوا الذى وقف بعده ببضع سنوات فوق منصة المقصلة يتراهن مع مسيو دى ميرانج على أن دمه سوف يجرى أشد زرقة من أى دم عداه من الرءوس التى سيتم احتزازها فى هذا اليوم فى طول فرنسا وعرضها. وقد سمع المواطن سامسون بالرهان يعقد وعنـدما سقطت رأس ميربوا فى سلة المقصلة رفعها الجلاد أمام ناظرى مسيو

دي ميرانج الذى ضحك قائلا باستخفاف وهو يضع رأسه فوق النطع :

ـ ان ميربوا كان مغاليا «هجاصا» دائما ٠

ثم أردف قائلا :

ـ من ذا الذى سـيربح رهاني على أن دمي يفوق دمه زرقة ؟

ولكن أني لأحد من الذين حضروا في تلك الليلة مبارزة الفيكونت دى مارنى مع بول ديروليد أن يشعر بما يخبئه لهم المستقبل من مهازل فاجعة ٠

وهكذا راحـــوا يتطلعون بادىء ذى بدء الى الرجلين المتعاركين بشيء من الاهتمام كذلك الذى يبدونه نحو احدى الرقصات الجديدة ٠

ان دي مارنى انحدر من سلالة من أرباب السيوف لعدة قرون ٠٠ بيد أنه كان منفعلا ثائرا قد لعبت برأسه الخمر وأعماه الغضب ٠٠ فما أسعد حظ ديروليد ٠٠ فمن المرجح أنه سيخرج من المعمعة بخدش بسيط ٠

ولكن هذا الحديث النعمة كان من أمهر رجال السيف أيضا ٠٠ وكم سرهم مشاهدة ما يبديه من حسن بلاء وهو يداعب سيف خصمه في مستهل المعركة في هدوء ٠٠ دون خداع أو مراوغة وهو لا يكاد يهاجم مكتفيا بالحيطة والحذر الشديدين فى ثبات وتيقظ لخصمه فى كراته عليه ٠

أخذت الدائرة تضيق حول المتبارزين رويدا رويدا ٠ وقد ندت من البعض صيحات الاعجاب بمهارة ديروليد في تفادي ضربات خصمه ٠ وكان دي مارني يزداد انفعالا وثورة ، بينما ازداد الرجل الاكبر سنا رزانة وثباتا ٠

اندفع الفيكونت دون روية مهاجما ٠٠ مما جعله تحت رحمة خصمه ٠٠ وما هي الا لحظة حتى أطاح ديروليد بسيف الشاب فتقدم الشهود الى الأمام لفض المبارزة ٠

لقد صين الشرف من الأذى ٠٠ فقد تلاحم سيفا حديث النعمة وسليل طبقة النبلاء في سبيل الحفاظ على سمعة واحدة من أفسق نساء فرنسا ٠ وكان تواضع ديروليد درسا لكل الشباب الأرعن الطائش الذين يلهون بحياتهم وشرفهم وسمعتهم ببساطة كما يعبثون بمناديلهم المحلاة بشرائط الدانتيلة وصناديق النشوق الذهبية ٠

انسحب ديروليد في لباقة دون تباه ، شأن الانسان الكريم الشعور متحاشيا النظر الى خصمه المنزوع السلاح ٠ وكأنما بدا شيء في مسلك هذا الرجل الاكبر سنا أغاظ الفيكونت الشاب المرهف الحساسيّة ٠٠ فصاح منفعلا :

ـ ليس هذا لهو أطفال ياسيدي ٠٠ انني أريد ترضية كاملة ٠

فتساءل ديروليد :

ـ ألم يرضك ما حدث ٠ لقد دافعت عن نفسك بشجاعة وخضت المعركة في سبيل شرف السيدة التي ترتبط بها ٠

واننى من ناحية أخرى ...

فصاح الغلام بصوت أجش :

ـ انت ..

ثم اردف قائلا :

ـ ستقدم اعتذارك علنا الى سيدة نبيلة فضلى عفيفة طاهرة .. تلك التى قد اهنتها وأسأت اليها .. الآن .. وعلى الفور .. جاثيا على ركبتيك ..

فرد عليه ديروليد فى برود :

ـ انك مجنون أيها الفيكونت .. أنا على استعداد لاسالك العفو عن غلطتى ..

ـ اعتذار علنى .. على ركبتيك ..

وأخذ انفعال الصبى يزداد شدة وعنفا . لقد عانى اذلالا اثر اذلال .. انه لم يزل صبيا بعد ، قد أفسده التملق، والتدليل منذ نعومة أظفاره .. وها هى ذى الخمر قد لعبت برأسه ، وأعمته سموم الغضب والكراهية عن الادراك والحكم السليم .. فعاود الصياح مرددا :

ـ أيها الجبان !

حاول الشهود أن يعترضوا طريقه ولكنه أزاحهم وهو ينتفض اضطرابا . لم يعر أذنا صاغية لأحد .. ولم يعد يرى احدا أمامه سوى الرجل الذى أهان آديل والذى كان يكدس اهانات جديدةفوق رأسها برفضه الاعتراف العلنى بفضائلها .

لقد امتلأ قلب دى مارنى فى تلك اللحظة بمقت وكراهية مميتة نحـــو ديروليد الذى أجج هدوءه وشـــهامته ومروءته وتساهله غضب الصبى وخجله ٠

ساد الهرج والمرج ٠٠ وأخذ الجميع بهذه العداوة التى كانت تغلى فى عروق الفيكونت ٠ وقد بذل معـظم الشبان المتكأكئين حول دى مارنى ما فى وســـعهم لتهدئة روعه ٠ وأعلن الماركيز دى فيلفرانش أن الامر بدأ يخرج عن حدود القواعد والأصول ٠

لم يأبه أحد بديروليد ٠٠ وهنـــاك فى أركان الردهة القصية وقف بعض المتأنقين ممن هم أكبر سنا يتراهنون على النتيجة النهائية لهذا الصراع ٠

وهاهو ذا ديروليد قد بدأ صبره ينفد ويحتد ٠٠ فليس له أصدقاء بين الحضور ولذا لم يشاهد أحد الظلام الذى بدأ يرف حول عينيه ويتجمع أمامهما كما تتجمع السحابة المنذرة بقدوم العاصفة ٠

وأخيرا صاح بصوت نافد الصبر :

ــ أتوسل اليكم أيها السادة ٠٠ دعونا نحسم الامر ٠٠

ثم استطرد قائلا :

ــ ان السيد الفيكونت دى مارني يريد درسا ثانيا ٠٠ وتالله لألقننه اياه ٠٠ خذ حذرك يا سيدى الفيكونت !

تراجع الجمع بسرعة الى الخلف وقام الشهود بواجبهم مرة أخرى برباطة الجاش الذى تقتضيه مهمتهم ٠ وانقطعت الضوضاء عندما بدأ السيفان يتلاحمان ٠

لقد شعر الجميع بان المهزلة ستنقلب الى فاجعة ٠

ومع هذا فقد كان واضحا من مبدأ الامر أن ديروليد سيعمد مرة أخرى الى تجريد خصمه من سلاحه ليلقنه درسا آخر قد يكون أقسى من سابقه ٠٠ فقد أثبت أنه رجل سيف لامع ، وكان دى مارنى منفعلا ثائرا لدرجة أن نتيجة المعركة كانت في جانب ديروليد ٠

لا أحد يستطيع أن يصف ما حدث ٠ لا شك أن الفيكونت الصغير كان يهاجم بسيفه في وحشية زائدة ٠٠ حتى انه كان يعرض نفسه لخصمه بطريقة كلها نزق وطيش وهو يوجه طعنة قاتلة الى صدر ديروليد الى أن بدا في احدى هذه الهجمات الجنونية كأنما قد ألقى بنفسه فوق سيف غريمه ٠

لقد حاول ديروليد بحركة في سرعة البرق أن يتجنب النتيجة القاتلة ٠٠ ولكن سبق السيف العذل ، واختلج بدن الفيكونت دى مارنى اختلاجة لا تكاد تبين وسقط دون أن يئن او يتأوه ٠

سقط السيف من يده وتلقى ديروليد بنفسه الغلام بين ذراعيه ٠

حدث ما حدث بسرعة وعلى حين غرة حتى أن أحدا لم يستطع أن يدركه تماما فاذا الفتى يرقد منبطحا على الارض وقد تخضبت سترته الزرقاء الانيقة بالدم وقد انحنى خصمه فوقه ٠

لم يكن هناك ثمة شيء بعد أمام ديروليد الذى كان عليه أن ينسحب طبقا لآداب السلوك الرسمية .. ولم يسمح له بأن يفعل شيئا من أجل الصبى الذى لاقى حتفه على يديه على غير رغبة منه .

وكما كان الحال من قبل لم يعره أحد التفاتا . وخيم على الجميع صمت رهيب وقد حم القضاء . ولم يعكر صفو السكون سوى صوت حاد سمع فى الركن القصى يقول :

ـ انك مدين لى بخمسمائة ليرةذهبية أيها المركيز فحديث النعمة من مهرة رجال السيف .

انفضت الجموع عندما خرج ديروليد من الحجرة يتبعه الكولونيل ومسيو دى كيتار الذى وقفا معه حتى النهاية . كانا كلاهما من كبار السن وأثبتا أنهما جنديان تفيض جوانحهما بالمروءة والشجاعة قدماها هدية للرجل الشجاع الذى كانا شاهداه .

وقابلا عند باب المبنى الطبيب الذى استدعى منذ فترة من الوقت استعدادا لما عساه قد يحدث من طوارىء .

وها هو ذا الطارىء الأعظم قد حدث .. الذى يقف أمامه الطبيب بعلمه حائرا وقد عيى اطراقا . وهناك فى الصالة التى يسطع فيها الضوء بالطابق العلوى كان الابن الوحيد للدوق دى مارنى يلفظ أنفاسه الأخيرة ، بينما كان ديروليد يلف معطفه حول نفسه باحكام ويستحث الخطى وحيدا فى الشارع وابتلعه الظلام .

(٢)

القسم

كان رأس بيت آل مارني قد بلغ السبعين من عمره في ذلك الوقت ، ولكنه عاش كل ساعة ودقيقة من حياته قبل أن تمتـــد اليه يد الطبيعة التي لا ترحم بضربة ألقت به وسط ملذاته قعيدا كسيحا يكاد يكون خرقا مرتبطا في كرسي المرض الذي لن يفارقه الا الى مقر راحته الأخير ٠

كانت جوليت ٠٠ ابنة هذا العجوز الذي بلغ من الكبر عتيا وقد ماتت زوجته بعد أن خلفت وراءهـــا هـــذا الحمل الرقيق ٠٠ لزوجها الرشيق الذي كانت تحبه وتغفر له نزواته٠

وعندما أصبح الدوق قاب قوســـين أو أدنى من الموت أصبحت جوليت مبعث سروره الوحيد وسط ذكرياته الأليمة٠

وكان له ابن أيضـــا ٠٠ الفيـــكونت الصغير ٠٠ الذي سيصبح دوق دي مارني في المستقبل الذي سيعيد بحيويته وشبابه مجد أسرته الخالد ٠٠ وكان مبعث فخر أبيه ٠٠ وها هو ذا الشيخ الهرم يستمع في سرور من فوق كرسي مرضه لقصص فرساي وباريس ، والملكة الشابة ٠ وآخر الروايات وأحدث النجوم في سماء المسرح ٠ ان عقله الضعيف المتداعي

كان يأخذه الى الوراء في مسالك الذاكرة ودروبهـا .. الى شبابه وانتصاراته .. ولكنه كان ينسى نفسه من أجل ولده وقرة عينه الذى يفخر به .

وعندما جاءوا بالفيكونت الى المنزل في تلك الليلـة ، كانت جوليت اول من استيقظ . لقد سمعت الضوضاء خارج البوابات الضخمة ، والعربة تقترب وجرس الباب يدق .. وصوت ماتيو وهو يتمتم فما كان أكره عليه أن يستدعيه أحد في منتصف الليل لادخال شخص من خلال البوابات .

توجست الفتاة الصغيرة شرا .. ان وقع الاقدام كان يسمع له صوت ثقيل خلال انفناء ذى الاعلام ، وفوق الدرج المصنوع من أخشاب البلوط ، وبدا كأنهم يحملون شـيئـا ثقيلا .. شيئا هامدا أو ميتا .

قفزت من فراشها وأسرعت تتدثر بحرملة حول كتفيها النحيفتين ، وانتعلت خفيها ، ثم فتحت باب مخدعها واطلت من عل .

كان هناك رجلان لا تعرفهما يصعدان الدرج جنبا الى جنب ، وآخران يحملان حملا ثقيـــلا وخلفهما ماتيـــو يعول ويبكي في حرقة .

لم تتحرك جوليت .. ووقفت عند مدخل الباب واجمة كأنها تمثال قد من الصخر . ومر الموكب الحزين من أمامها ، ولم يرها أحد لاتســـاع الممرات من منزل آل ماريني وكان مصباح ماتيو يلقي بضوئه الخافت الضئيل على الارض .

وقف الرجال خارج حجرة الفيكونت · وفتحها ماتيو لهم واختفى الرجال الخمسة داخلها بحملهم الثقيل ·

وما هى الا لحظة حتى جاءت بترونيل العجوز غارقة فى دموعها ·· تلك التى كانت مربية لجوليت وأصبحت الآن خادمتها المحبوبة ·

لقد سمعت الاخبار ولم تقو على الكلام ، ولكنها ضمت الفتاة الصغيرة ·· حملها الصغير بين ذراعيها وانهلت من عينيها دموع غزار ·

أما جوليت فانها لم تبك · كان ما حدث مباغتا وفظيعا · انها فى عامها الرابع عشر لم يكن الموت قد دار فى خلدها ·· وهاهو ذا شقيقها مبعث فرحها وفخرها قد اخترمته المنية ·· ويجب أن تخبر والدها ··

ان الرجل المقعد الذى يدب على حافة القبر الذى تركز كل عقله الضعيف ·· وكبرياؤه ·· وأمله الاخير فى ولده يجب أن يبلغه نبأ أن الصبى قد أحضروه الى المنزل ميتا ·

وسألت مربيتها عندما هدأت نوبة بكائها :

ـ أو تخبرينه يابترونيل ؟

ـ كلا ·· كلا ·· ياعزيزتى ·· لا يمكننى ·· لا استطيع ·· ان روح جوليت التى لم تكن سوى روح طفلة قد آلمتها المهمة التى تنتظرها · لماذا سمح الله بحدوث هذا؟ لماذا تطلب أن تتحمل فتاة فى مثل سنها مثل هذا الخطب

وأن تتجرع كئوس المرارة مترعة ؟ أن تفقد أخاها ، ثم تنقل النبأ لوالدها وأن تشاهد حزنه ! لم يكن هذا عادلا ! انهــا لا تستطيع ان تفعل ذلك ! لا تستطيع ! لا تستطيع !

أفاقت من افكارها هذه على صـــوت جرس بعيد جعل أعصابها ترتجف فجاة • ان والدها مستيقظ اذن ؟ لقد سمع الجلبة والضوضاء ، وهاهو ذا قد دق جرسه ليستفسر عما حدث •

تخلصت جوليت من ذراعى مربيتها بحركة سريعة قبل أن تستطيع بترونيل أن تمنعها ، وهرولت خارجة من الغرفة وعبرت الدهليز الى الباب المقابل •

كان الدوق دى مارنى جالسا على حافة فراشه ، وقد تدلت ساقاه الطويلتان الرفيعتان العـــاجزتان على الارض ، وبرغم ضعفه فقد كافح حتى يستوى جالسا وكن لا يزال يبذل جهدا يائسا ليرفع نفسه أكثر • وقد سمع أيضا هـو الآخر خطوات الرجال الثقيلة وهم يحملون حملهم •

وعادت به الذاكرة الى نصف قرن مضى إلى الايام التى كان يتفرج فيها على مثل هذه المناظر • انه يعرف جيدا هذا الموكب الصغير الحزين الذى يتكون من الخدم والأصدقاء ، مع الطبيب يسيرون بجانب ذلك الحمل الثمين الذى يضعونه فوق السرير ويتركونه فى رعاية العائلة النائحة المعولة •

ترى من ذا الذى يعرف ما هى الصور التى مرت أمام نظره الضعيف ؟ ولكنه استطاع أن يحدس ما حصل • وعندما

دخلت جوليت الى غرفته ووقفت قبالته ممتقعة الوجه مرتجفة الاوصال عرفت أنه أحرز ما حدث وأنها ليست بحاجة الى اخباره • لقد فعل الله ذلك نيابة عنها •

لقد أسرع بيير خادمه المحبوب ، يلبسه ثيابه • وأصر الدوق المسن على ارتداء حلة الحداد •• تلك الحلة الثمينة المصنوعة من القطيفة السوداء ذات الاشرطة البيضاء والأزرار الماسية التى ارتداها عندما شيعوا لويس الرابع عشر الى مقره الاخير • وثبت سيفه بجانبه وربط شعره الابيض برباط أسود كبير • وقد بدت الملابس التى كانت تناسبه فى أواسط عمره فضفاضة فوق جسده النحيف ، وجلس على كرسى المرض وحمله أربعة من الخدم الى ابنه وهو على فراش الموت•

كانت المشاعل ومئات الشموع تلقى بظلالها الرهيبة فى قصر الدوق •• فلم يكن موت ولى عهد آل مارنى بالحدث الهين • وضع الكرسى على مقربة من الفراش الذى يرقد فوقه جسد الفيكونت الشاب المسجى • لم تبد من الدوق أية حركة ولم ينبس ببنت شفة • وقد صرح بعض الحاضرين فى ذلك الوقت انه قد فقد عقله وأنه لم يشعر ولم يع موت ولده •

أما المركيز دى فيلفرانش الذى تبع صديقه الى النهاية فقد غادر البيت الحزين نهائيا •

لم تعره جوليت التفاتا •• وقد شخصت ببصرها الى والدها ولم تكن لتجرؤ على النظر الى شقيقها•• وفجأة انتابها فزع طفلى وهى بين هذين الشبحين الصامتين : الحى والميت •

ولكن ما ان هم المركيز بمغادرة الغرفة حتى تكلم الرجل العجوز لأول مرة فقال بهدوء :

ـ أيها المركيز .. لقد نسيت .. انك لم تذكر لى بعد من الذى قتل ولدى .

فأجابه المركيز الشاب :

ـ كان ذلك فى مبارزة عادلة يا سيدى الدوق .

فكرر الرجل المسن قوله بطريقة آلية :

ـ من الذى قتل ولدى يا سيدى المركيز ؟ ان لى الحق فى ان أعرف .

فأجاب المركيز :

ـ انه المسيو بول ديروليد يا سيدى الدوق .

ثم استطرد قائلا :

ـ ولكننى أكرر أن ذلك كان فى مبارزة عادلة شريفة .

فندت من الدوق المسن تنهيدة كأنه يتنفس الصعداء ثم قال بايماءة وداع تفيض رقة وأدبا :

ـ انتى لا أستطيع أن أعبر لك عن شكرى أيها المركيز، ان محبتك لولدى فوق مستوى الحمد والشكر .. ولن أعطلك الآن .. وداعا .

غادر المركيز الغرفة .. وعندئذ قال الدوق المسن :

ـ اصرفى جميع الخدم ياجوليت فلدى ما أقوله لك .

اطاعت الفتاة الصغيرة ما أمرها به أبوها في صمت •

انفرد الأب وابنته مع القتيل •

وحالما تلاشي وقع أقدام الخدم بدا كأنما الدوق قد امتلأ بطاقة محمومة وبحركة سريعة أمسك بمعصم ابنته ودمدم منفعلا :

ـ اسمه •• هل سمعتيه ياجوليت ؟

فأجابته الطفلة :

ـ نعم يا أبي •

ـ بول ديروليد ! بول ديروليد ! لن تنسيه أبدا ؟

ـ قطعا لا يا أبتاه !

ـ لقد قتل أخاك ! أو تفهمين ذلك ؟ قتل ولدي أمل اسرتنا والسليل الاخير لأعرق أسرة وهبت المجد لتاريخ فرنسا •

فقالت الطفلة معترضة :

ـ ولكن في مبارزة عادلة يا أبي !

فأجاب الرجل المسن في غضب :

ـ ليس من العدل أن يقتل رجل صبيا • ان ديروليد في الثلاثين وابني قد تجاوز بالكاد التاسعة عشرة من عمره •• فليحل انتقام الله على قاتله !

سرت رعدة في جسد جوليت وحملقت في أبيها فزعة

فقد بدا كأنما فقد وعيه • انها لم تره من قبل وعلى وجهه نظرة المقت والكراهية •• وهذا التعبير الغريب للأمل والظفر عندما تطلع اليها • كانت أصغر من أن تفهم أنه قد جن •

وعلى ذلك ، عنـــدما تنـــاول يدها وادناها منه ومن الفراش ، ووضعها فوق صدر أخيها القتيل أطاعت واصغت اليه دون مناقشة •

ـ جوليت •• انت الآن في الرابعة عشرة وتستطيعين أن تفهمي ماسـأسـألك اياه • اذا لم أكن حبيس هذا الكرسى التعس •• ولو لم أكن مقعدا عاجزا لا رجله فيه لمـا سألت أحدا •• حتى إنت أيضا •• ابنتى الوحيدة لتقومى بمايريده المولى عز وجل أن يقوم به أحدنا •

سكت هنيهة ثم أكمل حديثه قائلا فى حماس :

ـ تذكرى ياجوليت أنك من بيت آل مارنى وأن الله يسمعك الآن •• فانت ستقسمين أمام العلى القدير وأمامى بقسم لن يعفيك منه سوى الموت • أو تقسمين ياطفلتى ؟

ـ علام يا والدى ؟

ـ بانك ستثارين لموت أخيك من قاتله ؟

ـ ولكن يا أبت ••

ـ فلتقسمى يا طفلتى !

ـ كيف يمكنني ان أحقق هذا القسم ياوالدى ؟ لست أدرى ••

ـ سوف يرشدك الله يا صغيرتي . عندما تشبين عن الطوق سوف تفهمين .

وبدأ صبر العجوز ينفد حين قال :

ـ من المؤكد أنك لا ترددين ياجوليت .. فها هو ذا جسد أخيك المسجى يسأل الانتقام في صمت ؟ انك الوحيدة التي بقيت من آل مارني الآن ! .. حيث انني من اليوم سوف اعتبر نفسي في عداد الأموات .

فقالت الفتاة هامسة :

ـ كلا يا والدي .. انني لا أتردد . سأقسم بما تمليه علي .

ـ اعيدي الكلمات ورائي يا بنيتي .

ـ نعم يا ابتاه .

ـ اقسم أمام العلي القدير الذي يراني ويسمعني ..

فرددت جوليت الكلمات في عزم :

ـ اقسم أمام العلي القدير الذي يراني ويسمعني ..

ـ اقسم على أنني سأتعقب بول ديروليد ..

ـ اقسم على أنني سأتعقب بول ديروليد ..

ـ وبأية طريقة سيرشدني الله عنها سوف أجلب له الموت والدمار أو العار انتقاما لموت أخي .

فقالت جوليت في خشوع :

ـ وبأية طريقة سيرشدني الله عنهـا سوف أجلب له الموت والدمار أو العار انتقاما لموت أخي .

ـ ولتظل روح أخي في العذاب اذا ما حنثت في يميني، ولتنعم في سلام دائم في اليوم الذي ينتقم فيه لموته .

ـ ولتظل روح أخي في العذاب اذا ماحنثت في يميني، ولتنعم في سلام دائم في اليوم الذي ينتقم فيه لموته .

وجثت الطفـــلة على ركبتيها واقسـمت باليمين وظهر الرضا على وجه الرجل المسن .. ونادى على خادمه ليحمله الى فراشه .

بينما اسرعت جوليت خارجة من الغرفة وهي تنشـــج نشيجا مؤلما الى حجرتها حيث ألقت بنفسها بين ذراعي العجوز بترونيل الحنون .

الفصل الأول

باريس: ١٧٩٣

الاعتداء

قد يكون من أشق الامور ان نقول لماذا يتمتع المواطن ديروليد بشعبية كبيرة • والأشق من هذا أن نذكر السبب الذي من أجله ظل في أمان ، بينما تحولت فرنسا بأكملها الى سجن هائل يغذي المقصلة يوميا ابان الصراع بين حزبي الجيروند والجبل • وقد أعقب مقتل مارا في شهر يوليو سيل من الضحايا • كان هذا العام ثلاثة وتسعون وسبعمائة بعد الألف من أحلك أعوام الثورة •• فلم يكن أحد يعرف في الصباح ما اذا كانت راسه سنظل فوق كتفيه في المساء أو أن الجلاد سامسون سيحملها أمام أعين جموع الشعب الرث الثياب في ميدان الثورة • ومع هذا لم تمس شعرة من رأس ديروليد • ان مارا العظيم زعيم الثورة ، والذي عده الناس زعيما للحرية ، قال عنه ذات مرة :

ـ انه ليس خطرا على الجمهورية •

ومن ذا الذي يجرؤ على انكار حقيقة ما ذكره مارا ؟ وحتى حزب الجيروند لم يستطع أن يمس ذكراه بسوء •

كان ديروليد ثريا ثراء فاحشا في يوم من الأيام ولكنه كان من الحصافة بحيث وهب ثروته لفرنسا في الوقت المناسب بدلا من اخذها منه قسرا فيما بعد • ولم تنس بلاده له هذا الصنيع • ويبدو أن هناك قوة خفية ترقب المواطن ديروليد

لنفسه بعيدا عن يد أعدائه • وكان ديروليد نائبا حائزا أيضا اسمه برلمان الجمهورية الذى كان نوابه يرددون رجع صدى ما قاله مارا :

ـ انه ليس خطيرا •

ونظر اليه الشعب كواحد منهم ، فقد وهب فقراء باريس بسخاء عندما كان لديه ما يعطيه •• وهكذا ترك ديروليد يمضي في الحياة •

كان يعيش عيشة هادئة ، وحيدا مع والدته ومع آن مى ابنة عمه اليتيمة التي تكفلت بها مدام ديروليد منذ نعومة أظفارها • وكان الجميع يعرفون منزله في شارع مدرسة الطب ، والذى لم يكن بعيدا عن منزل مارا العظيم الذى عاش ومات فيه •• انه منزل متين البناء قد شيد من الأحجار وسط صف من الأكواخ الخشبية التى تنبعث منها رائحة كريهة •

ومن ثم كان شارع مدرسة الطب ضيقا ، كما هو الحال الآن ، ينضح بالاقذار أيضا ، فقد كانت باريس منهمكة في قطع رءوس ابنائها من أجل الحرية ولم يكن لديها وقت لتهتم بالنظافة والصحة • ولم يكن منظر الجموع فوق الأفاريز الموحلة أمرا يسترعي الانتباه •• والمنظر غير المألوف حقا في هذا الطريق هو اللباس النظيف •• فآن مى قلما كانت تخرج ومدام ديروليد المسنة لاتكاد تبارح غرفتها • وقد اعتاد

الناس احتساء كميات كبيرة من البراندى فى حانتين كل فى احدى نهايتى الشارع الضيق .. وليس هناك شك فى أنه من الأليق للسيدات المحترمات أن يقبعن فى دورهن اذا ما وافت الساعة الخامسة مساء . أما المخلوقات المسنات فى خلقهن البالية ونظراتهن الوحشية اللاتى يتجمعن فى ركن الشارع ليسخرن من كل عابر سبيل أقل منهن قذارة فمن الاجحاف أن يطلق عليهن نساء الآن .

ـ أوه .. انظر ! .. الارستوقراطى !

هكذا كن يصحن كلما شاهدن رجلا فى ملابس أنيقة أو سيدة ترتدى قبعة وفوطة نظيفة تمر مسرعة فى الشارع .

أما بعد الظهر فقد كان يموج بالحركة والنشاط .. فقد كان هناك دائما شىء مسل يمكن رؤيته وأهمها المواكب الطويلة المكونة من المركبات أو عربات النقل فى طريقها من السجون الى المقصلة .

وفى وقت من الأوقات حملت عربات النقل سيدات ورجالا من الأسرة المالكة ، أدواقا وأميرات . وارستوقراطيين من كل بلد فى فرنسا . وكانت الملكة التعسة مارى انطوانيت مازالت على قيد الحياة سجينة مع ابنها وابنتها .. ولكن فى هذا العام الخامس للثورة قل معين الأدواق والماركيزات والكونتات .. فأولئك الذين لم يهلكوا بيدى المواطن سامسون كانوا أحياء يرزقون فى ألمانيا أو انجلترا . وكان يدين عدد كبير منهم بحياتهم لزهرة كزبرة الثعلب القرمزية الغامضة

.. الرجل الانجليزى المجهول الذى اختطف عشرات من الضحايا من بين يدى الجلاد .

ولكن اذا كان الارستوقراطيون قد أصبحوا من القلة النادرة فى باريس ، فقد كان هناك دائما غيرهم ليقدموا الضحية اليومية .. فقد جاء الآن دور نواب البرلمان الجمهورى، ورجال الآداب والعلوم والفنون .. أولئك الرجال الذين ارسلوا بغيرهم الى المقصلة منذ اثنى عشر شهرا مضت .. اولئك الرجال الذين ملئوا الدنيا صياحا يقرظون الثورة وعهد ارهابها .

لقد ثاروا على التقويم أيضا .. وكل مواطن صالح يطلق الآن على اليوم التاسع عشر من أغسطس عام ١٧٩٣ اليوم الثانى من فركتيدور من العام الأول للعصر الجديد .

***

فى الساعة السادسة بعد ظهر ذلك اليوم التفت فتاة صغيرة حول الناصية ، وبعد أن ألقت نظرة سريعة يمنة ويسرة بدأت تتعمد السير على مهل خلال الشارع الضيق .

كان مزدحما فى ذلك الوقت .. فيما هى ذى جماعات من النساء يقفن أمام الأبواب يتحدثن بصوت مرتفع .. فقد حانت ساعة الأوبة الى منازلهن بعد المشاهد الدامية فى ميدان الثورة . هاهم أولاء الرجال يستريحون فى الحانات المختلفة تاركين شراذم النساء فى هذه اللحظة يثرثرن ويسخرن من عابرى السبيل .

لم تكترث بهن الفتاة الشابة في أول الأمر .. وانما سارت في طريقها مسرعة الى الأمام ، رافعة رأسها الى أعلى وهي تخطو حذرة متجنبة الطين خوفا من أن يلطخ حذاءها الأنيق . كانت ترتدي رداء رماديا بسيطا وقد تدلى على نهدها منديل ناصع البياض .. وكانت تغطي رأسها قبعة كبيرة تتدلى منها الأشرطة التي راحت تعربد فوق أجمل وجه وقعت عليه أعين من أسعده الحظ من الرجال . بيد انها بالرغم من جمالها الفاتن فقد أطلت من عينيها نظرة عزم جعلتها تبدو حازمة وأكبر من سنها . وكان يلتف حول وسطها وشاح مثلث الألوان من الأحمر والأبيض والأزرق . ان ألوان الجمهورية كانت تحميها .. فطالما سارت في طريقها بهدوء فان أحدا لن يتعرض لها بسوء .

وفجأة يبدو أن سلوكها تغير . .وكان ذلك خارج المنزل الحجري للمواطن النائب ديروليد . انها لم تأبه لطغمة النساء التي قابلتهن .. فعندما اعترضن طريقها كانت من الحكمة والفطنة بحيث خطت بهدوء الى منتصف الشارع .. وقد أصمت أذنيها عن سماع سبابهن ولم تكترث لذلك .

واذا بها فجأة تدفع برأسها في ازدراء وتحد . وهاهي ذي امرأة مهلهلة الثياب تعلوها الأقذار تعترض سبيلها وأخذت تحملق ساخرة في جونيلتها ذات الأشرطة التي كانت تطل من تحت رداء الفتاة الرمادي فصاحت قائلة :

ـ أوتسمحين لي بالمرور ؟

فضحكت العجوز قائلة :

ـ اسمح بمرورها ؟ اسمح بمرورها ؟ ها ! ها ! ها !

او لا تعرفين أيتها المواطنة أن هذا الشارع قد أعد خصيصا ليعبره الارستوقراطيين ؟

فأمرتها الفتاة الصغيرة وهي تضرب الأرض بقدمها في نفاد صبر :

ـ انني في عجلة ، فهلا سمحتي لى بالمرور فى الحال ؟

كان أمامها على اليمين الشارع بأكمله على رحابتــه لتسير فيه . وكان من الجنون أن يسبب المرء شجارا دون داع مع هذه الشرذمة المتعبة من الاناث المنفعــلات الهائجات العائدات للتو من المشهد الدامى حول المقصلة . ومع هــذا فقد بدا أنها تتعمد ذلك كأنما قد عيل صبرها وقد امتلأ قلبها الارستوقراطى المتعجرف بالاشمئزاز من الحشد ذى الرائحة الكريهة الملتف حولها .

وبدا رجال انصاف ســـكارى وصبية انصاف عرايا يتوانيون حولها .

وأخذوا يدنون منها وهم يدفعون بوجوههم الســاخرة الحاقدة بالقرب من وجهها ويتصايحون مشيرين الى ردائها :

ـ أوه ! .. انظروا الى الأرستوقراطية الجميلة !

وبحركة غريزية أسرعت الفتاة الصغيرة بالتراجع صوب المنزل الكائن على يسارها . كان مزدانا بسقيفة يتدلى منهــا

فانوس حديدي وبضع درجات حجرية تؤدى الى الباب الضخم المصنوع من خشب البلوط .

وقفت الفتاة الشابة فوق هذه الدرجات وقد شمخت بانفها وهي تتيه كبرياء وعجرفة واحتقارا للغوغـــاء الذين اشتد عواؤهم والذى جلبت نقمتهم عليها عمدا .

وها هو ذا شاب ذو قلنسوة حمراء ممزقة وســـحنة شريرة يقول مقترحا :

ـ من المؤكد أن هذا الرداء الرمادى يناسبك تماما أيتها المواطنة مارجو .

وقال آخر :

ـ وكل هذه الأشرطة الجميلة ستزين عنقها عندما يرفع لنا المواطن سامسون رأسها لنستمتع بمشاهدته .

ثم انحنى فى تأدب ساخر ورفع باصبعين قذرين طرف الرداء الرمادى ليظهر الجونلة المحلى طرفها بالاشرطة من تحت الرداء .

فصاحت امرأة كهلة :

ـ انها أشرطة فخمة جميلة لتخبأ هكذا . أتصدقينني يا سيدتى الشابة الجميلة .. ان ساقاى عاريتان تحت قميصى؟

فضحكت أخرى قائلة :

ـ وأعتقد أنهما قذرتان أيضا .. فالصـــابون نادر فى باريس الآن .

وصاح صوت متفعل :

ـ ان الشريط الذى يزدان به منديل الأرستوقراطية الى لدفع حساب الخباز لأسرة كاملة لمدة شهر ٠

كان وميض الكراهية يتألق فى كل عين ٠٠ ومن المحتمل فى اية لحظة ان تتحول الكلمات الى ضربات ٠ ولاح أن الفتاة تعرف ما يحيق بها من خطر ، ولكنها ظلت متحفزة متحدية رابطة الجاش ٠٠ واخذت تخطو الى الوراء رويدا رويدا صاعدة الدرجات وقد احدق بها مهاجموها حتى وصلت الى الباب الامامى للمنزل ، حيث وقفت وهى تضع يديها فوق أذنيها كى لا تسمع أصوات التهديدات القذرة التى كانت تلقى فى وجهها ٠

وعلى حين غرة سددت احدى النساء لكمة الى وجهها بقبضتها القذرة أعقبها صيحات الفرح والضحك تحية لهذه الضربة ٠

وهنا فقط بدا ان الفتاة تفقد رباطة جاشها فأخذت تطرق الباب البلوطى بكلتا يديها وهى تصيح بصوت عال :

ـ النجدة ! النجدة ! النجدة ! أيها المواطن ديروليد !

وازداد فزعها عندما تجددت ضحكات مهاجموها الذين كان فى وسعهم أن يمزقوا الفتاة العاجزة ويجذبونها من مكانها الذى اختبأت فيه ويمرغونها فى الوحل ، ولكن ما ان امتدت اليها ستة ازواج من الأيدى وامسكت بقميصها حتى فتح الباب خلفها ٠ وشعرت بمن يقبض على ذراعها بقوة ويجذبها الى

داخل المنزل ومن ثم أوصد الباب السميك بسرعة .

لم تتمكن من رؤية منقذها حيث أن الردهة التى جذبت اليها كانت مضاءة بضوء ضئيل .. بيد أنها سمعت صوتا يقول :

ـ اصعدى الدرج .. الغرفة امامك مباشرة .. فوالدتي هناك .. اسرعى .

استدارت ناحية الدرج وبدأت تصعد في بطء . كانت ركبتاها ترتعشان .. وقد سرت رجفة رعب في جسدها . وفي الخارج أخذت الصيحات تزداد علوا .. بينما راحت القبضات الغاضبة تطرق الباب بعنف .

واستدارت عند رأس السلم هنيهة ونظرت الى الردهة .. فرأت وجهه من خلال الضوء الخافت وقد أمسك بمقبض الباب باحدى يديه وألقى برأسه الى الخلف ليراقب تحركاتها .

وجدت أمامهـــا بابا نصف مفتوح فدفعته وولجت الى الداخل .

وفى نفس اللحظة فتح الباب السفلى .. فصكت مسامعها صيحات الجمع الغاضب . ويبـــدو أنهم احاطوا به فتعجبت عما كان يحدث وكيف تجرأ على مواجهة هذا الحشد المرعب بمفرده .

كانت الغرفة التى دخلتها بهيجة ســـارة للناظرين بستائرها الرقيقة وأثاثها الأنيق . وسمعت صوتا عطوفا :

ـ تفضلى .. تفضلى يا عزيزتى واغلقى الباب ورائك .
هل هاجمك هؤلاء التعساء ؟ لا تبالين بهـذا .. ان ابنى بول سيتحدث معهم ويجعلهم يمضون الى حال سبيلهم . تعـالى الى هنا يا عزيزتي واجلسى ولا داعى الآن للخوف .

تقدمت الفتـاة دون أن تنبس بكلمة كأنها فى حلم .
وتناولت السيدة المسنة يد الفتاة فى يدها وأجلستها بلطف على كرسيها ذى المساند ، واستمرت تحادثها فى دعة ولين كما يتحدث المرء الى طفـل . كانت تتكلم عن بول وذكرت شيئا عن آن مى ثم عن البرلمان وهؤلاء الوحوش الا أن معظم حديثها كان يدور عن بول .

تلاشى الضجيج فى الخارج .. بينما شعرت الفتاة بالمرض والتعب يهدانهـا وها هى ذى رأسها يدور والأثاث يتراقص حولها .. وتراءى لها وجه السيدة العجوز كأنمـا ينظر اليها من خلال الضباب .. ومن ثم أظلمت الدنيا أمامها ولم تعد تحس بشىء بعد ذلك .

الفصل الثانى

النائب المواطن

عندما افاقت الفتاة الآن وقد غمرها شـــعور بالراحة والرضا كان لديها متسع من الوقت لتفكر ...

اذن فهذا كان منزله ! بل الواقع أنها تنزل ضيفة تحت سقف المواطن ديروليد .

لقد انقذها من أيدى الغوغاء المتوحشين ، ورحبت بها امه ، وقامت فتاة صغيرة ، ربما كانت احدى قريباته ، بخدمتها وعملت على سعادتها وراحتها .

كانت جوليت دى مارنى فى منزل الرجل الذى أقسمت امام الله وامام ابيها أن تقفو أثره بدافع المقت والكراهيـــة والانتقام .

وبينما كانت مستلقية فوق الفراش المعطر الذى أعده لها كرم آل ديروليد وحسن ضيافتهم راحت تفكر فى أحداث العشر سنوات التى مرت منذ أن اقسمت ذلك اليمين .

إن الدوق المسن قد أصبح فى عداد الأموات من الوجهة العملية عقب ذلك المشهد الذى لا ينسى بجوار ابنه وهو على فراش الموت .. فهو لم يعد سوى شبح ذاو صامت ، منهوك القوى ، فاقد العقل ، ضائع الذاكرة .. حطام تذكرته الطبيعة اخيرا رحمة به وأراحته من مقعد المرض الذى ظل عالمه شطرا طويلا من الزمن .

ثم أعقب ذلك تلك السنوات القلائل الهادئة فى مدرسة

دير الراهبات حتى جاءت الثورة ·· وقد التحقت به جوليت عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها فقط عقب وفاة والدها مباشرة · وكانت ممن افلتوا من القضاء والعقاب · اما كيف أو لماذا فهذا مالم تستطع أن تقوله · كانت لاتزال صغيرة جدا وفي الوقت الذى لاقت فيه بنات عائلات عريقة في فرنســـا حتفهن مع آبائهن وكن يكبرنها قليلا ·· سمح لها أن تعيش في عزلة على انفراد مع بترونيل ، مربيتها العجوز ، التى ظلت مخلصة طوال هذه السنوات ·

لقد راقبت ضجيج الثورة من خلال نافذة الطابق العلوى ·· فى شقتها الصغيرة في باريس وقد اضطرت أن تعيش على مدخرات بترونيل العـــجوز المخلصة حيث أن كل ممتلكاتها وجميع عقارات آل مارنى وحتى بائنتها التى أخذتها معهـــا الى الدير ·· كل شيء في الواقع قد استولت عليه الحكومة ·

ومن هـــذه النافذة رأت باريس الجميلة تتلوى تحت ضربات سياط شيطان الارهاب الذى أثارته ·· وســـمعت زمجرة عربات البضاعة وهى تجر يوما اثر يوم حمولتها من الضحايا الى صانعة ثورة الاخاء التي لا تشبع ·· المقصلة ·
ولم تكن قد بلغت العشرين بعد في ذلك اليوم الذى اعيد فيه الملك والملكة الى العاصمة التى حاولا الهروب منها · وبعـــد عامين سمعت صيحات الفرح في باريس عندما أطاح الجلاد برأس الملك ·

وطوال تلك السنوات حملت ذاكرتها ثقل هذا القسم الذى لا يحلها منه الا الموت :

ـ اقسم امام العلى القدير الذى يرانى ويسمعنى أننى ..اسحب بول ديروليد وبأية طريقة سيرشدنى الله عنهـــا ..وف أجلب له الموت والدمار أو العار انتقاما لموت أخى ·

وجاء بعد ذلك مصرع مارا زعيم الثورة ·· قتلته فتاة ..غيره مثلها شاحبة الوجه هى شارلوت كورداى ·· تلك التى اعتبرها البعض أعظم من بروتوس !

لقد راقبت شارلوت كورداى فى أثناء محاكمتها · وقد تغلبت على خوفها الطبيعى من تلك المشاهد ومن الحشود التى رعيها عادة · وها هى هذه تشق طريقها الى الصف الامامى فى المقعد العلوية التى تطل على قاعة محكمة الثورة وتسمع الاتهـام ومرافعة تنفيل النائب العام واستدعاء الشهود · ثم سمعت صوت شارلوت الصـــــغير يرن بوضوح وفى جرأة وشجاعة فوق همهمة الأصوات :

ـ لا داعى لكل هذا ·· لقد قتلت مارا !

وهناك فى المكان المخصص للمواطنين النواب رأت بول ديروليد ·· الرجل الذى أقســمت أن تقفو أثره لتثأر منــه كامل الثأر كذلك الذى ألهم يد شارلوت كورداى عندما طعنت مارا فى القلب · لقد راقبتـــه فى أثناء المحاكمة وهى تعجب عما اذا كان لديه أى شعور نحو حقدها الذى يتبعه ·

واستمعت الى حديثه عن الفتاة المتهمة وأعجبت بشجاعته ·· فذلك كان كفيلا بأن يكلف رجلا غيره رأسه لو دافع عن

شارلوت كورداى .. غير ان خطاب ديروليد لم يكن دفاعا عن الجريمة وانما التماسا للرحمة والرأفة بها .

وقد استمع له كل انسان حول جوليت عندما تكلم وهم يهمسون لبعضهم البعض :

ـ انه المواطن ديروليد .

كان قد افتتح في باريس في ذلك الصباح مستشفى جديد فاخر للأطفال المرضى .. هبة للوطن من المواطن بول ديروليد .. فبالتأكيد كان من الممكن السماح له بان يتحدث قليلا اذا راق له ذلك .

وحتى دانتون الثائر المسعور ومرلين وسانتير من أصدقاء الزعيم المقتول هزوا أكتافهم :

ـ انه ديروليد .. دعوه يتحدث اذا أراد .. ألم يقل عنه مارا نفسه انه ليس خطرا ؟

وادينت شارلوت كورداى .. ولم يستطع حديث ديروليد العذب أن ينقذها .

غادرت جوليت المحكمة مهتاجة الفكر بكل ما راته وسمعته . يجب الا تلحق شارلوت كورداى الفلاحة نصف المتعلمة الخزى بجوليت دى مارني ابنة مائة دوق . وكيف يمكنها أن تتردد في القيام بواجبها نحو أخيها وأبيها وهذا المثل امامها ؟

وعليها الآن أن تتحين الفرصة !

لقد اعتادت يوميا في الشهر الاخير ان تتجول في

شارع مدرسة الطب وهي تتظاهر بالتطلع الى مسكن مارا ، اما اعادت جموع المتسكعين أن يفعلوا ، بيد انها في الواقع التي تعمل ذلك لترى منزل ديروليد ·· وقد رأته مرة أو مرتين في اوبته او مغادرته للمنزل · وقد لمحت الردهـــة الداخلية ذات مرة وفتـــاة صغيرة تودعه عند الباب · وفي مرة اخرى رأته في منعطف الشارع وهو يساعد نفس الفتاة على اجتياز الافريز الموحل ·· وكان قد قابلها في تلك اللحظة وهي تحمل سلة مأكولات فتناولها منها وحملها الى المنزل · كانت الفتاة مشــوهة الخلقة قليلا تكاد تكون حدباء ضعيفة عاطلة من الجاذبية ذات وجه شاحب يعلوه الحزن ·

وهذا العمل البسيط الدال على العطف هو ما دعاهـــا الى التفكير في أن تجلب على نفسها غضب الجمع خارج منزله ·· مثل ما رأته منه أكد شدة عطفه على الضعفاء والفقـــراء والتعساء · وهذا ما حدا بها الى الشعور بأنها يمكنها الاعتماد على تدخله ، غير أنها لم تخطط لهذه الفكرة ·· وانما قفزت الى ذهنها فجأة فنفذتها على الأثر ·

الم يقل لها والدها انه عندما يأتي الوقت الملائم ، فان الله سيرشدها الى الطريقة ؟

وها هي ذي الآن تحت سقف الرجل الذي اغتال أخاها واستبد بوالدها ·· الرجل المسكين الضعيف العقل المسن ·· الى الابد ·

الا ليت أصبع الله تشير مرة أخرى الى الطريق ·· عن مدى السبيل لتنفيذ ما أقسمت عليه ؟

الفصل الثالث

حُسن الضيافة

- اما من خدمة أخرى أستطيع ان أقدمها اليك الآن
ا ا...لة ؛ ايقظ الصوت الرقيق الخائف جوليت من استغراق
الـ..ـها في الماضي • ابتسمت لآن مى وبسطت يدها نحوها
وقالت :

- لقد كنتم جميعا في منتهى الرقة والعطف •

ثم اردفت قائلة :

- انني أريد أن أنهض الآن وأشكركم جميعا •

لا تتحركي ما لم تشعرى بأنك في أحسن حال •

- انني على خير ما يرام الآن ، لقد أفزعني هـــؤلاء
الناس المرعبون وهذا ما سبب اغمائي •

- لقد كادوا يفتكون بك لو ان بول •••

فسألت جوليت :

- الا تخبرينني أين أنا ؟

- في منزل المواطن النائب ديروليد • لقد انقذك من
الحشد الذي تجمع حولك وهدأ من غضبهم • ان له صوتا عذبا
جميل يجعل أي شخص يصغي اليه و •••

فاضافت جوليت وهي تحس فجـــأة بغلالة من الدموع
تدمع في عينيها :

- وانك مغرمة به يا آنسة ؟

ـ بالطبع أنا مغرمة به ‥ فقد رباني هو ومدام ديروليد وانني لم أعرف أبواى قط ٠ لقد أولياني عنايتهما وأنا مدينة لهما بكل شيء ٠

ـ هل لى أن أعرف اسمك يا آنسة ؟

ـ انني ادعى آن مى ٠

ـ وأنا ادعى جوليت ‥ جوليت مارني ٠

ثم أردفت في شيء من التردد :

ـ وقد ربتنى مربيتي العجوز بترونيل و ٠٠٠ ولكن هلا حدثتيني أكثر عن المسيو ديروليد ‥ فانا مدينة له بالكثير ويسعدني أن أعرفه معرفة افضل ٠

فقالت آن مى كأنما تتعمد عدم الادلاء باجابة مباشرة :

ـ أتدعينني أصفف لك شعرك ؟

ثم أردفت :

ـ ان مسيو ديروليد في غرفة الاستقبال مع المدام ‥ ويمكنك مقابلته هناك ٠

لم تلق جوليت بأسئلة أخرى ولكنها سمحت لآن مى بأن تصفف لها شعرها وتعيرها منديلا وأن تزيل بوجه عـــام كل آثار مغامرتها المريعة ٠ شعرت بالحيرة ‥ فبرغم أن آن مى قد تحدثت في رفق وحنان بما فيه الكفاية الا أن هناك مايوحى بما تحمله من بغضاء وعداوة ٠ ولم تستطع جوليت أن تفهم وضع الفتاة في منزل ديروليد ٠ أكانت احدى قريباته أو

رئيسة خدم ؟ كان من اليسير أن تجمع بين الاثنين فى هــذا الوقت المشوب بالاضطراب • وعلى أية حال فانها كانت رفيقة الطفولة للمواطن النائب وقد استطاعت جوليت بتلك الغريزة الغريبة التى تتمتع بها النساء أن تحرز حب آن مى لديروليد •• فهى بمجرد ذكر اسمه تبدو نظرة الحنان والولاء على وجه الفتاة الشاحب العاطل عن الجاذبية حتى لاحت جميلة عندئذ •

تبعت جوليت آن مى الى غرفة الاســـتقبال حيث كان ديروليد مع أمه • وعقب التحيات الأولى مع جوليت استأنف مناقشته مع أمه ، تلك التى قطعها دخول جوليت •

كان يتكلم عن غوغاء باريس الذين أثبت أنه يفهمهم جدا• ولطالما أدت الحوادث كتلك التى أثارتها جوليت الى الهيـــاج والاعتداء وأحيانا الى القتل • ولكن أصبح كل شىء هادئـا خارج منزل ديروليد بعد نصف ساعة من هروبها من ذاك المشهد الصاخب القاسى • انه لم يتحدث اليهم سوى ما يقرب من العشرين دقيقة فحسب ، فذهبوا الى حال سبيلهم فى هدوء دون أن يمسوا شعرة واحدة من رأسه • وبدا أنه يفهمهم ويحبهم ويعرف كيف يفصل بين القليل من الخير الذى بقى لديهم من القشرة الصلبة من الشر التى أحاط بهـــا الجوع والبؤس قلوبهم •

ثم بدأ يهتم بظروف جوليت الخاصة فقال :

ـ معذرة يا آنسة •• يجب علينا لصالحك أن نعتبرك سجينة هنا لبعض الوقت •• فلن تمتد اليك يد بأذى تحت

هذا السقف .. ومن الخطر عليك أن تعبرى الشوارع المجاورة الليلة ٠

فقالت فى لهف :

ـ ولكن يجب أن أذهب يا سيدى ٠ من المؤكد يجب بالتأكيد ! .. اننى مدينة لك من الأعماق ولكننى لا استطيع ترك بترونيل ٠

ـ من هى بتروتيل ؟

ـ مربيتى العجوز يا سيدى ٠ انها لم تتركنى قط .. فتصور كم هى تعسة وقلقة لغيبتى ٠

ـ أين تقطن ؟

ـ رقم ١٥ شارع تيتبو ، ولكن ...

ـ أتسمحين لى بأن أحمل لها رسالة ؟ لأقول لها انك فى أمان تحت سقفى حيث من الأفضـــل أن تمكثى فى الوقت الحاضر ٠

فأجابت :

ـ اذا كنت تعتقد أن هذا أفضل يا سيدى ٠

فى حين أنها كانت ترتجف من الانفعال فى أعمـــاق نفسها .. فالله لم يأت بها الى هذا المنزل فحسب ، بل أراد أن تمكث به أيضا ٠

ثم سألها :

ـ باسم من ساحمل الرسالة يا آنسة ؟

ـ انني ادعى جوليت مارنى .

تفحصته بدقة عندما قالت ذلك .. ولكنها لم تر على وجهه ابسط علامة تدل على أنه عرف الاسم ، واجتاحت روحها موجة من الغضب .. فقد عانت عشرة أعوام من ذكرى تلك الليلة عندما أحضروا جثة أخيها الى المنزل واليمين التى اقسمتها لوالدها .. ولكنه نسى ! لم يعن اسمها شيئا بالنسبة اليه ! لم يذكره بالحقيقة .. ان يده كانت ملطخة بالدم .

وبعد أن خرج ليبحث عن بترونيل ويطمئنها بقيت وحدها مع مدام ديروليد ثم أقبلت آن مى .

وأخذت النسوة الثلاث يثرثرن معا منتظرين أوبته .. وشعرت جوليت بالرضا والسعادة الآن . لقد عاشت طويلا على انفراد مع بترونيل فى الغرفة التعسة بالطابق العلوى ... حتى انها استمتعت بالراحة فى هذا المنزل ، ومن الطبيعى أنه لم يكن فاخرا كما كان قصر والدها الذى يضاهى قصور الامراء ، ولكنه كان أنيقا من جميع الوجوه . ان الآنية الخزفية فوق رف المدفأة الطويلة ، والزخارف فوق الجدران ، والمائدة المالية التى كانت تستطيع رؤيتها من خلال الباب المفتوح وقد غطيت بغطاء أبيض جميل تتالق فيه الفضة .. كلها تدل على سلامة الذوق والتعود على الأناقة التى لم تفلح حتى الثورة فى القضاء عليها .

وعندما عاد ديروليد جلب معه جوا من الابتهاج والفرح.

عندما مر من أمام المستشفى ـ هبته الى الوطن ـ قوبل بالهتافات المدوية تحية له . وقد سأله صوت أو اثنان فى سخرية عما فعله بالارستوقراطية وجونلتهـــا الداخلية التى تتدلى الأشرطة من حافتها . بيد أن هذا كان كل ما فى الامر . ولم يكن ثمة ما يدعو الآنسة مارنى للخوف .

لقد أحضر بترونيل معه .. بعد أن صــــــهرت دموع المربية العجوز قلبه العطوف . وها هو ذا الآن قد وهبها هى وسيدتها الشابة المأوى والملاذ حتى تنقشع ســـحابة المتاعب الصغيرة .

وبعد ذلك اقترح عليهما الارتحال الى انجلترا .. فقد كانت مغادرة فرنسا هى الأمن الحقيقى .. فان الآنسة مارنى قد استرعت الأبصار اليها بطريقة غير مستحبة . ولا شـــك أن اسمها سوف يكتب فى قائمة « المشبوهين » فى خـــلال الأيام القلائل القادمة .. وأصبح آمن شىء بالنسبة اليهـا هو الخروج من البلاد . بيد أن مغادرة فرنسا كان أمرا عسيرا خطرا .. فيجب أن ينتظروا احدى الفرص المواتية . وربما استطاع أن يجد وسيلة ليضعهـــا فى رعاية ذلك الرجـل الانجليزى الذى ساعد العديد من الفرنسيين التعساء لينجوا بجلودهم من أهوال الثورة الرهيبة .. انه ذلك الرجل الذى يبدو أن أحدا لا يعرف اسمه الحقيقى والذى يفضل أن يطلق عليه اسم زهرة كزبرة الثعلب القرمزية .

الفصل الرابع

كلب المنزل المخلص

لقد تحدثنا بعد العشاء عن شارلوت كورداى .

كانت جوليت متعلقة بمنظر تلك البطلة وكان يروق لها التحدث عنهـــا . كما أحبت أن تسمع ديروليد يتكلم وأن تشعل حماسه .. وأن ترى وجهه الاسمر وقد أضاءته نيران الحماسة التى تتأجج فى صدره .

لقد اعلنت صراحة أنها ابنـــة دوق دى مارنى . وفى الواقع انها عندما ذكرت اسم أبيها وأن أخاها قد قتل فى مبارزة رأت ديروليد ينعم النظر اليها ويتفرس فيها . وكان من الواضح أنه يعجب مما اذا كانت تعرف كل شيء ، ولكنها قابلت حملقته فيها بهدوء وبراءة ، فظهر عليه الرضا .

كان يبدو أن مدام ديروليد لا تعرف شيئا عن ظروف تلك المبارزة وحاول ديروليد أن يستدرج جوليت الى الخارج، ليجعلها تتحدث أكثر عن أخيها . وراحت تجيب عن أسئلته بمنتهى الصراحة ولكنها لم تشر فى كل ما قالته الى حقيقـــة معرفتها عمن قتله .

لقد أرادت أن يعرف من صما حتى اذا كان يخشى فيها عدوا فما زال أمامه متسع من الوقت ليغلق أبوابه من دونها .

ولكنه قبل أن تمضى دقيقة واحدة ، جدد عرضه الذى ينم عن حسن ضيافته اذ قال :

– يجب أن تمكثي معنا حتى يمكننا أن نعد رحلتك الى انجلترا .

لاح لجوليت انه كان غير مبال اطلاق بالاســـاءة التى ارتكبها فى حقها وفى حق والدها .. وكم كانت تفضل أن تراه مرتبكا أو حتى خائفا منها عندما علم من هى . انهـــا لم تفهم انه كان راغبا فى اصلاح ما ارتكبه مدفوعا الى ذلك بطبيعة قلبه المطوق .. فقد اضـــطر الى مبارزة الفيكونت دى مارلى الصغير .. وكان القتال شريفا عادلا .. وأنه هو بذل كل وكله رغبة فى الابقـاء على حياة الشاب .. ولم يكن عازما على ايذاء أخيهـا . لقد كان آلة فى يد القدر .. والآن استعده أن القدر قد يستخدمه الآن هذه المرة كآلة لانقاذ حياتها .

بينما كان ديروليد وجوليت يتحدثان معا رفعت آن مى الأطباق من فوق مائدة العشاء ثم جاءت وجلست على كرسى عند قدمى المدام . ولو أنها لم تشترك فى المحادثة الا ان جوليت شعرت بأن عينى الفتاة كانت تحدق فى عينيهـا بين الفينة والأخرى .

وعندما آوت جوليت مع بترونيل الى غرفة النوم التى أعدت لهما ، تناول ديروليد يد آن مى فى يده وقال :

– ستكونين رقيقة مع ضيفتى يا آن مى ، أليس كذلك ؟ انها وحيدة وتألمت كثيرا .

ابتسمت الفتاة :

ـ ليس اكثر مما عانيت .

ـ أو لست سعيدة يا آن مي ؟ لقد اعتقدت ...

فقالت في غضب عندمـــا طفرت الدموع من عينيهـــا رغما عنها :

ـ أو تسعد أبدا مخلوقة تعسة مشوهة مثلي ؟

فأجاب في شيء من الحزن :

ـ لم أكن أعتقد أنك تعسة .

ثم أردف قائلا :

ـ وأنت لست مشـــوهة بأية حال لا في عيني ولا في عيني والدتي .

فتلاشى غضبها في الحال وتعلقت به وهي تضغط يده بين يديها ثم قالت وهي تضحك ضحكة عصبية قصيرة :

ـ أسألك الصفح ! أنا .. انا لا أعرف ما خطبي هذه الليلة ...

ثم استطردت :

ـ دعني أر .. لقد سألتني ان أكون رقيقة عطوفة مع الآنسة مارني .. أليس كذلك ؟

فأومأ برأسه علامة الموافقة وهو يبتسم .

ـ بالطبع سأكون رقيقة عطوفة معها . ألا ينبغي على كل انسان ان يكون عطوفا مع فتاة صغيرة وجميلة ، ذات

عينين فاتنتين ، وشعر ناعم مجعد ؟ اواه لى ! كم هو ســـهل طريق الحياة بالنسبة لبعض الناس ! ماذا تريدنى ان افعـــل يا بول ؟ ان أسهر عليها ؟ أو ان أكون خادمتها الصـــغيرة ؟ سأفعل كل ذلك ولو انتى ساظل فى عينيها تعسة ومشوهة معا .. مخلوقة جديرة بالشفقة والرثاء ، كلب المنزل اللازم الذى لا يؤذى ...

سكتت لحظة ثم قالت له :

ـ عم مساء .

واستدارت راجعة وهى تحمل شمعة فى يدهـــا ... تتارجح ذبالتها فى تيار الهواء وقد أضاءت الوجه النحيـل الأبيض ، والكتف المشوهة القبيحة التى أكد لها ديروليد انه لا يمكنه أن يراها .

وقالت لنفسها وهى تتسلل من الغرفة :

ـ كلب المنزل اللازم الذى يمكنه أن يراقب ويعقر .. فانا لا أثق بك يا سيدتى الجميلة الصغيرة ، وقد كان هناك شىء فى مهزلة هذا المساء لم افهمه تماما بكيفية ما .

الفصل الخامس

يوم في الغابات

ولو ان الرجال والنساء قد غطوا مدن فرنسا بصيحاتهم ، سفيرهم ، ومحاكماتهم الساخرة ، ومقاصلهم الدامية الا أنهم لم يستطيعوا تماما أن يمنعوا الطبيعـــة من تنفيذ ارادتهـــا الجميلة فى البلاد .

لقد أطلقت على يونيو ويوليو وأغسطس ، أســـماء جديدة .. فقد أصبحت تعرف بميســـيدور ، وترميدور ، وفركتيدور .. بيد انها استمرت تحت هذه الأسماء الجديدة تسكب فوق الارض نفس الفاكهة القديمة . وتفس الازهار ، ونفس الحشـــائش فى المروج ، والأوراق فوق الأشجار . وها هو ذا ميسيدور قد جلب وروده البرية كما كان يفعـــل عندما كانوا يطلقون عليه يونيو . وغطى ترميدور حقـــول القمح بالخشخاش الأحمر البراق . واما فركتيدور ، ولو أنه لم يعد يسمى أغسطس الآن ، فقد وضع لمسة الألوان الأولى على الخدود الشاحبة للفاكهة الآخذة فى النضج .

مضـــت ثلاثة أســـابيع منذ أن استقبلها آل ديروليد ، وها هى ذى جوليت مثل أى فتاة صغيرة فى باريس تتنهد لرأى الريف والاستمتاع بأشعة الشمس وتتوق الى هدوء الغابات وموسيقى الطيور ومنظر الحقول حيث بدات الخضرة الآن ترصعها زهور اللؤلؤ البيضاء .

لقد غادرت المنزل مبكرة فى صحبة بترونيل وجدفت

في النهر حتى سورسن • وكانتا قد احضرتا معهما سسلة بها بعض الخبز والزبد الطازج •• وقليل من النبيذ والفاكهه •• وعزمت على أن تتجول في الغابات لتشق طريقهـا الى المنزل •

كان كل شيء هادئا وقد انقطعت عنهما صيحات وضجيج باريس وعجيجها •• كأنمـا الثـورة قد نسيت تلك القرية الصغيرة من العالم القديم •• قرية سورسن •

قضت جوليت يوما سعيدا •• كانت تحب الزهـور والأشجار والطيور بينما كانت بترونيل صامتة تشاركهـا في مشاعرها • ولما انطوى بعد الظهر وأهلت تباشير المساء وحل ميعاد العودة أقفلت راجعـة الى طريق المنزل وهي تتنهد •

وقد امتثلت جوليت لما اقترحته مدام ديروليد عليهـا فتمنطقت حول وسطها بوشاح مثلث الألوان وزينت رأسها ذا الشعـر المجعد بقبعة من قماش قرمزى وقـد تجمعت الألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء على شكل نجم في جانب منها • وجمعت باقة ضخمة من الخشـخاش الاحمر وزهور اللؤلؤ البيضاء وزهور الترمس الزرقاء •• وقد لاح أن الطبيعـة أيضا تعضد بدورها الالوان الوطنية •• وبدت وهي تتجول بين الأدغال كأنها روح تهيم في الغابات بينما سارت بترونيل خببا وراءها كساحرة عجوز •

توقفت فجأة •• فقد سمعت صوت وقع أقدام تقترب منها • وفي اللحظة التالية ظهر بول ديروليد من بين الاشجار

واقبل ناحيتها مسرعا وابتدرها قائلا :

ـ كم كنا قلقين من أجلك فى المنزل ! وكم كانت أمى متوترة الأعصاب ...

فقاطعته وهى تضحك ضحكة صغيرة مرحة ساخرة :

ـ ولكى تهدىء من مخاوفها جئت تبحث عنى !

ثم اردفت قائلة :

ـ ولكن كيف عرفت أين تجدنى ؟

فأجاب فى هدوء :

ـ لم أكن أعرف .. ولكنهم أخبرونى أنك ذهبت الى سورسن وقد اعتزمت التوجه الى المنزل خلال الغابات . وقد افزعنىذلك اذكان عليك اختراق الحدود الشمالية الغربيةو...

ـ حسن وماذا بعد ؟

فابتسم وراح للحظة ينظر بشغف الى الشـــكل الأنيق الماثل أمامه ثم قال فى ابتهاج :

ـ حسن .. انك تعرفين أن هذا الوشاح المثلث الألوان والقبعة الحمراء غير كافية تماما للتنكر .. انك تبدين كأى شىء اللهم الا كصديقة للجمهورية . وقد أحرزت أن رداءك سيكون نظيفا وان جونلتك الداخلية ما زالت تتدلى منها بعض الشرائط التى جلبت عليك مثل هذه المتاعب من قبل .

فضـــحكت ثانيـــة ورفعت طرف ردائها الجميل قليلا

بأناملها الرقيقة فظهرت من تحته جونلتها الداخلية ذات الحافة المحالات بالشرائط ٠

فقال في شيء من الخشونة :

ـ ياله من استهتار وعبث أطفال !

فردت على الاهانة قائلة :

ـ أكنت تريدني خشنة وقذرة مثـــل أصـــدقائك فى الثورة ؟

ـ استميحك عذرا ٠٠ ولكنني كنت قلقا ٠٠٠

ـ لم يكن لذلك داع ٠٠ فقد أثقلت كاهلك بالكثير من الأحمال ولست راغبة فى اضافة القلق اليها ٠

فقال لها فى هدوء :

ـ انك لم تثقلى كاهلى بالأحمـــــال اللهم الا الامتنان والعرفان بالجميل ٠

ـ الامتنان والعرفان بالجميل ؟ ماذا صنعت من أجلك

ـ انك ارتكبت عملا أحمق طائشا خارج باب منزلى فوهبتيني فرصة تحرير ضميرى من حمل ثقيل ٠

ـ بأية طريقة ؟

ـ لم أجسر قط على أن آمل أن القـــدر سيترفق بى فيسمح لى بتقديم خدمة بسيطة لعضو فى أسرتك ٠

ـ انى أقدر انقاذك لحياتى فى ذلك اليوم يا ســـــيد

ديروليـــد • وأنا أعلم انني ما زلت في خطر وانني مدينة بسلامتي لك • ولكن •••

ـ وهل تعرفين أيضا أن أخاك مدين بموته لي ؟

أطبقت شفتيها بقوة ولم تسعفها الاجابة •• فقـــد غضبت منه لأنه عاد فنكأ جرح قلبها الخفي على حين غرة ودون سابق انذار •

ثم أكمل حديثه قائلا في شيء من العجلة :

ـ كنت أعني دائما أن أخبرك • فقد بدا لي دائما انني كنت أخدعك في الأيام القليلة الماضية • ولست أظن ان في امكانك أن تدركي تماما لماذا أقول لك هذا •• ولكنه واجب أدين لك به • وفي السنوات القادمة قد تعرفين ما خفي عنك فتندمين على الأيام التي قضيتيها تحت سـقف منزلي • لقد نعت عملك بعبث الأطفال منذ لحظة مضت فيجب أن تصفحي عني • أنا أعـــرف انك امرأة ولذا آمل أن تفهميني • اني قتلت أخاك في قتال عادل شريف • لقد أثارني واسـتفزني كما لم يثر ويستفز رجل من قبل •••

فقاطعته بصبر نافد :

ـ أمن الضروري يا سيد ديروليــــد أن تخبـرني بكل هذا ؟

ـ لقد اعتقدت أنه ينبغي عليك أن تعرفيه •

ـ ومن ناحية أخرى •• يجب أن تعرف أنه ليس لدي

الآن وسائل الاستماع لتاريخ هذا العراك من وجهة نظر أخي .

وفي اللحظة التي انبعثت فيهـا هذه الكلمات من بين شفتيها أدركت مدى قسـوة ما تفوهت به . لزم ديروليه الصمت ولم يجبها ولم يعاتبها من أجل الشك الذي القته على اخلاصه .. وربما أدرك للمرة الأولى كيف شعرت بالمرارة لموت اخيها ومدى ما تعانيه من الم الآن عندما علمت أنهـا وجها لوجه مع الرجل الذي صرعه .

لقد اختلست نظرة سريعة اليه من خلال الدموع التي ملأت عينيها فجأة . انها الآن تاسف أسفا عميقا لما قالته .. وخيل اليها كما لو كانت في حرب مع نفسها .. فمن ناحية كان هناك شعور الاحترام والاعجاب الذي تكنه لهذا الرجل .. ذلك الشعور الذي كان ينمو داخلها طوال الأسابيع الثلاثة التي قضتها كضيف عليه وعلى والدته . ومن ناحية أخرى بدا لها أن ذكر اسم اخيها .. وذكرى تلك الليلة المرعبة بجانب جثته .. وتلك السنوات الأربع التي راقبت فيها والدها وهو يدب ببطء نحو قبره ، قد أثار فيهـا روح الشر والمقت اللذين شعرت أنهما ليسا نابعين من نفسها تماما .

ساد السكون الغابات فقد بدأ الليل يرخي سدوله .. وكانوا قد ابتعدوا كثيرا عن سورسن متجهين صوب المدينة . واتي اليها من بعيد صوت قصف مدفع من وراء الحدود .

قال في رفق بعد صمت طويل :

ـ انهم يغلقون الحدود ٠٠ انني مسرور اذ كنت سعيد الحظ عندما قابلتك ٠

فقالت في تواضع :

ـ كان عطفا منك ان تبحث عني ٠ اني لم أقصد ما قلته الآن ٠٠٠٠

ـ أتوسل اليك الا تقولي شيئا آخر عن ذلك اذ يمكنني ان افهم جيدا ٠٠ وفقط ارغب ٠٠٠٠

فقالت في هدوء :

ـ يحسن ان أغادر منزلك ٠ فقد أسأت لك الجزاء على حسن ضيافتك ٠٠ ويمكنني أن أعود مع بترونيل الى مسكننا في سهولة ويسر ٠

ـ بيد أنك ستجعلين امي حزينة اذا تركتها الآن ٠ لقد أصبحت مغرمة بك للغاية ، وهي تعرف كما أعرف تماما مدى الأخطار التي قد تتعرضين لها خارج منزلي ٠ ان أصدقائي في الثورة الخشنين القذرين ، كما تطلقين عليهم ، يتميزون باخلاصهم لي ولن تمتد أيديهم اليك بأذى طالما انت تحت سقفي ٠

فتمتمت قائلة :

ـ ولكنك ٠٠٠٠

شعرت انها قد جرحته جرحا عميقا فغضبت من نفسها لما بدا من أنها جاحدة لجميله ومع ذلك فقد سرها أن لديها القوة على أن تجرح ٠

قال فى برود :

ـ لن يكون هناك ثمة ما يدعو لخوفك من أن يكون وجودى سيضايقك أكثر من هذا يا آنسة . ويمكنني أن أفهم تماما كم يكون ذلك بغيض بالنسبة اليك ولو أننى كنت أرغب فى أن تعتقدى على الأقل فى اخلاصى .

ـ هل ستذهب اذن ؟

ـ ليس خارج باريس تماما .. فقد قبلت منصب حاكم سجن الكونسيرجيرى .

ـ آه ! .. حيث الملكة المسكينة ....

وتوقفت عن الحديث فجأة ... فان الكلمات البسيطة كانت خيانة ضد الجمهورية .. فاستدارت كما كان يفعل كل انسان فى تلك الأيام ، والقت نظرة سريعة خلفها .

فقال :

ـ ليس هنـــاك ما يدعو الى الخوف فلا أحد هنـا غير بترونيل .

ـ وأنت .

ـ وأنا ؟ ولكننى أردد كلماتك . مســـكينة مارى انطوانيت !

ـ أو تشفق عليها ؟

ـ وهل فى استطاعتى غير الاشفاق عليها ؟

ـ ولكنك نائب في برلمان الجمهورية المرعب الذي سيحاكمها ويدينها ويعدمها كما أعدموا الملك .

ـ انني من برلمان الجمهورية ولكنني لن أدينها ولن اسهم في مثل تلك الجريمة . واني ذاهب كحاكم لسجن الكونسيرجيري لمساعدتها اذا استطعت .

ـ ولكن معنى هذا أنك تقامر بحياتك اذا صادقتها !

فردد قولها :

ـ كما تقولين يا آنسة .. سأدفع حياتي ثمنا اذا صادقتها .

فتطلعت اليه وقد عادت تحملق فيه في فضول .

ما أغرب الرجال في تلك الأيام ! بول ديروليد نائب البرلمان الجمهوري ومعبود جماهير باريس كان على وشك المخاطرة بحياته من أجل المرأة التي ساعد في الاطاحة بها من فوق عرشها .

ما أعظم مشاركته لشعور الآخرين ! ان شفقته لم تنته عند فقراء باريس الجياع وانما لحقت بشارلوت كورداي ولو أنها أخفقت في انقاذها .. وامتدت الآن الى الملكة التعسة السجينة .

سألته :

ـ متى سترحل ؟

ـ غدا مساء .

لم تقل شيئا آخر .. فقد وصلوا الى حافة الغابة . واذا بالزهور التي جمعتها تسقط من بين يديها واحدة اثر أخرى في أثنـــاء سيرها .. فسقطت زهور الترمس الزرقاء أولا ، وتبعتها زهور اللؤلؤ البيضـــــاء ، أما زهور الخشخاش الحمراء ذات الأعناق الطويلة الرفيعة فقـــد تعلقت بيديهـــا أكثر من البقية .. وها هي ذى في النهـــاية قد جعلتهـــا تسقط أيضا فرادى كقطرات كبيرة من الدم . كانت تستطيع أن تسمع ضوضاء المدينة المألوفة ، وقرع الطبول ، وصيحات الغوغاء الهائجة العالية الذين يقفون حول أبواب باريس في هذا الوقت من كل مساء انتظارا لبعض عمليات القبض الهامة ربما على أرستوقراطي يحاول الافلات من انتقام الشعب .

كان ديروليد مستغرقا في أفكاره وبدا غير متنبه اليها .. ولكنه أفاق من تاملاته عند الحدود واخراج جوازات المرور الخاصة التي مكنت وحدها جوليت وبترونيل من دخول المدينة ثانية . أما هو نفسه كمواطن نائب فقد كان في استطاعته أن يأتي ويذهب كما يشاء .

ارتجفت جوليت عندما اغلقت البوابة الكبيرة خلفهـــا وخيل اليها كأن هذا اغلاق حتى لذكرى هذا اليوم السعيد في الغابات .

انها لم تكن تعرف باريس جيدا ، وتساءلت أين يربض سجن الكونسيرجيرى المظلم الكئيب حيث كانت تعيش الملكة ماري انطوانيت أيامها الأخيرة . ولكنها عندما عبروا الجسر

بدأت تدرك أبراج المدينة العظيمة : نوتردام . الكاتدرائية ، ميكل سان جرفيه القاتم وخلفها قصر اللوفر · وكم بدت مأساتها الخاصة تافهة وسط هذه المسرحية العظيمة التي كانت تمثل حولها ·· ماذا يكون يمينها وانتقامها اذا قورن بتلك الثورة العظيمة المتأججة النيران التي اكتسحت عرشا وصبت انتقامها على رءوس الآلاف ·

احست أنها صغيرة وتافهة ، وخجلت من السرور الذى شعرت به فى الغابات ، واحست بالخزى من شعور الاعجاب والشفقة نحو الرجل الذى أصابها هى وأسرتها بجرح عميق مما يجعلها تبدو ضعيفة مترددة في أن تأخذ بثأرها ·

عاودتها ذكرى تلك الليلة التى أحضروا فيها جثة أخيها الى المنزل وشعرت أن هدفها قد استمد قوة جديدة · ان الرجل السائر بجوارها ، الذى أساء اليها والى أهلها ، قد اشار بنفسه الى الطريقة التي يمكنها من المحافظة على ما أقسمت به وأن تجلب له الدمار ·

الفصل السادس

زهرة كزبرة الثعلب القرمزية

مرت بضع ساعات .. وكانت السيدات تجلسن في غرفة الاستقبال صامتات قلقات .

وما أن رفعت مائدة العشاء حتى جاء زائر ومكث وحده مع بول ديروليد في غرفة مكتب الأخير حيث أمضى الساعتين الأخيرتين .

كان شخصا مديد القامة ، تبدو عليه سيماء الكسل لحد ما ، وكان يجلس الى منضدة وجها لوجه مع المواطن النائب . وكان على المقعد المجاور له معطف يعلوه غبار رحلة طويلة ، ولكنه كان يرتدي ملابس تدل على ذوق رفيع وعلى كفاءة حائكها . وعلى عكس ديروليد كان فارع الطول ذا شعر جميل وعينين زرقاوين يطل منهما العطف ، وعندما تحدث كان يشوب نطقه أثر طفيف للكنة أجنبية فكان يمد حرفي الواو والألف بما يشي بالرجل الانجليزي أمام مستمع قوي الملاحظة .

استمر الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث في هدوء ولهف بعض الوقت .. وكان الرجل الانجليزي الطويل يرقب صديقه في حدة وقد ارتسمت ابتسامة سرور حول ركني فمه وفكه اللذين ينمان عن الحزم وأخذ ديروليد يسير جيئة وذهابا في قلق . وأخيرا قال ديروليد وهو يضع يده في انفعال فوق كتف رفيقه :

ـ ولكنني لا أفهم كيف تسنى لك أن تصل باريس يا عزيزي بلاكني ! .. فحكومتنا لم تنس زهرة كزبرة الثعلب القرمزية .

فاجاب بلاكني وهو يضحك ضحكته المرحة القصيرة :

ـ أوه .. لقد أخذت ذلك في اعتباري .. وبالفعل .. لكي أكون واثقا من أنهم لم ينسوا أن أرسلت الى تلفيل نبذة صـــغيرة هذا الصباح أخطره فيها « أن زهرة كزبرة الثعلب القرمزية » موجود بلحمه وشحمه في باريس .

ـ انك مجنون يا بلاكني !

ـ ليس تماما يا صديقي . وأؤكد لك أن الأمر لم يكن مجرد حماقة مني أن جعلت نائبكم العمومي يعلم بوصولي .. فلدي فكرة عما انتويته مع بعض اصدقائك المجانين ، لذا فقد عبرت من انجلترا منذ أيام قلائل في اليخت « حلم اليقظة » لأرى ان كان من الممكن أن أسهم في هذا المزاح .

فتساءل الآخر بمرارة :

ـ أو تسميه مزاحا ؟

ـ اذن فهل أطلق عليه ما هو خليق به ؟ انه مغامرة جنونية لا معنى لها .. ليس لها سوى نهاية واحدة ... المقصلة لكم جميعا .

ـ ما الذي يجعلك تفكر كذلك ؟

ـ يا عزيزي ديروليد ، ان الملكة في السجن ، وهي على وشك أن تحاكم .. وستدان اذا حوكمت .. ولدي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن جماعة من السادة الحمقى وانت على رأسهم على وشك ان يحاولوا انقاذها . وأود أن

اقول لك انها من اشد الخطط غباوة وعدم فطنة جالت في عقل رجل فرنسي ٠

فابتسم ديروليد ٠

ـ ألا يبدو غريبا يا بلاكني أن تجلس هناك من دون الناس جميعا وتدين أى شخص بأنه يضع خططا لاشـــياء تتسم بالحمق وقلة الوعي ؟

فاستوى بلاكني واقفا على قدميه ومد أذرعه الطويلة الخاملة ٠

ـ دعنى اقول لك أيهـــا الصـــديق ان « زهرة كزبرة الثعلب القرمزية » لم يحاول المستحيل قط ٠٠ وأن محاولة جذب الملكة من بين يدى حكومتكم القاتلة ان هى الا من قبيل المستحيلات ٠

ـ ومع ذلك فقد آلينا على أنفسنا أن نحاول ٠

ـ أعرف ذلك ولقد أحرزته ٠٠ ومن أجل هذا قدمت ٠٠ ولهذا أيضا أرسلت مذكرتي الصغيرة الى لجنة الأمن العام ممهورة بالعلامة التى يعرفونها جيدا : زهرة كزبرة الثعلب القرمزية ٠

ـ ولكن لماذا ؟

ـ حسن ٠٠ أليست النتيجة واضحة ؟ روبسبير ، ودانتون ، وتنفيل ، ومرلين وبقيتهم سوف يكونون في شغل شاغل بحثا عنى ٠ وعندما تفشل محاولتكم كما هو المنتظر

بالتأكيد سوف ينسبونها الى ، ويمكنكم – وانى اقترح فقط انه يمكنكم – تجنب عاقبة حماقتكم والهرب فى امان الى خارج فرنسا بمعاونتى ٠

– ولكنهم سيكتشفونك فى تلك الأثناء ، وسيحرصون على ألا يدعونك تهرب كما هربت عدة مرات من قبل ٠

فضحك بلاكنى منشرحا ٠

– عفوا يا صديقى ! ان حياتى قد أصبحت ثمينة بالنسبة لى ٠٠ وهناك شخص الآن فيما وراء البحر سوف يبكى اذا لم أعد ٠٠ كلا ! ٠٠ كلا ! ٠٠ لا تخف قط ٠٠ انهم لن يقبضوا على زهرة كزبرة الثعلب القرمزية هذه المرة ٠

ولاح كأنما هذا الوجه القوى الصارم قد رق عندما مرت فى ذهنه الزوجة الجميلة التى تقطن انجلترا ، والتى تنتظر أوبته سالما على أحر من الجمر ٠

سأل ديروليد فى شىء من المرارة :

– ومع ذلك فسوف لا تمد لنا يد المعاونة لانقاذ الملكة ؟

– لست مستعدا لمعاونتكم فى شىء مستحيل ٠٠ ولكننى سأساعد فى اخراجكم من الحفرة عندما تتردون فيها ٠

فأجاب الآخر فى حماسة :

– اننا لن نبوء بالفشل ٠

فتقدم سير برسى بلاكنى من صديقه ووضع يده فوق كتفه قائلا :

– هلا اطلعتنى على خططكم ؟

فابتدره ديروليد قائلا :

– لم يشترك فى ذلك سوى قلة ٠٠ بيد أننا سنحظى بعطف الكثيرين ٠ ولدينا الكثير من المال بالطبع وأيضـــا التنكر اللازم للسيدة الملكية ٠

– نعم ؟

– لقــد سعيت وراء وظيفة حاكم سجن الكونسيرجيرى ونجحت فى مسعاى ٠٠ وانى ذاهب الى هناك فى الغد ٠وفى نفس الوقت أعــد الترتيبـــات اللازمة لأمى ولآخرين ممن يعتمدون على كى يغادروا فرنسا فى الحال ٠ وانا مازلت أتمتع بشعبية كبيرة ٠٠ وفى استطاعة أسرتى أن تذهب انى تشاء بملء الحرية ٠٠ ولكن يجب أن أذهب بهم الى خارج فرنسا ٠٠ فى حالة ٠٠ فى حالة ٠٠

– بالطبع انى أفهم ٠

– وحالما أتأكد من أنهم آمنـــون فى انجلترا ٠٠ فان أصدقائى وأنا نستطيع أن نقوم بتنفيذ خطتنا ٠ ونحن نأمل فى اخراج الملكة متخفية فى ثياب أحد رجال الحرس الوطنى ٠ وكما تعرف سيكون من واجبى أن أقوم بالتفتيش النهــائى

كل ليلة فى السجن والتأكد من أن كل شيء آمن فى الليل. وهناك حارسان يتوليان الحراسة طوال الليل فى الحجرة المجاورة لتلك التى تشغلها الملكة .. وهما عادة يحتسيان الخمر ويلعبان الورق الليل بأكمله . وسوف أتحين فرصة لوضع مخدر فى البراندى ومن ثم ستتكفل بهما ضربة فوق الرأس ليغيبا عن الوعى . ان هذا أمر سهل للغاية . وبعدئذ ...

ـ حسن ؟ .. وبعدئذ كيف ستجتاز يا صديقى نقط الحراسة القوية الخمس والعشرين المنتشرة خارج الكونسيرجيرى ؟

ـ ان لى الحق كحاكم ان أجيء وأروح كما يحلو لى وسوف تتبعنى الملكة فى ملابس أحد حراسى .

ـ حقا ! كأحد حراسك وقد تدثرت حتى عينيها بمعطف طويل لتخفى وجهها النسائى وراءه ! .. ان مانزمع عمله لا يخدعن طفل ، اننى فى باريس منذ ساعات قلائل .. ومع ذلك فقد أدركت للتو أنه لا يوجد مواطن واحد داخل أسوارها لا يشك فى هذه اللحظة ان هناك مواطنا آخر يدبر لهروب الملكة .. ولن يسمح قط لشخص يتدثر فى معطف بالمرور من بوابات باريس .

ـ ولكن آخرين هربوا .. فلماذا لا تهرب الملكة ؟

ـ لانها امرأة وكانت ملكة . هل تستطيع أن تحملها وتدفعها فى قاع مركبة قذرة وأن تكدس فوقها أجولة البطاطس ؟ لقد فعلت ذلك مع آخرين ونجحت فى تهريبهم.

ولكن هل نستطيع أن نفعل ذلك أو أى شىء شبيه به مع مارى انطوانيت ؟ ان كبرياءها تعنى بالنسبة لها أكثر من الحياة . وقد تشى بنفسها وبك فى لحظة على أن ترضخ لضياع كرامتها وعزة نفسها .

ـ ولكن أتتركها لمصيرها ؟

ـ وماذا فى استطاعتنا أن نفعل ؟ أو تظن أنك تحتاج الى أن تستثير عاطفة الشرف فى عصبتى ؟ هناك عشرون منــا يعطفون قلبا وروحا على خططكم الجنونية .. مسكينة ... يا للملكة المسكينة ! ولكننا واثقون من فشلكم وسوف نفشل معكم .

ـ لا بد أن ننجح اذا مددتم لنا يد المعونة .. ولقد اعتدت أن تقول فى وقت من الاوقات فى زهو وخيلاء : « ان عصبة زهرة كزبرة الثعلب القرمزية لم تفشل قط » .

ـ لأنها لم تحاول شيئا لا تســـتطيع القيام بعبئه . ولكنك ما دمت تلح على هكذا بشدة فسأفكر فى الأمر .

وضحك ضحكته الجوفاء التى خدعت أذكياء الرجال فى مملكتين وجعلتهم يعتقدون أن السير برسى بلاكنى أحمق .

تقدم ديروليد من المكتب الضخم المصنوع من خشب البلوط والذى كان رابضا قبالة منتصف أحد الجدران ... وفتحه وأخرج منه حزمة من الأوراق .

وناولها لبلاكني سائلا اياه :

ـ هلا تكرمت بالنظر فيها ؟

ـ ما هذه ؟

ـ خطط مختلفة قد أعددتها في حالة اخفـــاق خطتي الأصلية •

فقال بلاكني :

ـ عليك باحراقها يا صديقي •• ألم تتعلم بعد المدرس القائل بعدم وضع اشياء على الأوراق قط ؟

ـ لا أستطيع أن أحرق هذه •• فأنت ترى أنني لن أستطيع أن أتجاذب أطراف احاديث طويلة مع الملكة •• ويجب أن أعطيها خططي مكتوبة حتى تستطيع أن تدرسهـــا حتى لا تفشل بسبب افتقارها للمعلومات الخاصـــة بالجانب الذي ستقوم به •

ـ ان هذه الأوراق لو عثر عليها لأرسلتك الى المقصلة دون محاكمة •

ـ اني حذر ولا يرتاب في أحد حاليا • زد على ذلك أن من بين الأوراق جوازات سفر اقتضت مني شهورا لجمعهـــا • وقد حصلت عليها تدريجيـــا واحدا اثر الآخر حتى لا أثير الشبهات •• واني الآن على استعداد لأن •••

وتوقف فجأة فقد لمح في وجه صديقه نظرة حملت اليه تحذيرا سريعا •

استدار فرأى جوليت تقف وهي تبتسم في لطف عند

مدخل الباب وقد بدا وجهها ممتقعا قليلا فى ضوء الشموع الخافت ٠

كان بلاكنى يرقب الفتاة الصغيرة فى هدوء وتمعن وهى واقفة عند مدخل الباب ٠ وبدت مترددة ٠٠ ثم قالت :

ـ لقد ارسلتنى مدام ديروليد ٠٠ وهى تقول انـنـا فى ساعة متأخرة وهى فى غاية القلق ٠٠ فهلا اتيت لتطمئنها يا سيد ديروليد ؟

فأجاب بخفة بعد أن ألقى بالأوراق معيـــدا اياها الى المكتب :

ـ فى لحظة يا آنسة ٠

ثم أردف قائلا :

ـ لقد انتهيت الآن من الحديث مع صديقى ٠٠ فهـــل تسمحين لى بشرف تقديمه ؟ ـ السير برسى بلاكنى سـائح من انجلترا ٠ وهذه الآنسة جوليت دى مـــارنى ضيفة أمى يا بلاكنى ٠

الفصل السابع

تحذير

انحنى السير برسى انحناء شديدا الى أسفل بالصورة اللطيفة ولكن المبالغ فيهـــا في ذلك الوقت . انه لم ينطق بكلمة منذ نظرة التحذير الأولى التي جذب بها انتباه صديقه الى الفتاة الصغيرة الواقفة عند مدخل الباب . وكما جاءت بهدوء تسللت جوليت خارجة من الحجرة .

ساد الصمت لحظة .. وكان ديروليد يغلق مكتبـــه ويدس المفاتيح فى جيبه .

وقال وهو يتقدم نحو الباب :

ـ هلا قابلنا امى للحظة يا بلاكنى ؟

فاجاب السير برسى :

ـ ساكون فخورا أن أقدم احترامي لمدام ديروليد .. ولكن قبل أن نختتم الحديث فى هذا الموضوع أعتقد أننى ساغير رأيي بخصوص هذه الأوراق . اذا كنت سأعاون بأية وسيلة فمن الأفضل بالنسبة لى أن القى نظرة عليها وأن ادلى اليك برأيى فى خططك .

تفرس فيه ديروليد لحظة وقد قطب وجهه قليلا .

وأخيرا قال وهو يتقدم نحو مكتبه :

ـ بكل تاكيد .. وساظل معك أثناء اطلاعك عليها .

فقال السير برسى بخفة :

ـ كلا .. ليس الليلة يا صديقى .. فالساعة متاخرة

والمدام فى انتظارنا • ان الأوراق ستكون فى أمان معى اذا وثقت بها فى رعايتى •

وبدا التردد على ديروليد •

فضحك السير برسى قائلا :

ــ ربما لا تستطيع أن تثق بى تماما ؟

فقال ديروليد فى هدوء أخيرا :

ــ كلا •• ليس الامر كذلك يا بلاكنى •• فليس هناك سوء ظن من قبلى •• وانما سوء الظن كله من ناحيتك •

فابتدره السير برسى قائلا :

ــ حقا ! •••

ــ كلا •• كلا •• استحلفك الا تحاول الايضاح • لم يغب عنى ان أرى نظرة الشك التى قفزت فى عينيك لدى ظهور الآنسة دى مارنى الفجائى • اننى أقيم وأقدر صداقتك ولكننى يجب أن اذكر لك كم هو سوء ظنك غير عادل نحو أفضل وأطهر النساء التى وطئت قدماها أرض الله •

ــ أو هو ! •• اذن فالأمر هكذا •• فالأمر هكذا ؟ ان بول ديروليد يحب !

فقال ديروليد وهو يتنهد :

ــ نعم •• فأنا أحب حبا أعمى بجنون وغباء يا صديقى •• واخشى ان يكون حبا بلا أمل !

ــ ولكن لماذا بدون أمل ؟

ــ انها ابنة المرحوم الدوق دى مارنى •• وهو واحد

من الأسماء العريقة فى فرنسا وهو من غلاة الملكيين ...

ـ آه ! .. وهذا يفسر لنا تعاطف المواطن النائب مع الملكة !

ـ كلا ! فقد جانبك الصواب هنا . انني كنت سأحاول انقاذ الملكة حتى اذا لم أكن قد عرفت أو أحببت جوليت . ولكنك ترى الآن كم كانت شكوكك غير عادلة .

ـ وهل شككت ؟

ـ بالطبع ولا تحـــاول أن تنكر . أو لم تستحثنى على احراق تلك الأوراق منذ لحظة مضت ؟ لقد اعتبرتها عديمة الجدوى وخطرة والآن تريد ...

ـ ما زلت اعتقد أن لا طائل منها وأنها خطرة . وأرغب بقراءتها أن أؤكد رأيى .

ـ ولكننى اذا كنت سأحفظها معك الآن سيبدو أننى أسيىء الظن بها .

ـ انك تحب يا عزيزى ديروليد .. وقد استحوذ الحب على عقلك !

ـ كيف أستطيع أن أقدم على ذلك ؟ لقد عشت معهـا تحت سقف واحد ثلاثة أسابيع الآن .. وبدأت أفهم كم هى شبيهة بالقديسات .

ـ حسن اذن . دع الاوراق فى مكتبك .. وضع ثقتك بها اذا أردت .. ولكن تذكر أن تمثالك المعبود قد تكون له أقدام من الطين .

الفصل الثامن

آن مي

في تلك الليلة ، بينما كان بلاكني يسير في شارع مدرسة الطب ميمما وجهه شطر مسكنه وقد تدثر بمعطف ، احس فجأة بيد تمسك بأحد أكمامه •

وقفت آن مي بجواره وهي تختلس النظر بوجههــــا الشاحب الى الرجل الانجليزى المديد القامة من تحت قلنسوة قاتمة قد شدت باحكام أسفل ذقنها •

قالت في خوف :

ـ سيدي •• أستميحك عذرا لتعقبي اياك • انى •• انى أود أن أحادثك خمس دقائق •• فهل لى أن أطمع في ذلك ؟

تطلع اليها في عطف دافق ، ولان وجهه القوى امـام منظر الكتف المشوهة المسكينة ، والألم الذى ارتسم على الفم الصغير ، ونظرة العجز التى تدعو الى الرثاء •

قال في رفق :

ـ بكل تأكيد يا آنسة •• سيكون من دواعي فخرى اذا استطعت أن أخدمك على أى وجه •• وانى أتوسل اليك أن تصدرى أمرك لى •

ثم أردف قائلا عندما لاحظ نظرة الذعر التى تطل من عينيها :

ـ ولكن هذا الشارع لا يكاد يناسب حديثا خاصا ..
فهل نحاول العثور على مكان افضل ؟

وشرع يقودها من أمام حدائق لوكسمبرج .. تلك التي كانت في يوم ما أرض الملذات الكبرى للارستقراطيين .. ولكنها الآن قد تحولت الى مدينة صغيرة للأفران الضخمة حيث تصنع فيها المدافع للدفاع عن الجمهورية المحاصرة بالأعداء .. ففرنسا تدفع بأبنائها رغم مالاقوا على يديها من تعذيب وصل الى حد الموت .. فهي ما زالت أمهم . ان الوطن يحتاج الى اذرعتهم ضد العدو الاجنبي .. فانجلترا تهدد من الشمال وبروسيا والنمسا من الشرق . القت آن مي وهي متعلقة بذراع بلاكني نظرة فزعة للأفران الهائلة وهي تزار زئيرا مخيفا .. ثم عبرا ميدان القديس ميشيل صوب النهر الى حيث المكان أكثر هدوءا .

قال بلاكني مقترحا :

ـ اعتقد انه من الأفضل الا نجلس .. ومن الأحكم لك أن ترفعي قلنسوتك من على وجهك .

ولما رأى أن الفتاة الصغيرة يلوح عليها انها تجد مشقة في الجهر بما يجول في خاطرها قال لها في عطف :

ـ لقد أردت أن تتحدثي الى عن بول ديروليد . انه صديقي كما تعرفين .

فأجابته قائلة :

ـ نعم ٠٠ ولهذا أردت أن أوجه اليك سؤالا ٠

ـ ما هو ؟

ـ من هي جوليت دى مارني ولماذا كانت تنشد دخول منزل بول ؟

ـ هل كانت تنشده اذن ؟

ـ نعم ٠٠ في اليوم الذى انقذها فيه بول من الغوغاء ٠٠ لقد شاهدت المنظر من الشرفة ٠ في ذاك الوقت لم أكن افهم ما حدث ٠٠ وفقط اعتقدت أنها غبية عنيدة ٠٠ ولكنني منذ ذلك الحين أخذت أقدح زناد فكرى حول هذا الامر ٠ لقد اغضبت الغوغاء عن عمد في اللحظة التي وصلت فيهـــا الى باب السيد ديروليد ٠ ثم صاحت طالبة الغوث وهي تعلم انه سيلبي النداء ٠ كان هذا تحايلا كي تدخل منزله ٠

كانت تتحدث الآن في سرعة وانفعال ، وقد الفت عن كاهلها كل خجل وخوف ٠ وقد اضطر بلاكني أن يوقفهـــا لئلا تجذب انتباه أحد عابرى السبيل ٠

سكتت الفتاة الصغيرة كأنما خجلت من انفعالهـــا ، فقال لها :

ـ حسن ! والآن ؟

فاستأنفت آن مى حديثها في هدوء أكثر :

ـ والآن انها ما زالت مقيمة في المنزل يوما اثر يوم ٠

لماذا لا ترحل ؟ انها ليست آمنة هنا في فرنســا •• فهي تنتمي لأبغض الطبقات جميعــا •• الارستوقراطيين الأثرياء الخاملين • وقد اقترح بول عدة مرات خططا لترحيلهــا الى انجلترا •• غير أن مدام ديروليد تحبها ولا تريد أن تفارقها ولكن من الواضح انه من الاحكم لها ان ترحل • ومع ذلك فهي تقيم في المنزل • لماذا ؟

ـ ربما لان •••

فقاطعته آن مي مغضبة :

ـ لأنها تحب بول ؟ كلا •• كلا •• انها لا تحبه •• انني في بعض الأحيان أعتقد أنها تمقته ، وتارة أخرى أكون في حيرة • ان عينيها تلمعان لدى قدومه •• ويبدو عليهــا عدم الارتياح عند رحيله • ولطالما تقضي الساعات الطويلة في التأنق عندما تتوقع عودته لتناول الغداء • ولكنهــا اذا كانت تحبه ، فهو حب من نوع غريب •• حب لن يجلب له الخير •

ـ ولماذا تعتقدين ذلك ؟

ـ لا أستطيع أن أدلي لك بالاسباب • انني لا أعرف • ان هذا لا أستطيع شرحه • ولكنني أعرف ذلك واشعر به •

ـ ولكن ربما كان حبك لبول ديروليد هو الذي أعماك وحجب بصيرتك • آه ! معذرة يا آنسة اذا كانت كلماتي قد جرحتك ، ومع ذلك فاني أود أن تعلمي كم أشاركك الشعور

بعمق ٠٠ وكم ارغب بشدة في أن أسدي اليك خدمة اذا كان ذلك في استطاعتي ٠

ـ كنت على وشك أن أطلب منك خدمة يا سيدي ٠

ـ اذن فامرني ٠٠ أتوسل اليك ٠

ـ انت صديق بول ٠٠ فهلا أقنعته أن وجود هـــذه المرأة في منزله خطر عليه ٠

ـ انه لن يصغي الي ٠

ـ أوه ! ان الرجل يستمع دائما لنصيحة رجل آخر ٠

ـ اللهم الا في موضوع واحد ٠٠ المرأة التي يحبها ٠

نطق بالكلمات الأخيرة بكل رفق ولكن في حزم بات ٠ كان في غاية الألم وأعمقه من أجل الفتاة المسكينة العاطلة عن الجاذبية التي قدر لها ان تشهد أشد المآسي هولا بالنسبة للمرأة ٠٠ حرمانها من السعادة في الحب ٠ بيد انه ادرك في هذه اللحظة أن اخبارها بالحقيقة كاملة أدعى للعطف عليهـــا ٠ لقد علم أن بول ديروليد قـــد وهب قلبـــه كلية لجوليت دي مارني ٠ وكان كان مي لا يثق في هـــذه الفتاة الجميلة وصمتها المطبق العجيب ، ولكنه يدرك أيضا أن أي اثم قـــد تقترفه جوليت لن ينتزعها من قلب صديقه حتى لو تحقق من أنها مخادعة أو حتى خائنة ٠٠ فانها سوف تظل تحتل في نفس ديروليد مكانا لن يستطيع أحد آخر أن يشغله ٠

واخيرا سألت آن مي :

ـ هل تعتقد أنه يحبها ؟

ـ انني واثق من ذلك ٠

ـ وهي ؟ هل تحبه ؟

ـ آه ! لا أدري ٠

ـ انها مخادعة ٠٠ وأقول لك انها تدبر لخيانته ٠

ـ اذن فكل ما يمكننا عمله هو أن ننتظر ٠

ـ ننتظر ؟

ـ نعم ٠٠ ونراقب في حذر وحماس طوال الوقت ٠٠ ولكنني أعدك بأن ديروليد لن يصاب بأذى ٠

ـ عدني بأن تفرق بينه وبين تلك المرأة ٠

ـ كلا ٠٠ فذلك فوق طاقتي ٠ ان رجلا مثل بول ديروليد يحب مرة واحدة فقط في حياته ، وهو حين يفعل فانه يحب حبا أبديا خالدا ٠

صمتت ثانية ، وهي تطبق شفتيها بقوة كأنما تخشى ما عساها قد تتفوه به ٠

ثم أردف قائلا :

ـ سيكون من واجبك أيضـــــا أن تسهرى على بول ٠ وأعتقد أنه سوف لا يكون لدينا ثمة ما نخشاه عليه اذا ماتوليت حراسته وحمايته في ظل صداقتك ٠

فأجابت بهدوء :

ـ نعم ٠٠ سأراقب ٠

وأوصل الفتاة التعسة في رفق عائدا بها نحو شـــارع مدرسة الطب ٠

الفصل التاسع

غـيـرة

افترق بلاكنى عن آن مى عند باب ديروليد ‏٠٠‏ ودخلت الفتاة المنزل بمفتاحهـــا الخاص وأغلقت الباب الثقيل بلا ضوضاء ‏٠٠‏ وصعدت الى الطابق العلوى فى هدوء آملة ألا يراها أحد ‏٠٠‏ ولكنها ما أن بلغت قمة الدرج حتى قابلت بول ديروليد الذى خرج لتوه من غرفته وهو لم يزل مرتديا ثيابه كاملة ‏٠‏

قال لها بصيحة فرح :

ـ آن مى !

فسكتت الفتاة الصغيرة لحظة وقد ازداد وجيب قلبها كأنما تأمل سماع هذه الصيحة مرة أخرى ، وهى تشعر بأنه كان حقا مسرورا برؤيتها ، وأنه كان قلقا بسبب غيبتهـــا الطويلة ‏٠‏

وأخيرا سألته قائلة :

ـ أكنت قلقا ؟

فقال متعجبا :

ـ قلقا ! إبنتها الصغيرة ‏٠٠‏ اننى لم أجرؤ على الذهاب الى مخدعى عندما عرفت أنك قد غادرت المنزل وحـدك فى وقت متأخر ‏٠‏

ـ كيف عرفت ؟

ـ ان الآنسة دي مارني طرقت بابي منذ ساعة مضت ٠ لقد ذهبت الى غرفتك لتحادثك وعندما لم تعثر عليك هناك قلبت المنزل بحثا عنك ثم أقبلت نحوي أخيرا في قلق وانفعال ٠ اننا لم نجرؤ على اخبار والدتي ٠ وانني لن أسالك أين كنت يا آن مي ، ولكن تذكري أينها الصغيرة في المرة القادمة ان شوارع باريس ليست آمنة وان أولئك الذين يحبونك يقاسون كثيرا حينما يعلمون أنك في خطر ٠

فتمتمت الفتاة وهي تلهث :

ـ أولئك الذين يحبونني !

ـ أما كان في استطاعتك أن تسأليني مصاحبتك ؟

ـ كلا ٠٠ لقد أردت أن أكون وحيدة ٠٠ كانت الشوارع آمنة تماما و ٠٠ وأردت أن أتحدث مع السير برسي بلاكني ٠

ولما كانت الفتاة غير معتادة على الكذب ، أفلتت الحقيقة من بين شفتيها رغما عنها ٠

فصاح في دهشة وعجب :

ـ مع بلاكني ؟ لماذا ٠٠ ماذا كنت تريدين قوله له ؟

ـ ظننت أنه يستطيع معاونتي ٠٠ فقد كنت في مأزق ٠

فقال لها ديروليد بلهجة تحمل عتابا رقيقا وهو لم يزل في حيرة من سلوكها غير العادي :

ـ وقد ذهبت اليه بدلا مني ؟

ـ ان قلقى كان من أجلك وانت كنت ستسخر منى لو فاتحتك فى الأمر ٠

ـ من المؤكد أننى ما كنت لأسخر منك قط ٠ ولكن لماذا كنت قلقة من أجلى ؟

ـ لأننى أراك تسير معصوب العينين نحو خطر جسيم ولأننى أراك تثق فى أولئك الذين ينبغى عليك الا تأمن جانبهم ٠

فقطب جبينه قليلا وعض شفته ليئد كلمة الغضب التى كانت ترف فوق طرف لسانه ، وتساءل قائلا :

ـ هل السير برسى بلاكنى أحد الذين يجب الا آمن جانبهم ؟

ـ كلا ٠

ـ اذن فليس هناك موجب لقلقك يا عزيزتى ٠ انه الشخص الوحيد من أصدقائى الذى لم تعرفيه جيدا وانت تعلمين انك يمكنك ان تثقى فى كل أولئك الذين يحيطون بى الآن وتحبينهم ٠

وتناول يدها ٠٠ كانت ترتجف واستطاعت أن تعرف من لهجة كلماته الاخيرة أنه تكهن بما كان يدور فى خلدها فخجلت فى أعماق نفسها مما بدر منها ٠ لقد مزقها عذاب الغيرة فى الأسابيع الثلاثة الأخيرة ٠٠ ولكنها على الاقل تألمت وحدها ٠٠ ولم تسمح لأحد ان يعلم مدى المرارة التى عانتها

قلبها ٠٠ ولكن مسلكها الآن قد أدى الى أن رجلين قد عرفا سرها ٠ بيد أن كلاهما كان عطوفا ودودا ٠٠ ولكن ها هـو ذا ديروليد لم يبال بتحذيرهـا ٠٠ ولم يســــتطع بلاكنى معاونتها ٠

كانت على استعداد في هذه اللحظة أن تجود بحياتها لتنزع من ذهن ديروليد ما علق به من غيرتها ٠ انها آملت على الأقل أنه لم يفطن الى حبها ٠ لقد حاولت أن تقرأ أفكاره ، ولكنها لم تستطع أن ترى التعبير المرتسم على وجهه في الدهليز المعتم ذى الضوء الخافت الذى تسلل اليه من الشموع المضاءة في غرفة ديروليد ، ولكن اليد التى أمسكت بيدها كانت دافئة عطوفة فشعرت أنه يعرف كل شيء وأنه يرثى لحالها ٠

ألقت اليه بتحية المساء بسرعة وهرولت عبر الدهليز حتى غرفتها وأغلقت بابها من دونها ٠٠ وحيدة مع أفكارها ٠

الفصل العاشر

تشهير واتهام

بينما اضطجعت آن مى بغرفتها وهى تفكر بمرارة فى حوادث الساعات القلائل الماضية ، كانت جوليت فى غرفة أخرى جاثية على ركبتيها بجوار فراشها ممزقة النفس .. نهبا لصراع عنيف بين قوتين متعارضتين .

فمن ناحية كان أمامها الواجب .. شقيقها القتيل ، والدها .. وفوق كل شيء ، دينها واليمين الذى أقسمته أمام الله . ومن ناحية أخرى الشفقة والشرف والامتنان للمضيف الذى تناولت خبزه .

حاولت أن تسحق الذكرى ، وجاهدت كى تنسى منظر منتصف الليل الشنيع الذى شاهدته منذ عشر سنوات مضت .. جثة أخيها ، ويد والدها ممسكة بيدها وهو يتوسل اليها لتقوم بما لم يقدر عليه لانه أوغل فى الكبر والشيخوخة والضعف والوهن . ولكن الكلمات ما زالت ترن فى أذنيها من الماضى :

ـ أقسم أمام العلى القدير الذى يرانى ويسمعنى ..

ألم تردد هذه الكلمات فى حزم وعن طواعية ، ويدها فوق صدر أخيها ، وكان الله ينظر اليها من عل .. فقد نادته تعالى ليستمع اليها ؟

ـ أقسم على أننى سأتعقب بول ديروليد .. وبأية طريقة سيرشدنى الله عنها سوف أجلب له الموت والدمار أو

العار .. ولتظل روح أخي في العذاب اذا ما حنثت في يميني .
ولننعم في سلام دائم في اليوم الذي ينتقم فيه لموته .

وكان يخيل اليها كأنما والدهـــا وأخوها يقفان الآن بجوارها وهي راكعة تصلي الى الله أن يهبهـــا القوة لتقوم بمهمتها .. لأنها كانت تعتقد اعتقادا جازما أن الله هو الذي أرشدها أخيرا بعد عشر سنوات عن الطريقة التي تثأر فيها لأخيها . لقد أتى بها لمنزله .. ومكنها من أن ترى وتسمع جزءا من الحديث الذي دار بين بلاكني وديروليد .. فاذا ما أماطت اللثام عن السر الذي جعلها تقف عليه ، فسوف يكون هناك نتيجة واحدة لبول ديروليد : الخزي والعار أولا ... المحاكمة السريعة .. قاعة العدالة .. والمقصلة .

حاولت أن تنحي مشاعرها الشخصية من حب وكراهية، وأن تعتبر نفسها مجرد أداة للذات العلية لمعاقبته على الجريمة التي اقترفها منذ عشرة أعوام .

ترى هل اعتبرت شارلوت كورداي نفسها بالمثل عندما وضعت بيدها حدا لحياة مارا ؟

ظلت جوليت جاثية على ركبتيها عدة ساعات . لقـــد سمعت آن مي عند أوبتها الى المنزل وصوت ديروليد وهـــو يرحب بها . وربما كانت هذه أشد اللحظات مرارة في هذا الصراع الذي يعتمل في نفسها ، فقد تذكرت أولئك الذين سيقاسون أيضا ـ مدام ديروليد وآن مي المسكينة .. انهما

بريئتان لم يقترفا اثما ومع ذلك فسوف يكون القصـــاص منهما شديد الوطأة !

ثم تأتى لحظة يتغلب فيها العطف والجانب الانسانى فى الحكم على الأشياء · فتنهض مســـتوية على قدميها ، وتجفف عينيها ، وتتهيأ للذهاب لفراشها فى هدوء لتنسى كل ما يمت للواجب المقدس الذى أقسمت على تنفيـــذه · ولكن كيف تنسى ؟ وفى اللحظة التالية تعاود الركوع ثانية وهى تتمتم بصلوات حارة سائلة أباها وأخاها وربها الصفح ·



وعندما بدأ الفجر يرسل نوره نهضت جوليت من ركعتها وغسلت عينيها المحترقتين ورأسها ورتبت شعرها وهندامها ثم جلست الى المنضدة وشرعت تكتب ·· فدونت بعناية وبيد ثابتة التشهير والاتهام ضد المواطن النائب ديروليد ذلك الذى اصبح الآن احدى الوثائق التاريخية فى فرنسا · ويمكنك أن تراه اليوم فى متحف كارنافاليه فى اطاره الزجاجى ·· غير أن ورقه الاصفر ومداده الباهت لا يبين شيئا من الصراع الذى صارت نفس جوليت دى مارنى نهبا له قبل أن تسمح لنفسها أن تسطره :

الى ممثلى الشعب الجالســين الآن مجتمعين فى البرلمان الجمهورى ·

انكم تضعون ثقتكم وتعتقدون فى اخلاص نائب الشعب المواطن النائب بول ديروليد · انه أفاك وخائن للجمهورية ·

انه يدبر الخطط ويأمل فى أن ينجح فى تهريب مارى انطوانيت ·
هلموا ! يانواب الشعب ! ان الأدلة على ذلك ، والأوراق والخطط ما زالت فى منزل المواطن النائب ديروليد ·

ان كاتب هذا عليم بكل شيء ·

العام الأول ·· فى الثالث والعشرين من فركتيدور ·

ولما فرغت من كتابة خطابها أخذت تتلوه بعناية وصححت كلمة أو اثنتين تصحيحا بسيطا ما زال ظاهرا فى الوثيقة حتى الآن . ثم طوت الخطاب وتدثرت بمعطف قاتم وارتدت قلنسوتها وانسلت من غرفتها دون جلبة أو ضوضاء ·

كان المنزل هادئا ساكنا ·· وها هى ذى تهرول مسرعة الى الطابق السفلى بكل ما فى طاقتها وتدفع مزاليج الباب الخارجي الثقيلة وانفلتت خارجة الى الشارع ·

بدأت المدينة تصحو وتدب فيها الحركة ، وعندما اتجهت خطوات جوليت صوب النهر صادفت في طريقها شرذمة من العمال وقد يمموا وجوههم شطر حدائق لوكسمبورج حيث الأفران كانت تضطرم فيها النيران والحدادون منهمكون فى صهر المدافع من أجل الجمهورية · وعلى مسافة قليلة كان هناك موكب من عربات السوق محملة بالخضروات والفاكهة فى طريقها الى قلب المدينة ·

وكانت جدران أغلب المنازل تحمل الشعار الوطنى الأعظم : « الحرية ، المساواة ، الاخاء أو الموت » · بيد أنه فوق

جدران اللوفر ، قصر ملوك فرنسا الأقدمين ، كان هناك اعلان كبير يحمل الكلمات الآتية : « القانون الخاص بالخونة المشبوهين » • وتحت هذا الاعلان كان هناك صندوق خشبي له فتحة في سطحه العلوى • وهنا توقفت جوليت •

ان هذا القانون كان آخر اختراع من تدابير أمن الجمهورية • ومنذ صدور هذا القانون يمكن أن يصبح أى شخص خائنا بناء على كلمة اتهام من عدو مجهول • وهكذا اصبح نصف أفراد الأمة يتجسسون على النصف الآخر ، وقد وضع الصندوق الخشبى ذو الفتحة العلوية لتلقى الاتهامات من رجل ضد الآخر •

ولو توقفت جوليت لحظة لتقرأ الاعلان الحاوى لكل تفاصيل هذا القانون المرعب لعادت القهقرى وللاذت بالفرار من الصندوق الخشبى كما لو كانت تهرب من أفعى سامة أو من وباء الطاعون •

ولكنها لم تتوقف •• بل سحبت الخطاب من فوق نهديها وألقته داخل الصندوق بيد ثابتة • وهكذا خرج الامر من يدها •• ولم يعد فى استطاعتها بعد الآن أن تقول أو تفعل شيئا ، ولن تستطيع الصلوات ولا حتى المعجزات أن تبطل فعلتها أو تنقذ بول ديروليد من المحاكمة والمقصلة •

كانت هناك مجموعة أو اثنتان من الناس مسرعين الى عملهم فرأوها وهى تلقى بالخطاب فى الصندوق فهزوا أكتافهم ومضوا فى طريقهم •• فقد اعتاد أولئك الذين ألفوا عبور

هذه البقعة على مثل هذه المناظر . كان هذا الصندوق بفتحته الشبيهة بالفم وحشا هائلا يقدم له الغذاء باستمرار ولكن انى له أن يشبع .. انه دائما يطلب المزيد .

وعندما أتمت جوليت فعلتها عادت مسرعة ، كما أتت ، الى منزلها المؤقت .

لم يعد منزلها الآن ، ويجب أن تغادره اليوم فورا اذا تيسر ذلك فهي لا تستطيع بعد الآن أن تلمس خبز الرجل الذي خانته ووشت به . انها لن تجلس الى مائدة الافطـــار .. ويمكنها أن تدعي اصابتها بالصداع كعذر تنتحله ، ومن ثم تستطيع بترونيل أن تحزم متاعهـا بعد الظهر .

الفصل الحادي عشر

القصاص قصاصي

تمكنت جوليت من قضاء معظم النهار في غرفتها مدعية اصابتها بالصداع • وودت لو أنها اعتزلت العالم أجمع ابان تلك الساعات التي قضتها وجها لوجه مع افكارها وآلامها الخاصة •

كانت تنتفض فزعا وترتجف خوفا لدى سماعها لأى صوت يعكر صفو السكون الذى كان يغلف المنزل الصامت وتغطى أذنيها بيديها ، فقد اعتقدت أن القضاء والهلاك الذى أعدته بنفسها قد انصب على رءوس أولئك القوم الذين لم ير منهم الا كل عطف •

لم تستطع أن تفكر فى مدام ديروليد أو آن مى دون أن تحس بعار مرير •

وماذا بشأنه •• ذلك الرجل الذى خانته ووشت به لمحكمة لا تعرف الرحمة ؟

لم تجرؤ جوليت على التفكير فيه •

ولكن الساعات مرت متثاقلة ولم يحدث شىء بعد • وأخيرا لم تعد تحتمل الصمت والوحدة فنادت بترونيل وأمرتها باعداد حقائبهما •

قالت :

ـ سنرحل اليوم الى انجلترا •

فقالت بترونيل وهي تلهث :

ـ الى انجلترا ؟

فقد كانت تشعر بأوج السعادة والراحة في هذا المنزل الكريم ، ولم تكن ترغب في مغادرته ٠٠ وأردفت قائلة :

ـ أهكذا سريعا ؟

ـ لماذا ٠٠ نعم ٠٠ لقد تكلمنـــــا بهذا الخصــوص منذ مدة ٠٠ فنحن لا نستطيع البقاء الدائم هنا ٠ ان ابناء عمومتي وخالتي في انجلترا٠٠وسوف نكون وسط أصدقاء يا بترونيل اذا قدر لنا الوصول هناك ٠

فقالت بترونيل وهي تتنهد :

ـ اذا قدر لنا الوصول هناك ! ٠٠ فليس لدينا من المال الا قليلا يا عزيزتي ٠٠ ولا يوجد معنا جوازات سفر ٠٠ فهل فكرت في طلبها من السيد ديروليد ؟

فاجابت جوليت :

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ ســأنظر في أمر جوازات الســـفر يا بترونيل ٠ ان الســـير برسي بلاكني انجليزي وســـوف يرشدني الى ما يجب عمله ٠

ـ أو تعرفين أين يقطن يا عزيزتي ؟

ـ نعم ٠٠ فقد سمعته يخبر مدام ديروليد في الليـــلة الماضية انه يسكن مع صاحب خان الجرة المكســورة ويدعى بروجار ٠٠ سأذهب وأبحث عنه يا بترونيل ٠ واني لواثقة

أنه سيعاوننى كمـا أعلم أنه سيعد لنا جوازات السفر ٠٠ وسيرشدنا الى خير السبل التى نتبعها ٠ ويجب ان تمكثى هنا وتعدى كل شىء ريثما أعود فلن أتأخر كثيرا ٠

تناولت معطفها وقلنسوتها ٠٠ والقت بهما فوق ذراعها ثم انسلت من الغرفة ٠

كان ديروليد قد غادر المنزل مبكرا اليوم ٠٠ فودت ألا يكون قد عاد بعد ٠٠ وأسرعت تهبط الدرج حتى لا يراها أحد عند خروجها ٠

كان السكون والهـدوء قد نشر أرديته فوق المنزل ٠ وسمع صوت آن مى وهى تغنى أغنية قديمة آتيا من المطبخ على بعد مسافة قليلة من الردهة ٠٠ فتوقفت جوليت لحظة ٠٠ وشـعرت بألم مرير يعتصر قلبها وامتلأت عيناها بالدموع عندما ألقت نظرة على جدران هذا المنزل الذى آواها وأحسن ضيافتها طوال هذه الأسابيع الثلاثة الماضية ٠ انهـا الآن على وشك أن تغادره وهى بلا مأوى أو أصدقاء ٠٠ بعد أن تنكرت لليد التى امتدت لها فى عطف وحب فى هذا الوقت المحفوف بالخطر البالغ ٠

بدا ضميرها يصحو وأحست بوخزاته ٠٠ ولأول مرة بدأت تدرك المعنى الكامل لما أقدمت على فعـله ٠٠ فأغلقت عينيها لتحجب منظر جريمتها المخجل ٠ حاولت أن تنسى هـذا المنزل الذى دمرته خيانتها ٠٠ وارتفع نشيجها وبكت من أعماق قلبها وهى تحس شقاء يفوق احتمالها ٠ فلتشفق عليها اذا استطعت!

فهي صغيرة وضعيفة .. تثبت وفكرة واحدة تسيطر عليها .. ذلك الواجب الذي عليها انجازه والقسم الرهيب الذي اقسمته لتحقيقه ، ولم تجد حولها من يعينها أو يسدى اليها النصح . لقد لاذت بالصلاة مبتهلة سائلة حلها من قسمها ولكن صوت السماء ظل صامتا . والآن قد أتمت ما عليها واقبلت النهاية. ها قد انقضت الأسابيع الثلاثة التي رفرفت عليها فيها السعادة والسلام وها هي ذي تركت بعدها وحيدة مع خطيئتها في وحشة تعاني خرابا يبابا داخل نفسها .

وما كادت تعي ما فعلته حتى خرت على ركبتيها هناك بالقرب من الباب الذي أوشكت على مغادرته الى الأبد .

ـ جوليت !

لم تحرك ساكنا في بادىء الأمر . كان صوته يناديها من غرفة مكتبه خلفها .. ثم سمعت وقع أقدامه .. فأجفلت وقفزت مستوية على قدميها وأسرعت تجفف عينيها . وودت لو فرت من المنزل الآن .. ولكن هيهات فقد سبق السيف العذل . لقد غادر مكتبه الآن ورآها جاثية على ركبتيها وهي تبكي فتقدم مسرعا منها .. وقال لها في أدب بينما كانت تلف معطفها حولها وتستدير ناحية الباب :

ـ أخارجة انت يا آنسة !

فأجابت :

ـ نعم .. نعم .. في مهمة بسيطة .. اني ..

ـ أهي مهمة أستطيع أن أؤديها لك ؟

ـ كلا .

فاردف في تردد من يوشك أن يسأل فضلا كبيرا :

ـ اذا .. اذا أمكن تأخير مهمتك قليلا .. فهل لى أن أسألك تشريفى بالحضور الى غرفة مكتبى لبضع لحظات ؟

فقالت وهي تحاول أن تبدو هادئة بقدر استطاعتها :

ـ ان مهمتى لا تحتمل تأخيرا أيها المواطن ديروليد .. وربما استطعت عند عودتي أن ...

ـ انى سأخرج الآن في الحـــال يا آنسة ، ووددت أن أقول لك الى اللقاء .

انتحى جانبا ليسمح لها بالمرور اما صوب باب الشارع أو خلال الردهة الى غرفة مكتبه .

لم يكن يشوب صوته أيه رنة عتاب ناحية الضيفة التى كانت تغادر الدار دون كلمة وداع .. ولو حدث ذلك لثارت وتمردت . وعلى أية حال فقـــد تحولت عن البـــاب وخطت من أمامه الى غرفتـــــه .. تلك التى كانت معتمة باردة .. فهي تواجه الناحية الغربية والضلف الخشبية مغلقة لتحول دون تسرب حرارة شمس أغسـطس الى داخلها . لم تستطع أن ترى شيئا في بادىء الأمر .. وتبعها الى الغرفة تاركا الباب مفتوحا قليلا .

قال في رفق :

ـ انه عطف منك يا آنسة أن تشرفيني هكذا .. انني

سأغادر هذا المنزل اليوم وكم أتوق في أثانية الى سماع صوتك وأنت تودعينني ·

ألفت عينا جوليت بالتدريج الجو نصف المعتم المحيط بها ·· واستطاعت أن تراه الآن بوضوح يقف بالقرب منها وقفة تنم عن احترام عميق لها ·

كانت غرفة المكتب كالعادة نظيفة ومرتبة تدل على العادات المنظمة التى يتحلى بها رجل عمل ونشاط وحيوية · فوق الارض حقيبة سفر معدة كأنما لرحلة وكانت هناك حافظة رسائل كبيرة من الجلد السميك فوق حقيبة السفر مغلقة بقفل صغير من الصلب · وتركزت عينا جوليت على هذه الحافظة في نظرة ملؤها الرعب · كان من الواضح أنها تحوى اوراق ديروليد ، خطط تهريب مارى انطوانيت ، وجوازات السفر التى تحدث عنها مع صديقه سير برسى بلاكنى أول من أمس ·· وهى فى الواقع الأدلة التى ساقتها لتأييد اتهامها للنائب المواطن ·

وما أن نطق بكلماته الأولى حتى لاذ بالصمت · كان ينتظر منها أن تتكلم ·· ولكن صوتها خانها ·· وخيل اليها كان أيد من فولاذ قد أطبقت على حنجرتها وأخذت بخناقها فأخمدت الكلمات التى كانت تود أن تتفوه بها ·

أخذ يكرر حديثه لها قائلا :

ــ ألا تتمنين لى التوفيق وأن تصحبنى السلامة يا آنسة ؟

اخذت تفكر .. « التوفيق وان تصحبه السلامة » .. كيف تتمنى له ذلك وهو فى سبيله الى المحاكمة ثم الى المقصلة ؟ انه ذاهب الى هناك ولو أنه لا يدرى شيئا عن هذا الامر .. وحتى الآن كان يحاول أن يمسك باليد التى أرسلت به عمدا الى ذلك المكان .

واخيرا جاهدت لتتكلم فقالت :

ـ أستطول غيابك أيها النائب المواطن .

فأجاب قائلا :

ـ فى هذه الأوقات الخطرة يا آنسة ، قد يكون أى وداع وداعا أبديا .. ولكننى فى الحقيقة ذاهب لمدة شهر الى الكونسيرجيرى كى أتولى حراسة السجينة التعسة هناك .

فرددت بطريقة آلية :

ـ لمدة شهر !

فقال مبتسما :

ـ أوه .. نعم ! ان حكومتنا كما ترين تخشى أن تثق بأحد لمدة طويلة فى هذا الأمر الذى يتعلق بالملكة .. ولهذا يعين حاكم جديد للسجن كل شهر .. وسأتولى المهمة خلال الشهر القادم .. وآمل أن أعود سريعا ولكن .. من يدرى ؟

ـ على أية حال أيها المواطن ديروليد أن وداعى لك هذه الليلة سيكون وداعا طويل الأمد جدا .

فقال فى حماس :

ـ ان شهرا يبدو لى كمـا لو كان قرنا حيث أنني يجب ان أقضيه دون أن أراك ، ولكن ...

رمقها بنظرة فاحصة طويلة .. وهو لم يفهمها فى حالتها الراهنة .. فقد كانت تبدو عصبية مهتاجة لا تمت بصـلة للفتاة السعيدة الخفيفة الظل التى ملأت منزله بهجة خلال تلك الأسابيع القلائل الماضية .

وأخيرا قالت فى عجلة :

ـ انك تسيء فهمى أيها المواطن ديروليد . لقـد كنتم جميعا فى غاية العطف .. فى غاية العطف .. ولكن بترونيل وانا لا نستطيع أن نقبل ضيافتكم بعد الآن . ان لنا أصدقاء فى انجلترا ، وأعداء كثيرون هنا ...

فقاطعها بهدوء :

ـ اعلم ذلك .. وانه لمنتهى الأنانية اذا أشرت عليكما بالبقاء هنا ساعة واحدة أكثر مما ينبغى . واخشى أن سقفى لن يظللكما بعد اليوم .. ولكن اتسمحين لى بأن أرتب ما يلزم من أجل الحفاظ على حياتكما كمـا أفعل الآن من أجل والدتى وآن مى ؟ ان صديقى سير برسى بلاكنى على أهبة الاستعداد على الشاطىء .. لقد أعددت لكمـا جوازات السـفر وجميع الترتيبات لرحلتكما .. وسيرافقكما سير برسى أو أحد أصدقائه الى ظهر اليخت ليسهر على سلامتكما . وهو قد وعدنى بأنه سيفعل ذلك ، وانى أثق فيه ثقتى فى نفسى . أما عن رحلتكما داخل فرنسا فان استعمالكما لاسمى سيمنع عنكما اى سوء

وإذا لم يكن لديك مانع أرجو أن تسافر آمي وآن مي في رفقتكما . ثم ...

فقاطعته فجأة في انفعال :

ـ أتوسل اليك أن تتوقف أيها المواطن ديروليد .. أستمحيك عذرا .. فانا لا أستطيع أن اسمح لك بعمل أية ترتيبات من أجلي .. فبترونيل وأنا سنعمل ما في وسعنا عمله .. ويجب أن تكرس كل وقتك وجهدك لخير الذين من حقهما الانتفاع بهما ، في حين أنني ...

ـ انك تتحدثين بقسوة يا آنسة .. فليس هناك مسألة حق .

فاسترسلت في حديثها وهي تزداد انفعالا وعصبية وقد جذبت يدها بعيدا .. فقد حاول أن يمسك بها :

ـ وليس لك الحق في أن تفكر ..

فقاطعها باهتمام قائلا :

ـ آه ! عفوا .. لقد جانبك الصواب .. فان من حقي ان أفكر فيك ومن أجلك .. الحق الذي امتلكه بما أكنه لك من حب عظيم .

ـ أيها المواطن النائب !

ـ جوليت . أنا أعلم أن كلماتي تبدو حمقاء .. فانني أعرف كبرياء آل مارني .. وكم يحتقرون أمثالي الذين يتعاطفون مع تعساء فرنسا الجائعين .. ولكن هل قلت انني

آمل أن اظفر بحبك ؛ انني لا أظن أنني قد حلمت بمثل هذه السعادة ٠٠ ومع ذلك لن أدعك ترحلين من حياتي دون أن اخبرك بذلك الذي جعل كل ساعة من ساعات الاسابيع القلائل الماضية جنة وفردوسا بالنسبة لي ٠٠ انه حبي لك يا جوليت ٠

كان يتكلم بهذا الصوت المنخفض ٠٠ وبتلك اللهجة الرقيقة الحنون التي سمعتها منه ذات مرة عندما كان يترافع أمام المحكمة من أجل انقاذ حياة شارلوت كورداي المسكينة ٠ ومع هـذا لم يكن يدافع عن نفســه ، أو من أجل أية رغبة انانية ، أو من أجل سعادته الخاصة ، ولكن فقط ليجعلها تعرف أنه يحبها فتشفق عليه في قلبها وتسمح له بأن يخدمها الى النهاية ٠

لم ينبس ببنت شفة بعد ذلك للحظة ، وتناول يدها فلم تجذبها منه هذه المرة ، فقد شــعرت بلذة حلوة للمس أصابعه القوية فوق أصابعها ٠٠ وضغط بشفتيه على يديها ٠٠ وعندما حاولت أن تسحبهما مرة أخرى لم يدعهما تفلتان منه ٠

قال متوسلا :

ـ لا تذهبي الآن ياجوليت ٠٠ ألا فلتفكري ! ٠٠ فقد لا أراك ثانية ٠٠ ولكن عندما تكونين بعيدة عني ٠٠ ربما في انجلترا ٠٠ فهل تحاولين أحيانا أن تفكري بعطف في شخص يكن لك حبا ملك عليه شغاف قلبه ؟

كان لكل كلمة فاه بها صدى في روحهـــا ٠٠ وآه لو

استطاعت أن تسكت دقات قلبها التى مالت ناحيته أخيرا بكل ما فى الحب من قوة .. والذى لم يعد فى امكانها انكاره بعد الآن . لقد حاولت عبثا الا تستمع لكلماته التى يشع منها الدفء والحنـــان ، وأن تنسى وجوده ، وألا تعرف أنه يقف هناك .. وهو ذلك الرجل الذى خـــانته ، والذى ظنت فى معمعان حماقتها أنها تكرهه ، والذى عرفت الآن أن حبهـــا له يفوق قسمها والأب والشـــقيق .. انه حب أفضل من كـل ذلك ومن الحياة بأسرها .

بدأت الآن فى هذه اللحظة تدرك أن الثـــأر ليس من شأن البشر . لقد ابتهلت الى السماء تنشد الهداية والرشاد . ولكن السماء ظلت صامتة . وبدا لهـــا الآن ، بعد أن أفلت الأمر من يدها ، أنها تسمع صوت السماء تتحدث اليهـــا فى وضوح وقسوة :

ــ القصاص قصاصى ! .. سآخذ بثأرى !

الفصل الثاني عشر

باسم الجمهورية

ـ افتح باسم الجمهوريه !

كانت آن مى تستعين على عملها فى المطبخ بالغنـاء فلم تلحظ شيئا غير طبيعي من الرنين العالى لجرس الباب الخارجى فجذبت كميها فوق ذراعيها النحيلتين ، وسوت فوطة المطبخ التى تتمنطق بها ، ثم هرولت مسرعة لترى من الطارق ٠

وما كادت تفتح الباب حتى أدركت كل شيء ٠

وقف خمسة رجال قبالتها ٠٠ وكان أربعة منهم يرتدون زى الحرس الوطني ، أما الخامس فكان يتدثر بالوشاح المثلث الألوان ذى الحوافى الذهبية مما ينبىء أنه شخص ذو مركز مرموق فى خدمة الجمهورية ٠

وسرعان ما خطا هذا الرجل الى داخـل الردهة ، يتبعه مرافقوه الأربعة الذين وقفوا على جانبى آن مى باشـارة من يده ، وهكذا حالوا دونها وتنفيذ رغبتها فى الجرى الى غرفة مكتب ديروليد وتحذيره من الخطر ٠

لم تشك لحظة فى أن الخطر كان داهما مميتا ، وكانت نظرة واحدة الى الرجال الخمسة كافية لكى تدرك مهمتهم ٠ كان أسلوبهم وكلماتهم الآمرة الخشنة ، وسيماء السلطة التى تلوح عليهم عندما عبروا الردهة ٠٠ كل هـــذا يدل على أن هدف زيارتهم هو تفتيش منزل المواطن النائب ديروليد ٠

ولو جرؤت آن مى لصرخت محذرة ٠٠ ولكنهـا كانت

تعلم تماما أن هذا سيكون عملا يتسم بالحماقه .. وأحست ان بول يود أن تظل هادئة .

عبر قائد الخمسة ، ذو الوشاح المثلث الألوان ، الردهة ووقف أمام باب غرفة المكتب .. وكان صوته هو الذى نبه ديروليد من أفكاره وأيقظه من أحلامه وسعادته الحالية :

ـ افتح ، باسم الجمهورية !

لم يسرع ديروليد بترك يد جوليت التى كان منذ لحظة يمطرها بقبلاته .. لقد رفعها مرة أخرى فى رفق الى شفتيه كأنما يودعها وداعا أخيرا أبديا ثم استوى واقفا على قدميه واستدار ناحية الباب .

كان شديد الشحوب ، ولكن لم يبد فى عينيه أى أثر للخوف أو الدهشة .

ـ افتح باسم الجمهورية !

ومرة أخرى .. لثالث مرة..طبقا لما جرت به العادة.. رنت الكلمات واضحة محددة بلهجة الأمر .

وفى تلك اللحظة بالذات ، بينما كانت هذه الكلمات تتردد دارت عينا ديروليد بسرعة نحو حافظة الرسائل الثقيلة التى تحمل ادانته ، ومرت بخاطره فكرة جنونية .. أن يلوذ بالفرار .

ان خطط تهريب مارى أنطوانيت ، وجوازات السفر المختلفة التى تلائم أى صورة قد تتنكر فيها الملكة التعسة ..

كانت كل هذه الأوراق أكثر من دليل كاف على خيانة الجمهورية . وخيل اليه أنه يسمع الاتهام ضده ، ويرى جموع باريس بملابسهم القذرة يرقصون في وحشية حول مركبة النقل وهو قابع بداخلها في طريقه الى المقصلة .. وهاهو ذا يستطيع أن يسمع اهاناتهم التي يرشقونه بها . كل هذا جعله يفكر في الهرب لو كان ذلك ممكنا .. ولكن هيهات فالوقت قد فات .

ان أفكار الهرب لم تراوده الا في ثانية واحدة أو أقل من سماعه للكلمات التي أتت اليه من وراء الباب . وقد تحرك كأنما يريد الامساك بحافظة الرسائل واخفاءها في طيات ملابسه . ولكنها كانت كبيرة الحجم وثقيلة مما يجعلها ملفتة للأنظار . ولمح عيني جوليت مشدودة اليه بدرجة كشفت له في تلك اللحظة عن أعماق حبها . عندئذ تبخرت لحظة ضعفه وعاد هادئا .. حازما .. رجل عمل .. اعتاد على مواجهة الخطر في شجاعة . هز كتفيه وطرد كل الأفكار التي تدور حول حافظة الأوراق ومحتوياتها وتقدم من الباب .

ولما لم يأت الرد على الأمر الذي ألقي لثالث مرة .. فان الباب فتح بالقوة من الخارج .. ووجد ديروليد نفسه وجها لوجه مع الرجال الخمسة .

قال في هدوء بعد أن عرف القائد :

ـ المواطن مرلين !

فاجابه الأخير وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

ـ هو بعينه أيها المواطن النائب .. واني في خدمتك .

كانت آن مي لازالت في الردهة فسمعت الاسم وشعرت بقلبها يقفز بين ضلوعها .

مرلين ! وزير العدل نفسه ! .. مرلين مؤلف القانون الشائن الممقوت .. قانون الخونة المشبوهين الذى جعل كل انسان يتجسس على الآخر .. الأب ضد ابنه .. والأخ ضد أخيه . والصديق ضد صديقه .. والذى جعل كل انسان جاسوسا ضد جاره .

ابتسم مرلين فرحا حينما رأى ديروليد يقف هناك . كانت لحظة انتصاره .. فلطالما كره المواطن النائب الشعبى ، ولهذا بذل كل نفوذه منذ عامين كي يجعل ديروليد تحيطه سحابة من الشك .. بيد أنه قد تعذر عليه ذلك .. فقد كان ديروليد يفتح قلبه للشعب .. ولا يفوقه أحد في معرفته كيف يخاطب غوغاء باريس .

ولكن مرلين قد تمكن الآن من الوصول الى بغيته .. فقد تلقى تنفيل النائب العام في ذلك اليوم بلاغا من مجهول باتهام ديروليد . وكان تنفيل ومرلين صديقين حميمين لذا حصل الأخير بسهولة على ان يكون أول من يخول حق اعلان عدوه اللدود انباء سقوطه .

وقف عند الباب في مواجهة ديروليد للحظة يتمتع بالموقف الحالى حتى الثمالة .. وسقط الضوء المنبعث من

الرجعة على المواطن النـائب •• وكانت غرفـة المكتب خلفه بنوافذها المغلقة باحكام تبدو مظلمة •

استدار مرلين الى رجاله وهو ما زال مفعما بالسرور الذى يعم القط وهو يلاعب فارا ، فأشار الى ديروليد مبتسما وهز كتفيه •

وبصق على الأرض بازدراء وغرور وقال :

ـ انظروا اليه •• يبدو أن الأرستوقراطى لا يفهم أننا هنا باسم الجمهورية •

ثم اردف قائلا وهو يخاطب ديروليد :

ـ هناك مثل رائع يلوح أنك نسيته أيها المواطن النائب وهو أن الجرة التى تهبط فى البئر كثيرا تتحطم فى النهاية • لقد تآمرت ضد فرنسا فى العامين الأخيرين ولكن ها هو ذا يوم الحساب قد حل أخيرا • ان برلمان الجمهـورية يريد أن يعلم الخيانة والمؤامرة التى تحيكها بين هذه الجدران الأربعة ، وبعث بى الى هنا لهتك أستارك •

فقال ديروليد بهدوء وهو يخطو جانبا ليفسح الطريق لمرلين ورجاله :

ـ أنا فى خدمتك !

كانت المقاومة عبثا وكان يعلم أنه من الأفضل أن يمتثل محتفظا بكرامته •

فى تلك الأثنـاء لم تأت جوليت بحـركة ولم تتفوه

بكلمة .. ولم تكن قد مرت أكثر من دقيقة منذ اللحظة التى صدر فيها أول أمر بفتح الباب باسم الجمهورية معكرا صفو هدوء المنزل . وكانت قبــلات ديروليد مازالت حارة فوق يدها .. وكلمات الحب التي فاه بها مازالت تطن في أذنيها .

والآن هاهو ذا الخطر الساحق الماحق الذى جلبته بيدها على رأس الرجل الذى أحبته !

وقف ديروليد قبالة مرلين الذى راح يصــــدر أوامره لرجاله توطئة لتفتيش المنزل .. وهناك كانت حقيبة السفر تعلوها المحافظة الحاوية للأوراق التي ســـمعت ديروليد أول أمس يتحدث عنها مع صديقه سير برسى بلاكني .

وفي اللحظة التالية أمسكت بهـــا وألقت بهـــا فوق الأريكة .. ثم جلست بجوارها وهي تنشر فوقهـــا ثنيــات جونلتها فأخفتها تماما عن العيون .

كان مرلين في الردهة يأمر اثنين من رجاله ليقف كل منهما على أحــد جانبي ديروليد ، واثنين آخــرين ليتبعاه الى الغرفة . وها هو ذا يلجهـــا بنفســـه . انه لم يلحظ حركة جوليت ولكنه سمع حفيف جونلة نسائية عندما جلست فوق الأريكة .

قال عندما نظر الى الفتاة بعينيه التي تشــــبه عينى الثعبان :

ــ انني أرى أنك لست وحدك أيها المواطن النائب .

فأجاب ديروليد بكل ما استطاع من هدوء :

– ضيفتي أيها المواطن مرلين ٠٠ المواطنة جوليت مارني ٠

فابتسم مرلين وحملق لحظة في جوليت ساخرا ٠٠ فقد أمسك بأصابعه في هذا الصباح بالذات قطعة من الورق تحمل الاتهام ضد المواطن النائب ديروليد وكانت مكتوبة بخط نسائي ٠ ولم يتطلب الأمر منه سوى لحظة ليفطن الى كنه تلك التي أطلق عليها ديروليد ضيفته ٠

وتمتم لنفسه :

– من الواضح أنها حبيبته ! ٠٠ وأظن أنهما تشاجرا ٠٠ فضاقت به وأرادت أن تتخلص منه ٠٠ أو ربما قد ملها فاتهمته بدافع من حقدها عليه ٠

وقد ارتاح الى تفسير الأمر هكذا ٠٠ فعزم على أن يتودد الى جوليت ٠ هذا بالاضافة الى أنه لمح حقيبة السفر وشعر بشعور أكيد أن عينى الفتاة تلفتان نظره اليها ٠

فصاح آمرا :

– افتحوا ضلف النوافذ ! ٠٠ فان هذا المكان حالك السواد كالليل ٠

فأطاع احد رجاله الأمر في الحال ، وعندما تسللت شمس أغسطس الساطعة الى الغرفة ٠٠ استدار مرلين مرة أخرى الى ديروليد وقال له :

– لقد تلقينا بلاغا ضدك من شخص مجهول أيها المواطن النائب يقول فيه : انه في حوزتك الآن رسائل وأوراق أخرى

خاصة بالسجينة مارى أنطوانيت ٠٠ وقد عهدت الى لجنة الامن العام والى هؤلاء المواطنين بضبط هذه الرسائل والأوراق واستجوابك عن سبب وجودها فى منزلك ٠

تردد ديروليد لحظة قبل أن يجيب ٠٠ فقد شاهد ، عندما فتحت النوافذ وغمر الضوء الغرفة ، أن حافظة الرسائل قد اختفت ٠٠ وادرك أن جوليت قد خبأتها تحت ثيابها ٠ وهذا هو السبب الذى من أجله تردد ٠ وكان قلبه حافلا بالامتنان نحوها للمجهود النبيل الذى بذلته لانقاذه ، بيد انه فى هذه اللحظة كان على استعداد لأن يضحى بحياته ليفوت عليها ما فعلته ٠٠ فهى بفعلتها هذه قد جعلت من نفسها شريكة له اذا ما اكتشفت الحافظة مخبأة بين طيات ملابسها ٠٠ اذ سيوجه اليها الاتهام بأنها متواطئة معه فى الخيانة أو على الأقل بالتستر على خائن ٠

لم يجرؤ على التطلع اليها مرة أخرى ٠٠ فقد شعر فى هذه اللحظة أن حياتها وحياته بالمثل قد تتوقفان على حركة من أحد أجفان العين ٠ وكانت عينا مرلين الحادتان الضيقتان مثبتتين عليه ، وتتحرقان شوقا تطلعا لاشارة توشى بالخوف أو تحمل اعترافا بالجريمة ٠

قال مرلين بعد برهة بلهجة ملؤها التهكم والسخرية :

ـ حسن ٠٠ انك لم تجب أيها المواطن النائب ٠

فأجاب ديروليد فى هدوء :

ـ ان الاتهام لا يستحق اجابة ٠٠ فخدماتى للجمهورية

معروفة جيدا ٠٠ وكنت أعتقد أن لجنة الأمن العام ستأنف من قراءة اتهام كتبه شخص مجهول ضد خادم أمين لشعب فرنسا ٠

ـ ان لجنة الأمن العام تعرف واجبها جيدا أيها المواطن النائب ٠٠ فاذا ثبت أن الاتهام غير صحيح فان هذا من صالحك ٠

ثم أردف في استهزاء :

ـ انك لا تقصد القيام بأية مقاومة بينما يفتش هؤلاء المواطنون وأنا منزلك ؟

قدم ديروليد حزمة مفاتيحه للرجل الواقف بجواره دون أن ينبس بكلمة ٠ ان أية محاولة للاعتراض أو المجادلة سيكون شرها أسوأ من نفعها ٠

وامر مرلين بتفتيش حقيبة السفر والمكتب ٠٠ وفى لحظة واحدة كان الرجال منهمكين فى قلب محتوياتهما فوق الأرض ٠٠ غير أن المكتب لم يكن يحتوى الا على بضع أوراق خاصة بحسابات المنزل ومذكرات بالخطب التى القاها ديروليد بالبرلمان الجمهورى فى أوقات متفرقة ٠٠ وكان من بينها مذكرات بالقلم الرصاص تحوى خطابه الشهير دفاعا عن شارلوت كورداى ، ولم يكن هناك شىء آخر له أهمية ٠ وأما حقيبة السفر نفسها فلم تكن تحوى غير بضعة لوازم لاقامة شهر فى الكونسيرجيرى ٠ وعبثا حاول الرجال باشراف مرلين وتوجيهه الحصول على شىء يعتبر تبادل للرسائل الخائنة مع الملكة السجينة التعسة ٠

وبينما كان رجال مرلين منهمكين في تفتيش المنزل ، كان جالسا فوق أحد المقاعد الكبيرة المكسوة بالجلد وراح ينقر بأصابعه القذرة على ذراعي المقعد وقد عيل صبره . كان من الواضح أن خيبته ستكون عظيمة اذا ثبت أن مهمته قد باءت بالفشل . كانت عيناه الضيقتان تدوران في محجريهما بين الفينة والأخرى صوب جوليت كأنما تسألانها العون والهداية . وقد أدركت ما يدور بخلده بشأنها ، فاستجابت لنظرته . ولعبت دورها بدهاء .. فطفقت تنظر ههنا وهناك والرجال يقومون بالتفتيش تبعا لذلك .

ومع هذا لم يعثر على شيء ، وبدأ مرلين يشعر للمرة الأولى بظل من الشك .

لقد كان يعلم أن المواطن النائب ديروليد لم يكن رجلا من السهل نيله . ان مجرد الشك كان كافيا لارسال أي شخص عادي الى المقصلة ، ولكن ذلك لم يكن ليكفي حتى ليمثل أمام المحكمة .. وما لم يكن هناك أدلة مؤكدة ايجابية تصم بول ديروليد بالخيانة ، فان النائب العام لن يجسر على توجيه اتهام اليه . ان غوغاء باريس سوف يثورون دفاعا عن معبودهم . وفي هذا يكمن مركز ديروليد القوي : ان شعب باريس الذي طالما مد اليه يد المعونة وبصفة خاصة نساء باريس اللاتي يعتنى بأطفالهن في المستشفيات التي أنشأها من أجل هؤلاء الصغار .. ان مرلين يعلم أن فقراء باريس لم ينسوا ذلك بعد . ولذلك لا يمكن أن يمس ديروليد بشيء دون أدلة تامة دامغة .

فرغ الرجال الآن من تفتيش الغرفة ، وقاموا بفحص كل قصاصة من الورق دون جدوى .

وقفز مرلين مستويا على قدميه وقد أعماه الغضب وصاح آمرا :

فتشوه !

فاطبق ديروليد أسنانه على بعضها ولم تبدر منه مقاومة .. وغرس أظفاره فى راحتى يديه حتى يمنع نفسه من صفع عدوه . لقد رضخ للأمر ووقف هادئا بينما قلبت جيوبه الى الخارج بأيدى الجنود الخشنة .

ومع ذلك لم يعثروا على شيء .

ظلت جوليت صامتة فى تلك الأثناء .. فهل خدع مرلين ؟ لقد كان واثقا تماما أنها هى التى اتهمت ديروليد .. كما كان مقتنعا بالدافع الذى حدا بها الى ذلك .. ولذا فانه لم يتعرض لها مكتفيا بتتبع اشاراتها التى اعتقد انها تمده بها والتى سترشده فى النهاية الى ما يبحث عنه . وكانت جوليت تفهم أفكار مرلين فلعبت دورها وعقلها قد تركز فى شيء واحد فقط : أن تنقذ الرجل الذى أحبته من مغبة وعواقب خيانتها له .

وعندما تم تفتيش جيوب ديروليد ، استدار تجاه جوليت مرة أخرى وهو يتطلع اليها بنظرة متسائلة من عينيه اللتين تشبهان عينى الثعبان . فهزت كتفيها هزة خفيفة ونظرت صوب الباب .. فخيل لمرلين أنها تقول له :

ـ توجد في المنزل غرف أخرى غير هذه الغرفة ·· حاول تفتيشها ·· فالأدلة هناك وعليك أن تعثر عليها ·

كان مرلين واقفا بينها وبين ديروليد ، ولذا فان الأخير لم ير شيئا من الاشارات التي تبودلت بينهما ·

استدار مرلين صوب ديروليد قائلا :

ـ انك ماكر أيها المواطن النائب ولا شك أنك أخفيت ما ابحث عنه بمهـــارة · ولكن يجب أن تفهم أن لجنة الأمن العام لن تقنع بتفتيش غرفة مكتبك · اني وهؤلاء المواطنين الجنود سنقوم بزيارة بقية أجزاء الدار ·

فأجاب ديروليد :

ـ كما يحلو لك ·

فقال الآخر آمرا :

ـ وانت سترافقنا أيها المواطن النائب ·

اصطف رجال الحرس الوطني الأربعة في صف واحد خارج باب غرفة المكتبة ·· وأمر مرلين ديروليد بايماءة من رأسه أن يخرج أيضا ·· ثم استعد ليتبعهم ·· وعندما وصل الى الباب استدار وواجه جوليت مرة أخرى وقال هامسا :

ـ وأما انت ايتهـــا المواطنة ·· فاعلمي أنك اذا كنت قد أتيت بنا هنا على أســـاس بلاغ كاذب ·· فتذكري أنك ستدفعين الثمن غاليا · لا تغادري المنزل دون اذن ·· فقـد ألقي اليك ببعض الأسئلة ·

الفصل الثالث عشر

مخرج

انتظرت جوليت دقيقة أو اثنتين حتى تلاشى وقع أقدام الرجال الستة فوق الدرج المصنوع من خشب البلوط .. ولم يعد أمامها سوى بضع لحظات لتجد مخرجا من الخطر الذى جلبته بنفسها للرجل الذى تحبه .

ان مرلين ورجاله سرعان ما سيعودون .. فاذا ما ظلت حافظة الرسائل فيغرفة مكتب ديروليد فانه سـيكون فى خطر ماحق .. ففكرت فى مبدأ الأمر أن تخفى الحافظة بين ثيابها .. ولكنها عادت تفكر فى عدم جدوى ذلك .. فماذا يحدث لو أمر مرلين بفتيشها ! .. كلا .. كان هناك طريق واحد .. أن تغادر الغرفة بالأوراق .. اذ يجب ألا يعثر لها على اثر هنا فى غرفة المكتب حتى يظل فوق الشبهات .

نهضت من فوق الأريكة ، واختلست النظر من الباب .. كانت الردهة خالية .. واستطاعت أن تسمع وقع أقدام الجنود الثقيلة وصوت مرلين الوحشي الفظ آتيا بوضوح من الجانب الايسر للطابق العلوى . اصغت جوليت قليلا وهي تحاول أن تفهم ما حدث . نعم .. لقد ذهبوا جميعا الى غرفة نوم ديروليد الواقعة فى أقصى اليسار عند نهاية دهليز الطابق الاول .
ما زال هناك وقت أمامها يكفى لتنفيذ ما اعتزمت أن تفعله الآن .

أخفت حافظة الرسائل الثقيلة بين طيات جونلتها بكل

ما استطاعت من مهارة . واذا حدث أن ضبطها احد الرجال فوق الدرج فلن تستطيع أية قوة انقاذها أو انقاذ ديروليد.. ولكنها اذا ظلت قابعة فى مكانها كما هى .. فمن المؤكد أن أمرها سينكشف فى النهاية . لقد اختارت ان تجازف .

انسلت من الغرفة فى هدوء .. وأخذت ترتقى الدرج الكبير المصنوع من خشب البلوط . كان مرلين ورجاله منهمكين فى تفتيش غرفة نوم ديروليد فلم يأبهوا لما كان يحدث خلفهم . وصلت جوليت الى الدهليز فاستدارت بحدة الى يمينها . وهرولت مسرعة فى صمت فوق السجادة السميكة حتى وصلت الى غرفتها .

حدث ذلك كله فى أقل من دقيقة .. وفى اللحظة التالية سمعت صوت مرلين وهو يأمر أحد رجاله ليقف ويتولى الحراسة عند قمة الدرج .. ولكنها كانت فى ذلك الوقت آمنة فى غرفتها .. فأغلقت الباب فى هدوء .

كانت بترونيل تغط فى النوم بعد ان انهمكت طيلة بعد الظهر فى اعداد وحزم امتعة سيدتها الصغيرة .. دون أن تدرى بالحوادث المروعة التى كانت تتعاقب بسرعة فى المنزل، وارتفع شخيرها وهى جالسة فى مقعدها ذى المساند .

لم تعرها جوليت التفاتا فى بادىء الأمر .. واسرعت تمزق الحافظة الجلدية بمقص حاد .. ولم تلبث المحتويات ان انتثرت أمامها فوق المنضدة . وكانت نظرة واحدة اليها كافية لأن تؤكد لها أن معظم الأوراق اذا عثر عليها فانها سترسل

بدبروليد الى المقصلة دون ادنى شك . وكانت معظم الرسائل مكتوبة بخط يده .. ولم يكن لديها بالطبع وقت لفحصها ولكنها احست بغريزتها أنها بالغة الخطورة .

جمعت الاوراق فى كومة ، ومزقت بعضها الى قصاصات صغيرة ، ووضعتها فى اناء جمع الرماد أمام المدفأة الكبيرة الكائنة فى ركن الغرفة . ولسوء الحظ كان اليوم يوما قائظا من أيام اغسطس الحارة . كم كانت مهمتها ستكون يسيرة لو أنها رغبت فى احراق هذه الحزمة من الأوراق فى أعماق الشتاء حيث تكون النيران متأججة فى المدفأة .

كان هناك مصباح زيتى صغير معلقا على الجدار المواجه لفراشها وكان يترك مشتعلا دائما .. فتناولته جوليت بين اصابعها فى حرص حتى لا ينطفىء اللهب الضئيل .. وصبت الزيت فوق قصاصات الاوراق فى اناء جمع الرماد ثم اضرمت فيها النار بوساطة الفتيل المشتعل . وقد ساعد الزيت على احتراق الاوراق سريعا غير أن الرائحة أيقظت بترونيل

فاسرعت جوليت تقول :

ـ لا شىء يا بترونيل .. انها بضع رسائل قديمة لاغير احرقتها .. ولكنى اريد أن انفرد بنفسى لبضع لحظات .. فهلا ذهبت الى المطبخ حتى أناديك ؟

ولما كانت بترونيل معتادة على طاعة أوامر سيدتها .. فقد استوت واقفة على قدميها فى الحال .

ـ لقد انتهيت من حزم أمتعتك يادرتي . هنـــاك .. هناك ! لماذا لم تطلبي مني احراق أوراقك ؟ انظري .. لقـد لطخت يديك الجميلتين و ...

فقالت جوليت بصبر نافد :

ـ صه ! صه ! يابترونيل !

ودفعت العجوز الثرثارة في لطف نحو الباب ..

ـ عجلي الى المطبخ الآن .. هيا اسرعي .. ولا تغـادريه الا حين أناديك .

ثم أردفت قائلة :

ـ يا بترونيل ! .. ربما ستشاهدين جنودا في المنزل.

ـ جنودا ! يا الهي .. الرحمة !

ـ لا تخشي شيئا يا بترونيل .. ولكنهم قد يلقون عليك بعض الأسئلة .

ـ أسئلة ؟

ـ نعم .. بخصوصي .

فصاحت بترونيل في انزعاج وفزع :

ـ يا حبيبتي .. ويادرتي .. هل هؤلاء الشياطين من الجنود .. ؟

ـ كلا .. كلا .. لم يحدث شيء بعد .. ولـكن الخطر ماثل دائما كما تعلمين في هذه الأوقات .

ـ يا الهي ! ماذا سنفعل ؟

ـ لن يحدث شيء اذا حاولت الاحتفاظ بالهدوء التام ، وفعلت ما أقوله لك بدقة . اذهبي الى المطبخ ، وانتظري هناك حتى استدعيك . واذا ما جاءك الجنود وسالوك .. ولو حاولوا القاء الذعر في نفسك ، فتذكري أننا لم نفعل ما يجعلنـا نخشى الرجال ، وأن أرواحنا في يد الله ..

وطيلة الوقت الذي كانت تتحدث فيه جوليت ، كانت ترقب كومة الأوراق وهي تتحول بالتدريج الى رماد . وحاولت ان تحرك الهواء فوق اللهب بكل قوتها ولكن بعض الرسائل كانت على ورق سميك يحترق ببطء . وتهيـأت بترونيل لمغادرة الغرفة مطيعة سيدتها وهي دامعـة العينين . وما ان فتحت الباب حتى هب تيار مفاجيء من الهواء اطفأ بقية اللهب في وعاء جمع الرماد . ولما رأت جوليت أن بترونيل قد ذهبت اسرعت تقلب قصاصات الورق نصف المحترقة التي تبقت.. ولكنها لم تجد ما يقرأ فيها . لقد تحول كل ما كان خطرا على ديروليد الى رماد .

لم تبق الا الحافظة الجلدية بجوانبها الممزقة .. وبعد لحظة من التردد ألقت بها جوليت بين ملابسها التي حزمتهـا بترونيل في حقيبتها .

ثم غادرت الغرفة بدورها .

الفصل الرابع عشر

لحظة سعيدة

لم يسفر تفتيش غرفة نوم المواطن النائب ديروليد عن شيء كما كان الحال في غرفة المكتبة ، وبدأ الشك يتسرب الى نفس مرلين عما اذا كان قد خدع ·

وبدا سـلوكه نحو ديروليد يتغير ·· فها هو ذا قد اصبح مؤدبا بعض الشيء ، وكان يبذل محاولات سمجة ثقيلة الظل ليبدو صديقا له ·· وكان لديه من الأسـباب القوية ما حمله على ذلك ·· فبالرغم من أنه لم يفقد الأمل في العثور على أدلة تدمغ ديروليد بالخيانة ·· الا أنه كان يعلم أنه ما لم يجد مثل هذه الأدلة فانه سيعرض نفسه هو والنائب العـام للوم والتقريع لما فعله اليوم اذا شاء المواطن النائب الشعبي أن ينتقم مستندا الى مؤازرة شعب باريس له ·

ولذا فقد عقـد مرلين عزمه على أنه اذا أخفق فـلابد أن شخصا ما سيكون كبش الفداء ·· فهو لن يترك هذا المنزل خاوى الوفاض تماما ·· فاذا لم يكن ديروليد المبلغ عنه ، فلا أقل من أن تكون جوليت ·· المبلغة هي الضحية ·

ولكنه كان لم يزل يبحث عن الأدلة ·

وقد سمح لديروليد أن ينضم لأمه في غرفة الجلوس ، ثم ذهب بنفسه الى المطبخ بحثا عن آن مى ، التى كان قد وقع بصره عليها من قبل في الردهة · وهنـا عثر على العجوز بترونيل أيضا ·· والتى استطاع أن يلقى بالذعر في نفسها ولكنه لم يتمكن من الحصول على اية معلومات نافعة منهـا ·

كانت بترونيل أغبى من أن تكون خطرة ، بينما كانت آن مي نى منتهى اليقظة والحـذر .. ثم توهم أن الرجل الماكر قد يختار أمكنة لا تخطر ببال أحد لاخفاء الأشياء ففتش المطبخ تفتيشا دقيقا .

وفي غرفة الجلوس بذل ديروليد جهـــده كي يطمئن والدته التي كانت بدورها تجاهد لتبدو شجاعة ، وتحـاول ألا تفضح دموعها خوفها على ابنها . وما ان ابتعد الجنود عنه حتى أسرع راجعا الى غرفة مكتبه فلم يجد أثرا لجوليت كما لاحظ اختفاء حافظة الرسائل .. فأسقط في يده واعترته رجفة من أجل سلامة المرأة التي أحبها .. وما ان بدأ يفكر فيما اذا كان من الأجدر به أن يبحث عنها في غرفتها الخاصة ، حتى أقبلت نحوه عبر الدهليز .

ولما رأته وضعت اصبعها على شفتيها وهمست قائلة :

ـ صه ! صه ! لقد أعدمت الأوراق .. أحرقتها .

ـ وأنا مدين لك بحياتي !

نطق بهذه الكلمات من أعماق نفسه ، وغمر قلبه شعور لا نهائي من الشكر والعرفان بالجميل والفرح والفخر بأنهـا هي التي استطاعت أن تنقذه من الخطر المحدق به . وأحس بأنها لم يسبق لها أن كانت جميلة جذابة كما كانت في تلك اللحظة .

ولكنه لاحظ عندما كان يتحدث اليهـا أنها ازدادت امتقاعا عن ذي قبل .. وتسمرت عينـاها الواسعتان السوداوان عليه وهي تحملق فيه بشدة حتى انه أجفل وظن

ابها على وشك الاغماء فأمسك بها وقادها في رفق الى غرفة الجلوس • وهناك ارتمت على أحد المقاعد كأنما تعـــانى من شدة الاعياء والتعب ، بينما نسى هو الخطر المحيط به •• ونسى مرلين وكل ما يتعلق به وركع عند قدميها وأمســك بيديها •

وعندما رفع عينيه اليها ثانية انحدرت دمعتـــان على خديها الباهتين •

وأخيرا تمتم عندما امتزجت روحه بروحها وهو يناديها بأعذب نداء من الحب :

ــ جوليت !

فانتفضت لدى سماعها كلماته •• فهى تعلم ان لا حق لها فى الاســتماع الى همسات حبه وهى التى خانته • ولكن من ذا الذى يلومها على الاصغاء ؟

ان مدام ديروليد كانت فى ركن ناء من الغرفة تتمتم ببضع صلوات •

كان العاشقان وحيدين في عالم جديد جميل•• وهاهى ذي قد نسيت الدنيـــا ونسيت الواقـــع •• وقسمها •• وخيانتها •• وبدأت تشعر بأنه من الأفضل أن تعيش •• وأن تحب •• وأن تجد عند قدميها هذا الرجل بالذات الذى اغرمت بعبادته من دون البشر أجمعين •

من ذا الذى سـيعيد عليها الكلمات التى همس بهـا ؟ لقد أطربها بكلماته فابتسمت كما لم تبتسم من قبل •• فلما رآها تبتسم غمره شعور السعادة والهناء •

الفصل الخامس عشر

افتضاح

تنبها من احلامهما السـعيدة على صوت فتح الباب واغلاقه ٠

هرولت آن مى الى الغرفة وهى شاحبة ترتجف وتنظر فى فزع ٠

قفز ديروليد الى قدميه ٠٠ وفى لحظة واحدة ألقى بكل خواطر سعادته لدى رؤيته لما عليه الفتاة المسكينة من تعاسة ٠ وأسرع ناحيتها وحاول أن يحدثها ولكنها زاغت منه صـوب مدام ديروليد ، كأنما قد غمرها ذعر لا يوصف ٠

فقال لها فى حزم :

ـ آنمى ٠٠ ماذا حدث ؟ هل تجرأ هؤلاء الشياطين ٠٠

وتدافعت حقـائق الموقف مرتدة فى عقله . وبدأ يلوم نفسه بمرارة لأنه نسى فى غمرة لحظاته السعيدة الهانئة أولئك الذين كانوا ينشدون معاونته ٠٠ وحمايته ٠

انه يعلم غلظة هؤلاء العتاة الذين يتعقبونه ٠ كان يعرف مرلين ومدى انحطاط عقليته ووسـائله الدنيئة ٠٠ فكيف يغيب عنه عقله ويترك آن مى وبترونيل وحيدتين معه ولو لبضع دقائق ؟

ولكن سرعان ما طمأنته آن مى ٠٠ فقالت وهى تحاول ان تهدىء من روعها :

ـ انهم لم يضايقونا كثيرا .. كنت أنا وبترونيل معا، وجعلونا نفتح جميع الدواليب ونكشف جميع الاطباق . لم وجهوا الينا عديدا من الأسئلة .

فتساءل ديروليد :

ـ أسئلة ؟ من أى نوع ؟

فأجابت آن مى :

ـ عنك يا بول .. وعن المدام وأيضـــا عن .. عن ضيفتك .

فنظر اليها ديروليد مليا ، مندهشا من اللهجة الغريبة التى تتحدث بها . كان من الواضح أنها فريسة انفعال قوى وكانت تقبض بيدها على قصاصة من الورق .

قال ديروليد فى لهجة يفيض منها الرفق :

ـ آن مى ! .. يا طفلتى .. يبدو أنك فى أشد حالات الانزعاج .. كأنما قد حدث شىء مخيف . ما هذه الورقة التى تمسكين بها يا عزيزتى ؟

فحملقت آن مى فيها .. وكان من الواضح أنهـا تبذل جهودا كبيرة لتسيطر على نفسها .

أما من جهة جوليت .. فقد لاح أنها تحولت الى قطعة من الصخر منذ أن وقع بصرها للوهلة الأولى على آن مى . لقد استوت فى جلســـتها وهى ما زالت كتمثال وقد تسمرت

عيناها على الفتاة كأنما تحدق في قاض قاس يوشك أن يصدر حكما بالحياة أو الموت ٠

كانت الغريزة ٠٠ تلك الحاسة القاطعة التي تنبئنا بالخطر القادم ٠٠ قد أنبأتها أنه لن تمضى لحظات حتى يفشى عارها ٠٠ وإثمها ٠٠ لعشيقها ٠

ردد ديروليد سؤاله مرة أخرى :

ـ ما هذه الورقة ؟ هلا أطلعتيني عليها يا آن مى ؟

فبدأت آن مي تتحدث بعد أن هدأت حالتها أكثر من ذى قبل :

ـ ان المواطن مرلين أعطاها لى الآن ٠٠ ويبدو انه فى أشد حالات الغضب اذ لم يعثر على شيء ضدك يا بول ٠ لقد امضوا وقتا طويلا فى المطبخ ٠٠ وقد ذهبوا الآن لتفتيش غرفتي وغرفة بترونيل ٠٠ غير أن مرلين ٠٠ أوه ! ٠٠ ذلك الرجل الشنيع ! ٠٠ يلوح انه تحول الى وحش مجنون من جراء الفشل الذى منى به ٠

ـ نعم ٠٠ نعم ٠

ـ لست أدرى ماذا كان يأمل فى معرفته منى ٠٠ فقد اخبرته أنك لم تتحدث قط مع والدتك أو معي فى شئونك السياسية ٠٠ واننى لم اعتد على استراق السمع من ثقوب الأبواب ٠

ـ نعم ٠٠ و ٠٠

ـ ثم بدأ يتحدث عن ٠٠ عن ضيفتنا ٠ ولكنني بالطبع لم أستطع مرة أخرى أن أدلى اليه بشيء ٠ لقد بدا في حيرة بشأن من قدم الاتهام ضدك ٠ لقد تكلم عن بلاغ من مجهول وصل النائب العام فى صباح اليوم الباكر ٠٠ كان مكتوبا على قطعـــة من الورق دون أن يحمل توقيعـــا ٠٠ ثم ألقى فى الصندوق العام ، ويخيل أنه ٠٠ و ٠٠

فقال ديروليد :

ـ حقا ما أغرب هذا ٠٠ ! ٠٠ لم أكن أعرف قط ان لى عدوا خفيا ٠ انني اتساءل متعجبا ٠٠ ترى أأستطيع معرفته ؟ ٠

فاجابته :

ـ هذا هو عين ما قلته للمواطن مرلين ٠

ـ ماذا ؟

ـ انني أتساءل متعجبة عما اذا كنت تستطيع ، أو ٠٠ أو أي منا نحن الذين تكن لك الحب ، أن نميط اللثام عمن يكون عدوك الخفي ٠

ـ لقد جانبك الصواب اذ تحدثت مع مثل هذا الوحش أيتها الصغيرة ٠

ـ انى لم أتحـــدث اليه كثيرا ٠٠ وانى ما فعلت ذلك الا لتهـــدئة خاطره فقد لاح لى أنه يريد التحدث فى هذا الموضوع ٠

ـ حسن ؟ وماذا قال ؟

ـ لقد ضحك ·· وسألنى اذا كنت أتوق كثيرا لمعرفة ذلك العدو ·

ـ آمل أن تكونى قد قلت له « لا » يا آن مى ·

فاجابت فى حماس مفاجىء ، وعيناها مثبتتـــــان على جوليت التى كانت ما زالت جالسة فى صمت ·· ممتقعـــة الوجه ·· وهى ترقب كل حركة من آن مى منذ اللحظة التى شرعت فيها تسرد قصتها ·

ـ لقد قلت له « نعم » بكل تأكيد ·· اذ هل يعقل أننى لا أود معـــرفة عدوك يا بول ·· ذلك المخلوق الذى بلغ من خيانته أنه حاول أن يسلمك الى أيدى هؤلاء العتـــاة غلاظ الأكباد ؟ هل وجهت اساءة الى أحد ؟

فابتسم قليلا لتلهفها على اكتشاف ما بدا له شيئا تافها ·· اسم عدوه ·· وقال لها :

ـ صه ! ·· صه ! ·· يا آن مى ! انك شديدة الانفعال·

ـ عفوا يا بول ·· ولكن كيف أتجنب الانفعـــال عندما أتكلم عن مثل هذه الخيانة ·· والغدر ·· كما ألمح مرلين عن ذلك ؟

ـ حسن ·· وماذا ألمح عنه مرلين ؟

فهمست آن مى :

ـ ان الأمر أخطر من مجرد التلميح ·· لقد اعطـــانى

هذه الورقة ·· الاتهام الذى تلقاه النائب العام هذا الصباح· لقد قال انه يعتقد أن واحدا منا لابد سيتعرف على الخط ·

ثم سكتت ·· وهى تقف على بعد خمس خطوات من ديروليد ·· ومدت اليه يدها بالورقة المجعدة التى كانت لا تزال تقبض عليها حتى الآن فى عزم ·· وكان ديروليد على وشك أن يتناولها منها عندما حانت منه التفاتة نحو جوليت·

لم تقل شيئا ولكنها نهضت أيضا واقفة على قدميها وأسرعت قبله الى جانب آن مى ·

حدث ذلك كله فى لمح البصر ·· ثم ساد الغرفة سكون مميت ·· ولكن ديروليد استطاع فى هذا الجزء من مائة من الثانية أن يقرأ الاثم فى وجه جوليت ·· وخيل اليه أن روحها قد ظهرت أمامه بكل عارها وتعسها ·· وبدا كأن الصواعق قد انقضت من السماء فدفنت تحت أوارها كل حبه وسعادته ·· واختفت من الوجود المرأة التى أحبها ·

بقيت أمامه امرأة جميلة ·· تلك التى وهبها كل كنوز حبه وفتح لها قلبه ·· تلك التى أنقذها ، وآواها ، وحماها ، والتى ردت كل ذلك بهذا الشكل · لقد تعمدت دخول منزله وتجسست عليه وكذبت عليه وخانته · كانت لحظة رهيبة·· مفاجئة ·· حتى لم يستطع التفكير فيما دفعها الى ذلك · لم يكن يعلم شيئا عن قسمها ·· وحتى هذه اللحظة لم يدر بخلده أنه ·· منذ زمن بعيد ·· قد قتل أخاها فى قتال عادل شريف · لقد خيل اليه أن الماضى والحاضر والمستقبل قد

انمحت جميعها ·· وأنه لم يبق أمامه سوى فكرة خيانتها ·

لم تحاول حتى اخفاء اثمها ·· ولكنهـا نظرت اليه فى ضراعة سائلة اياه ألا يزيد فى خجلهـــا وعارها ·· كانت تطلب منه الرحمة حتى لا تحتقرها مدام ديروليد وآن مى ·

قال فى برود :

ـ اعطنى الورقة يا آن مى ·· فربما أستطيع ان أتعرف على خط ألد أعدائى ·

فظلت آن مى تحملق فى وجه جوليت الذى قرأت فيه كل ما كانت تريد وأجابت ببطء :

ـ لا داعى لذلك الآن ·

وسقطت الورقة من يدها ··

انحنى ديروليد ليلتقطها ·· ثم نشرها فرآها بيضاء ·

فقال لها دون تفكير :

ـ لا شىء مكتوب فى هذه الورقة ·

فأجابت آن مى :

ـ كلا ·· ليست هنا كلمات ·· ومع ذلك فهى تحمل قصة خيانتها ·

ـ ان مافعلتيه فيه قسوة وخبث يا آن مى ·

ـ ربما ·· ولكننى حدست الحقيقة ·· انى أردت أن

أعرف .. وقد أرشدني الله الى الطريق .. كيف أتصرف وكيف اجعلك تعرف أيضا .

ـ أعتقد أنه من الأفضـــل ألا تتحدثي عن الله الآن . أتسمحين بالعناية بوالدتي ؟ انها تبدو مغمى عليها ومريضة .

كانت مدام ديروليـد ترقب هذا المنظـر الحـزين وهي صامتة في مقعدها . لقد شل تفكيرها تماما منذ ظهور مرلين ورجاله وادراكها للخطر الداهم الذي يتهدد ابنها . انها لم تحرك ساكنا ازاء الاكتشاف الأخير عن خيـانة جوليت .. فطالما كان الخطر محدقا بابنها لم يعنها أن تعرف مصدره .

أطاعت آن مي رغبة ديروليد ، فأقبلت على السـيدة العجوز تسرى عنها .

وبدأت الفتاة العـاجزة المسكينة تحس الأثر الرهيب الذي سببته فعلتها . انها لم تعرف ولم تأبه لدوافع جوليت .. وكل ما كانت تعلمه أنها مدفوعة بنكران الجميل والخيانة ان الغيرة التي مزقت آن مي في الأسابيع الثلاثة الماضية قد ثارت وحنقتها على فضح الخائن . وقد نفذت الآن كل شيء حسب خطتها . وها قد عرف بول أنه أضاع حبه على كاذبة مخادعة .. وها هي ذى جوليت تقف قبالته ممتقعة يجللها الخزى والخجل .

لقد انتصرت آن مي ، ولكنها لم تسعد بانتصارها هذا .. فبدأت التنهدات تتصاعد من قلبها المكلوم . انها نجحت في

القضاء على معبودة بول ، بيد أن النظرة الوحيدة التى تطلعت فيها الى وجهه انباتها أنها حطمت حياته أيضا ٠

بدا كأنه تقدم فى سنــه ٠٠ واختفت من عينيه النظرات الحادة التى كانت تفيض بالهمة والحيوية ٠٠ كان يحملق أمامه فى لا شىء وهو يطوى بين أصابعه الحائرة تلك القصاصة البيضاء من الورق ٠٠ وبدا كأنما فقد كل نشاطه وكبريائه ٠٠ ولاح اليأس والقنوط على وجهه ٠

وتنهدت آن مى وهى تلف شالا حول كتفى مدام ديروليد وقالت لنفسها :

ــ كم كان يحبها !

لم تقل جوليت شيئا وبدت كأنما قد فارقتها الحياة ٠٠٠ ولم تكن الآن سوى تمثال قد فارق الاحساس عقلها ومات قلبها ٠٠ ومع ذلك ظلت تنظر الى ديروليد ٠٠ فقد بقيت لديها حاسة البصر ٠ لقد رأت وجهه يحاكى من يعانى سكرات الموت ٠٠ ادراكه لجرمها ٠٠ حيرته وارتباكه ٠٠ والفراغ اليائس الذى اكتنف روحه وعقله ٠

وتدريجيا بمرور الدقائق ٠٠ رأت روحه القوية بدأت تناضل من داخله ضد ظلام اليأس ٠ وها هو ذا يشد قامته ٠٠ وتناسى نفسه وتذكر مسائل أخرى وشئون الآخرين ٠٠ وهكذا بدأ يطرح حمله الثقيل من الأحزان جانبا ٠

تذكر حافظة الرســائل الحاوية على الأوراق ٠٠ ماذا حدث لها ؟ ما الذى دفعها الى اخفائها وتاخير لحظة اكتشافها

المؤكد بوساطة مرلين • ولم يدر بخلده على الاطلاق انهــا أرادت انقاذه •• ولم يكن هناك غير نتيجة واحدة : انهــا خدعته طوال الوقت ، خدعته عندما جاءت اليه تنشد حمايته . خدعته عندما علمته أن يحبها ، وفوق كل شيء خدعته عندما بثها غرامه فاستمعت اليه باسمة •

وعندما عاودته الذكرى المريرة للحظة السعيدة وطوقت عقله الذى يدوى بالألم •• تطلع اليها بنظرة عتاب طائلة •• تفيض بالرقة •• حتى أن مى التى كانت ترقبه ، شـــعرت كأنما قلبها قد تحطم شفقة عليه •

ولكن جوليت لمحت أيضا تلك النظرة •• ولكنهــا كانت أكثر مما تســتطيع احتماله •• فمادت الأرض تحت قدميها فجثت اخيرا فوق ركبتيها على الأرض امامه ، وقــد احنت راســها الذى يتوجه شــعرها الذهبى تحت وطأة ما تعانيه من اثم وخزى •

الفصل السادس عشر

الاعتقال

لم يحاول ديروليد أن يتقدم منها ٠

وفقط عندما سمعت وقع الأقدام الثقيلة لمرلين ورجاله مرة أخرى ، استوت واقفة على قدميها فى هدوء ٠

لقد أذلت نفسها وأعلنت ندمها وتوبتها راكعة فوق ركبتيها أمامهم جميعا ٠ ونظرت نظرة أخيرة الى أولئك الذين اخطات فى حقهم خطأ جسيما وودع قلبها ذلك الحب العظيم الذى كانت تنشده ثم سحقته بقنوط فيما بعد ٠

شعرت فى تلك اللحظة أنها على استعداد لأن تدفع ثمن خطيئتها كاملا ٠

دخل مرلين الغرفة بعد ذلك ٠٠ وكانت نظرة واحدة الى وجهه المتجهم كفيلة لأن تعرف جوليت ما أرادت معرفته ٠ لقد فتش غرفتها وعثر على بقايا الأوراق المحترقة التى تركتها عمدا فى وعاء جمع الرماد ٠

ان تصرفه الآن أهم ما يشغل جوليت حاليا ٠ لقد سبق أن أوضح لها ذات مرة أنها لن تفلت من الاعتقال والعقاب ٠٠ وقد جاء تعبير نظرات مرلين وهو يتفرس فيها معززا لما سبق أن قاله لها ٠

وكانت عودة مرلين بالنسبة لديروليد عودة مرحب بها ٠٠ فانه لم يعد يأبه بشىء بعد أن علم بخيانة جوليت ٠٠ ولذا فانه لم يعد يفكر فى الخطر المحدق به ٠٠ ورجح أن

مرلين سيعثر على الحافظة الجلدية ٠٠ تلك التى لايستطيع التكهن بمكانها ٠ وربما اعطتها جوليت بنفسها للجنود ٠ لقدأخفتها لبضع لحظات لغرض لا يمكنه أن يحدسه ٠٠ وأما أنها كانت تحاول انقاذه وأنهـــا على استعداد حتى لتضحية نفسها من أجله ٠٠ فذلك ما لم يدر بخلده ٠

كان تصرف مرلين هـــذه المرة مشــوبا بالاحترام ٠٠ وابتدره قائلا :

ـ أيها المواطن النائب ٠٠ يســعدني أن أسوق اليـك الانباء السارة عن أننا لم نعثر على شيء في منزلك يمكن أن يلقي ظلا من الشك على ولائك للجمهورية ٠ الا أن أوامرى تقضى باقتيادك الى لجنة الأمن العام سواء وجدت أدلة تدينك أم لم أوفق فى ذلك ٠

كان يرقب ديروليد بتمعن ٠٠ والأمل يراوده فى هذه اللحظة الأخيرة في أن يكتشف نظرة أو اشارة تمده بالأدلة التى يبحث عنها ٠٠ فان أقل اشارة تدل على الارتياح أو الرضـــا تكفى لاقناعه واقناع لجنة الأمن العام على أن المواطن النائب مذنب ٠

ولكن ديروليد لم يحرك ساكنا وظل مسيطرا على نفسه ولم تبد منه دهشة أو ارتياح برغم أنه شعر بهما ٠٠ ارتياح لا لنجاته ولكن من أجل والدته وآن مى اللتين يجب ترحيلهما خارج البلاد بعيدا عن الخطر ، وأيضا من أجلها ٠٠ جوليت مارنى فهى برغـم ما فعلـه ما زالت ضـيفته ٠ أما شـعوره

بالدهشة فقد كان أقل شدة . كان يبدو أن مرلين لم يعثر على حافظة الرسائل .. وعلى ذلك فان جوليت لم تعطها له... ولابد أنها نجحت في اخفائها وهكذا استطاعت في هذه اللحظة أن تنقذه . ترى لماذا فعلت ذلك ؟ لم يعد يهمه هذا الأمر .. وبدا له مؤلما أن تكون خيانته أو انقاذه على يديها .

قبل أمه في رفق وودعها ، وتناول يد آن مي الصغيرة بين يديه وضغط عليها بحرارة . وبذل جهده ليطمئنهما .. ولكنه لم يجرؤ على ذكر شيء يتعلق بالخطط التي أعدها لنجاتهما أمام مرلين .

وبعد ذلك كان على استعداد ليقفو أثر الجنود .

ولما مر بجوار جوليت انحنى لها وهمس قائلا :

ـ الوداع !

سمعت همسه ولكنها لم تجب .. ولكنه وجد اجابة وداعه في نظرة عينيها .

وسمع صدى وقع أقدامه وأقدام الجنود أسفل الدرج ثم صوت باب الردهة يفتح ثم يغلق . وسمع من خلال النافذة المفتوحة صوت الهتاف الذي استقبل به الناس المواطن النائب الشعبي عندما ظهر في الشارع .

وقف مرلين بجانب اثنين من رجاله عند الباب ، ثم أمر الرجلين الآخرين أن يذهبا مع ديروليد حتى قاعة العدالة حيث كان يجلس أعضاء لجنة الأمن العام .

تجمعت شرذمة من النساء الغاضبات خارج المنزل ..
اذ سرعان ما انتشرت الأنباء عبر الشارع أن مرلين .. مرلين نفسه قد زار منزل بول ديروليد وفي صحبته أربعة جنود . وكان كل انسان يعرف معنى ذلك . ان مثل هـذه الاهانة لرجل هو موضع ثقتهم أثارت غضب الجموع . وهزأت النساء من الجنود وسخرن منهم حالما ظهروا . واعترى مرلين خوف غامض من أن يخطب المواطن النائب في الغوغاء .

صاحت احدى النساء وهي تلوح بقبضتها تحت أنف مرلين :

ـ انك تستحق حبلا تشنق به أيها العجوز الأحمق !

وصاحت أخرى :

ـ اعطنا كلمة أيها المواطن النائب ونحن نحطم وجهـه القبيح .

كانت كلمة واحدة من ديروليد كافية لأن تدفع الجموع لانقاذه . وكان مرلين يتوقع شيئا من هذا القبيل .. فقـد بلغ هياج شعب باريس وغضبه أشده في هـذه اللحظة .. فان كره الشعب لبعض الأفراد كان يعادله حبه للبعض الآخر .. لقد عبدوا مارا لأنه كان بذيئا مثلهم .. وعبدوا دانتون لحيويته ونشاطه ، وروبسبير لرزانته ؛ وعبدوا ديروليد لكياسته وشفقته ورعايته لأطفالهم وطلاقة لسانه في الخطابة . وكانت طلاقة لسانه هي التي يخشاها مرلين في تلك اللحظة .

ولكن ديروليد فضل أن يلوذ بالصمت بالرغم من أنه

كان قادرا على تأليب الجموع لصالحه ٠٠ بل لقد هدأ روعهم باشارة من يده وكان مرلين قد ازمع العودة الى المنزل فانتهز هذه الفرصة ليفعل ذلك ٠٠ وسمح لديروليد وحارسيه بان يتابعوا سيرهم بينما تقهقــر هو مسرعا تجاه الباب مشــيعا بسخرية النساء واستهزائهن ٠

وعندما أغلق الباب في وجوههن بدأت بعضهن يقرعنه بقبضاتهن ٠ ثم أدركن أن محبوبهن المواطن النائب ديروليه كان يسير وحيدا بين جنديين كما لو كان ســجينا ٠ وسرت الاشاعة بينهن أنه مقبوض عليه وأنهم يقودونه سجينا الى قاعة العدالة ٠

بيد أن ذلك يجب ألا يحدث ٠٠ فقد تعلم غوغاء باريس أنهم سادة المدينة ٠٠ وقد تعلموا درسهم جيدا ٠٠فآلوا على أنفسهم وضع بول ديروليد تحت حمايتهم الخاصة ٠٠ فاقتفى أثره كحرس شرف له ٠٠ الرجال أنصاف عرايا ، والنســاء في أسمالهن البالية ، والأطفال ٠٠ وكان الجميع يصـــيحون ويصرخون كي يتأكدوا من عدم تعرض أحد له بالاساءة ٠

الفصل السابع عشر

تكفير

انتظر مرلين برهة فى الردهة ، حتى سمع صياح الجموع يتلاشى تدريجيا ٠٠ فارتقى عندئذ الدرج مرة أخرى ٠

وقد وقعت كل هذه الأحداث فى الخارج فى دقائق معدودات ٠ وكانت مدام ديروليد وآن مى مشغولتى البال لما يحدث فى الشارع فلم يلحظا جوليت ٠٠ ولكنهما لم يجرؤا على الخروج الى الشرفة لمشاهدة ما يحدث ولذا لم تفهما معنى لاعادة فتح الباب واغلاقه ٠ وفى اللحظة التالية سمعت خطوات مرلين الثقيلة فوق الدرج مما أدى الى أن تتلفت آن مى حولها فى ذعر ٠

فقالت جوليت فى هدوء :

ـ انهم الجنود يعودون ثانية من أجلى لاغير ٠

ـ من أجلك ؟

ـ نعم ٠ انهم قادمون ليأخذونى ٠٠ وأظن أنهم لم يرغبوا فى تنفيذ ذلك فى حضرة مدام ديروليد خشية أن ٠٠

لم يكن لديها متسع من الوقت لتقول أكثر من ذلك ٠٠ اذ بينما آن مى كانت لا تزال تتطلع اليها فى دهشة دون أن تفهم ، دخل مرلين الغرفة ٠

كان يحمل فى يده حافظة جلدية ممزقة تماما ومشقوقة من أحد أطرافها ، وبضع قصاصات من ورق نصف محترقة

وسار قدما نحو جوليت ، والقى بالحافظة والأوراق فى وجهها بخشونة .

ـ أهذه لك ؟

ـ نعم .

ـ أظن انك تعرفين أين عثرنا عليها ؟

فأجابته في هدوء بايماءة من رأسها .

ـ وما هي هذه الأوراق التي أحرقتيها ؟

ـ خطابات غرامية .

ـ انت تكذبين !

فهزت كتفيها وقالت في اقتضاب :

ـ كما يحلو لك .

ـ انني أسألك مرة أخرى . ماذا كانت هذه الأوراق ؟

فقالت :

ـ لقد قلت لك . انها خطابات غرامية رغبت فى احراقها .

فسأل قائلا :

ـ ومن كان عشيقك ؟

ولما لم تجب .. أشـــار تجاه الشـــارع حيث كانت الصيحات « ديروليد ! .. ديروليد » مازال صداها يدوى من بعيد .

ـ هل كانت هذه الخطابات منه ؟

ـ كلا .

ـ أوه ! .. اذن فلك أكثر من عشيق واحد ؟

ودفع بوجهه قريبا من وجهها .. ووضع يده التى تشبه المخلب تحت ذقنها وأرغمهـا على أن تسـتدير ناحيته وتنظر اليه وقال وهو يضحك كأنه الشيطان :

ـ اذن فلك أكثر من عشيق واحد ؟ انني أرى .. لقد أردت أن ترسلى واحـــدا منهم الى المقصلة لتفسحى الطريق للآخر ؟ أليس كذلك ؟

وكرر سؤاله :

ـ اليس كذلك ؟

وقبض فجأة على أحد معصميها وثناه فى وحشية حتى لقد صرخت من الألم .

أجابته فى عزم :

ـ نعم .

فسألها :

ـ أوتعلمين أنك أحضرتينى هنا فى مهمة غبية لا جدوى منها ؟ وأن المواطن النائب ديروليد لا يمكن ارساله الى المقصلة لمجرد الشك ؟ أو كنت تعلمين ذلك عندما كتبت اتهامك ؟

ـ كلا .. لم أكن أعلم ؟

ـ هل اعتقدت اننا يمكننا أن نقبض عليه لمجرد الشك؟

ـ نعم .

ـ وكنت تعلمين أنه برىء ؟

ـ كنت أعلم ذلك .

ـ ولماذا أحرقت خطاباتك الغرامية ؟

ـ كنت أخشى من العثور عليها ، ولم أكن أرغب فى ان يراها أو يعلم بها .

واستدار مرلين وهو يسب ناحيـــة المرآتين الأخريين اللتين جلستا منكمشتين بوجهيهما المتقعين فى ركن من الغرفة وهما لاتفهمان شيئا مما يحدث . ولا تعرفان فيما تفكران او تعتقدان . انهما لم تعلما شيئا عن خطط ديروليد لانقاذ مارى الطوانيت ، ولا ماكانت تحويه حافظة الرسائل .. ومع ذلك فقد شعرتا كلاهما شعورا مبهما بأن الفتاة الجميلة التى وقفت أمام مرلين فى هـــدوء لا يلوح عليها أنها ذات المرأة الغـادرة الخائنة .

قال مرلين فى خشونة لأن مى التى كانت ترتجف :

ـ أتعرفين شيئا عن ذلك ؟

فأجابت :

ـ لاشىء على الاطلاق .

وقالت جوليت ببرود :

ـ لا أحد يعرف شيئا عن شئونى الخاصة أو عن رسائلى الخاصـــة .. وكمـــا أخبرتك لقد وضـــعت خطة للتخلص من

المواطن النائب ديروليد من أجل عشيقى الآخر • وكنت آمل أن تنجح خطتي • ولكنني فهمت الآن أنه شخص ذو مكانه وأهمية وأكبر من أن يقدم للمحاكمة بناء على مجرد الشك •• واتهامى له لم يكن مرتكنا على حقائق •

فقال مرلين غاضبا :

ـ وهل تعرفين أيتها الأرستوقراطية الجميلة أنه ليس من الحكمة أن تغررى بلجنة الأمن العام أو أن تتهمي دون سبب أحد ممثلى الشعب ؟

فأجابت فى هدوء :

ـ أعرف انك أيها المواطن مرلين تصر على أن امرىء ما لا بد أن يدفع ثمن فشلك • انك لا تجرؤ الآن على مهـــاجمة المواطن النائب ولذا يجب عليك أن تقتنع بى كفريسة لك •

ـ كفى عن هذا الحديث الآن • ليس لدي وقت أضيعه بالتحدث الى الأرستوقراطيين • هلمى الآن •• واتبعى رجالى فى هدوء •

ـ انى على استعداد تماما لأتبعكم • هل يمكننى التحدث الى صديقتي قبل ذهابى •

ـ كلا •

ـ قد لا أستطيع أن أحدثهما مرة أخرى •

ـ لقد قلت كلا •• واعنى كلا • والآن هلمى الى الأمام •• تقدمي ! •• لقد اضعت وقتا طويلا •

كانت جوليت تأمل أن تتمكن من الانة قلب مدامديروليد وآن مي بالنسبة اليها ٠٠ فلم تكن تعرف ان كانتا تعتقدان في صحة الأكاذيب التعسة التي رددتها لمرلين ٠٠ وفقط درست انهما في اللحظة الحالية تعتقدان في أنها الخائنة التي ارادت أن توقع ببول ديروليد ٠ ولكن لم يسمح لها بالحديث٠ يجب أن تسير قدما الى محاكمة مؤكدة ، والى موتها المحتمل دون أن تنبس بالكلمات التي تجعلهما يفهمانها ٠

استدارت بهدوء وسارت صوب الباب ، حيث كان يقف الجنديان وقفة انتباه ٠

وحدث أن هرولت اليها آن مي ٠٠ فقد قرأت شيئا في وجه جوليت جعلها تندم على تصرفاتها حيالها ، ولما كانت الآن على وشك مغادرة المنزل الذى أظلها سقفه الى حيث الجماهير القاسية والتعذيب المروع في محكمة الثورة المرعبة ٠٠ ذاب قلب آن مي مشاركة لها في شعورها ٠

وقبل أن يستطيع مرلين أو رجاله منعها ، اندفعت مسرعة تجاه جوليت وتناولت يدها وقبلتها في حنان ٠

وبدا كأنما جوليت تفوق من حلم ٠٠ وتطلعت الى آن مي في نظرة كلها أمل وفرح وهمست قائلة :

ـ قولى له ٠٠ انه كان قسما ٠٠ أقسمته لوالدى ولأخى الصريع ٠

ولم تستطع آن مي سوى أن تومىء برأسها فقد خنقتها العبرات ولم تسعفها الكلمات ٠

وغمغمت جوليت :

ـ أخبريه أيضا انني سأدفع الثمن .. حياتي .

صاح مرلين :

ـ ثم ماذا .. ابتعدي أيتهـا الحدباء .. اللهـم الا اذا أردت أن تصاحبينا أيضا .

فقالت آن مي من خلال دموعها :

ـ سامحني .

ثم دفعهـا الرجال جانبا في غلظة وفظاظة . وعندما وصلت جوليت الى الباب تحولت اليها ثانية وقالت :

ـ بترونيل .. اعتني بها .

وتبعت الجنود خارج الغرفة بخطى ثابتة .

ولم يلبث الباب الخارجي أن سـمع وهو يفتح ، ثم انصفق وراءهم بعنف وساد السكون المنزل .

الفصل الثامن عشر

في سجن لوكسمبورج

بينما كانت جوليت تسير مخترقة الشوارع بين رجل الحرس الوطني ومن ورائهم مرلين تبعتها شرذمة لاعنة ساخرة وأخذوا يسبونها ويقذفونها بالطين. كان مورد الارستوقراطيين قد شح أخيرا ، وكان هذا من المناظر التي ينتظرونها بفارغ الصبر . سيدة ارستوقراطية جميلة راقية ذات يدين بيضاوين ووجه شاحب متكبر . وقد حاولت احدى النساء أن تتجاوز الجنود لتصفع الفتاة على وجهها .. امرأة ! لم تتجاوز الثلاثين تجر وراءها طفلا صغيرا بائسا شاحب الوجه . ولما دفعها الجنديان جانبا بخشونة قالت للطفل :

ـ والآن دعنا نراك وانت تبصق على الأرستوقراطية !

ثم اردفت قائلة :

ـ هيا ابصق على الأرستوقراطية كما قلت لك !

وفتح الطفل فمه الصغير مطيعا لأمر أمه .

ضحك الجنود وحتى مرلين نسي تجهمه وسره هذا الحدث .

ولكن جوليت لم تر أو تسمع شيئا من هذا كله .

كانت تسير كأنها في حلم في عالم آخر بعيدا عن الغوغاء فلم تر الوجوه الشريرة المتسخة وهي تقترب منها بين الفينة والأخرى .. ولم تشعر بأيدي الجنود الخشنة وهي

استنحثها وسط الزحام • كانت فى اوج سعادتها •• لم تكن تفكر فى شيء سوى أنها أنقذته من نتائج خطيئتها ، وأنها على وشك أن تضحى بحياتها من أجله ، تأكيدا لسلامته •

وهكذا سمحت لهم باقتيادها وسط غوغاء باريس الساخرين الذين ما كانوا ليتورعوا عن تمزيقها اربا لولا حارسيها حتى لا يؤخروا استمتاعهم بمشهد موتها •

وقد ساقوها الى لوكسمبورج الذى كان ذات يوم قصر آل مديتشي ومقر لويس الرابع عشر الأكبر • وأصبح الآن سجنا كريها مكتظا بالسجناء •

كانت الساعة قد بلغت السادسة بعد الظهر ، وهذا اليوم التاريخى يقترب من نهايته • وقد سلموها الى حاكم السجن وكان رجلا بدينا قصير القامة يرتدى سروالا أسود وقميصا من الصوف الأسود ويضع على رأسه ـ ذات الشعر الأشعث ـ قبعة حمراء قذرة تعلوها نجمة مثلثة الألوان ••

تطلع اليها من راسها الى قدمها فى أثناء مرورها من خلال فتحة الباب الضيقة ثم سأل مرلين سؤالا سريعا قائلا له فى همس :

ـ أهى خطرة ؟

فأجاب مرلين :

ـ نعم •

وأردف الحاكم قائلا :

ـ انت تعلم أن السجن مكتظ بنزلائه •• ويجب ان نعلم اذا كان ينبغي أن نعزلها عن الآخرين ونراقبها مراقبة خاصة •

فقال مرلين :

ـ بكل تأكيد •• ستكون مسئولا شخصيا عن هذه السجينة أمام لجنة الأمن العام •

ـ هل يسمح لأى زائر بمقابلتها ؟

ـ كلا بكل تأكيد •• اذا لم يكن باذن خاص من النائب العام •

سمعت جوليت هذا الحديث المتبادل القصير الخاص بمصيرها •

لن يسمح لأحد بزيارتها •• فاذا حاول ديروليد ان يأتى فانه لن يراها • حسن •• ربما كان هذا أفضل •• فانها كانت تخشى مقابلته •• خشية أن تقرأ فى عينيه قصة غرامه الميت •• فيحطم هذا سعادتها الحالية •

كانت ترجو ألا ترى أحدا •• فقد أصبحت لها ذكرياتها •• ذكريات سعيدة قصيرة •• تلك الكلمات القلائل •• القبلة الأخيرة التى طبعت على يدها •• وهمساته الحرى التى ندت عنها شفتاه عندما ركع عند قدميها :

ـ جوليت !

الفصل التاسع عشر

حيرة وارتبــاك

استجوبت لجنة الأمن العام المواطن النائب ديروليد ٠٠ وسرعان ما سمحت له بالانصراف ٠

كان الاستجواب موجزا وسريا فلم يعرف شــعب باريس أن معبوده كان موضع شك واتهام ٠ وعندما أجاب عن جميع الأسئلة التي ألقيت عليــه ، عاد مرلين لتوه من مهمته في سجن لوكسمبورج ٠٠ فقدم تقريره عن تفتيش منزل المواطن النائب ٠٠ فقيل لديروليد باقتضاب ان الجمهورية لا تتهمه بشيء :

ولكنه كان يعلم معنى ذلك تماما ٠٠ انه سيصبح من الآن فصاعدا موضوعا تحت الشك والارتيــاب وســوف يراقبونه باستمرار كفأر يراقبه قط ثم يقبضون عليه ثانيـــة حينمـــا تحين اللحظة المناسبة للقضاء عليه ٠ ان اعداءه سيراقبونه بعيون حادة حاسدة في انتظار أن يفقــد شــعبيته ٠ وكان ديروليد يعلم طبيعة النفس البشرية ويعلم جيدا أن اليوم الذي سيفقد فيه حب الشعب آت لا ريب فيه ، وعندما يأتى هذا اليوم لن يعود أعداؤه يخشون قوته وقدرته على اثارة شعب باريس فلا يتوانون في توجيه ضربتهم اليه ٠

وعلى ذلك فقد استحوذ على تفكيره ورأى من واجبه أن يسارع باخراج والدته وآن مى من البلاد في أمان ٠

وكذلك ٠٠٠

لقد فكر فيها ، وتساءل عما عساه أن يكون قد حدث

لهـا • واذ كان يسرع الخطى عبر القنطرة حتى وصـل الى الجانب الآخر من النهر تدافعت أحداث الســـاعات القلائل الماضية الى ذاكرته بقوة مخيفة •

شعر بالألم يعتصر قلبه عندما تذكر خيانتها •• ولم يستطع ادراك ضعتها ولا نكرانها لجميله •• فحاول أن يتذكر انه أساء اليها •• وتساءل فربما كانت تحب شخصا آخر ، وحاولت أن تتخلص منه •• ولكن كيف يمكن ذلك ؟ انه لم يرغمها على حبه •• ولم يطلب منها أن تحبه •• انه لم يطلب منها شيئا سوى أن تعطيه حق خدمتها وحمايتها • فلماذا اذن عاملته هكذا ؟ ربما كان ذلك لتثأر لمقتل أخيها •• ان هـذا هو التفسير الوحيد الذى وجده •• انه العـــذر الوحيـــد لجريمتها •

لم يكن يعرف شـيئا عن قسمها لأبيها •• وبالطبع لم يسمع التاريخ المحزن للفتاة الصغيرة الحســـاسة التى مرت بلحظة مرعبة يوم وقفت بين أخيهـا الصريع وأبيهـا تصـف المجنون • لقد اعتقد أنها انتقمت منه انتقاما عاديا لتثأر منه من شيء لا يعتبر مسئولا عنه••عن خطيئة أرغم على ارتكابها •

ولكن كيف أحبها !

نعم •• أحبها •• فقد كان ذلك فى الماضى •• وأما الآن فلم تعد معبودته •• انها سقطت الى هاوية سحيقة القرار حتى أنه لن يمكنه أن يعثر على الطريق الذى سـيهبط فيه بحثـا عنها ثانية •

وعند باب منزله قابلته آن مي والدموع تنهل من عينيها، وهمست له قائلة :

ـ لقد ذهبت ٠

فسأل ديروليد وقد انتابته قشعريرة من الخوف :

ـ ذهبت ؟ من ؟ وأين ؟

فأجابت آن مي :

ـ لقد ذهبت جوليت ٠٠ لقد أخذها هؤلاء الوحوش ٠

ـ متى ؟

ـ عقب ذهابك مباشرة ٠٠ لقد عثر ذلك الرجل مرلين على بعض الرماد وقصاصات من الورق ٠٠٠

ـ رماد ؟

ـ نعم ٠٠ وحافظة رسائل ممزقة ٠

ـ يا الهي !

ـ لقد قالت انها كانت رسائل غرامية ٠٠ أرادت احراقها لئلا يقع بصرك عليها ٠

ـ هل قالت ذلك ؟ آن مي ٠٠ آن مي ٠٠ هل انت واثقة ؟

كان ذلك مريعا ٠٠ ولم يستطع أن يفهم شيئا ٠٠ وكف عقله الذكي النشط عن التفكير في هذه اللحظة المريعة ٠

واستطردت آن مي من بين دموعها :

ـ نعم ‥ انني واثقة تمام الثقة ‥ أوه ! ‥ ان هذا المرلين الشنيع قد قال بعض الأشياء البذيئة ‥ ولكنها كررت قصتها وقالت ان لها عشيقا آخر . أوه يابول ‥ انني متأكدة أن هذا ليس حقيقي . لقد كرهتها ‥ كنت أغير منها لأنني كنت أعلم أنك تحبهـا ، وأنا كنت أسيء الظن بهـا ولكنني لا أستطيع أن أعتقد انها وضيعة الى هذا الحد .

فقال لها في لهجة جوفاء :

ـ كلا ‥ كلا ‥ أيتها الطفلة ‥ انها لم تكن وضيعة بهذا الشكل ‥ فهل قلت لي مزيدا من أقوالها .

لم تفه بغير القليل بعد ذلك . ولكن مرلين سألها عما اذا كانت قد اتهمتك تخلصا منك من أجل عشيق آخر .

ـ وماذا قالت في هذا الشأن ؟

ـ قالت ان ذلك كان صـحيحا . ثم تبعتهم دون أن تنبس ببنت شفة عندما قال مرلين انها ستستجوب أمام لجنة الأمن العام لأنها غررت بممثلي الشعب .

فتمتم ديروليد :

ـ يالفتاة المسكينة ! ‥ ستدفع حياتها ثمنا لذلك .

وأضاف مغمغما لنفسه بصوت نصف مسموع :

ـ وحياتي أيضا !

لم تسمعه آن مي ‥ فقد كانت نفسهـا نهبا للأسى والاشفاق عليهما معا .

قالت وهي تضع يدها الرقيقة على ذراعه :

ــ وقبل أن يذهبوا بها أسرعت اليهـا وودعتهـا فدفعني الجنود جانبا ، ولكنني تمكنت من تقبيلها ٠٠ عندئذ أسرت الى ببضع كلمات ٠

ــ نعم ٠٠ وما هي ؟

فقالت :

ــ كان قسما ٠

وأردفت آن مي قائلة على مهل :

ــ اخبريه أنني أقسمته أمام أبي في حضرة أخي المقتول ٠

ــ قسم !

ادرك الآن كل شيء ٠٠ أوه ٠٠ كم يرثي لها ٠ كم تعذبت عندما تصارعت روحها النبيلة ونفسها العالية ضد هذا الغدر الأسود ٠

لم يعد لدى ديروليد شك في أنها وفية باسلة ٠ لقد قررت أن تدفع حياتهـا ثمنا لخيانتها له ولعائلته ٠٠ فهي ستحاكم أمام محكمة ستدينها لا محالة ٠٠ وستدفع حياتها ثمنا لخطأ كان لا يمكنها تجنبه ٠

ولكنها لم تحبه أبدا !

كان هذا هو شـعور المرارة الوحيـد الذى أحس به الآن ٠٠ فقد آلمه ذلك أكثر من اثمهـا ٠٠ وأكثر من كذبها ونفاقها ٠٠ بل وأكثر من فقدها ٠

ولم يدرك ديروليد قبل الآن عظم آماله ، كيف كان يترقب يوما بعد يوم نظرة من عينيها ، أو كلمة من بين شفتيها ليرى دليلا واحدا على أنها تحفل بأمره • ورويدا رويدا عندما بدأ وجهها يضيء لمرآه ، وعندما كانت تبتسم محيية له عند عودته من عمله •• بدأ يأمل ويحلم •

بيد أن ذلك كله لم يكن أكثر من مجرد حيلة منها لتخفي الصراع الذي كان يحتدم داخل نفسها •

انها لم تحبه •• كان واثقا من ذلك •• فهو كرجل لم يفهم قلبها النسائي • لم يخطر بباله أنها يمكن بشعورها الخاطيء نحو واجبها يمكن أن تخونه ومع ذلك تكن له الحب • كان رجلا يفكر بعقلية رجل • فهل يخون الرجل صديقه ؟ كلا •• على الاطلاق •• بينما يمكن أن يخون عدوه أو المخلوق الذي يحمل له الحقد والكراهية ويفرحه سقوطه •• ولكن صديقه ! ولما كانت جوليت قد خانته فهي اذن لا تحبه •

أما من حيث كرم جوليت في محاولتها لانقاذه عندما واجهت أخيرا نتائج الخطأ الذي ارتكبته فقد عزاه الى شعورها النبيل الذي كان يعرفه عنها • ولكن لم يكن هذا حبا • وربما فعلت ذلك من أجل والدته وآن مي وليس من أجله هو •

وعلى ذلك فما قيمة الحياة بالنسبة اليه الآن ؟ لقد فقدها الى الأبد ، سواء نجح في انقاذها من المقصلة أو فشل • وكان لديه أمل واه في انقاذها ، ولكنه على الأقل لن يكون مدينا لها بالحياة •

وعندما رأته آن مى غارقا في لجة أفكاره غادرت الغرفـه في هدوء • وقد أدركت بفطنتها أن أولى خطوات بول ديروليد ستكون محاولته لانقاذ والدته من الخطر ثم ترحيلها من البلاد. ولما يزل هناك فسحة من الوقت • لذا فقـد عمدت في مساء نفس اليوم الى حزم امتعتهـا وامتعة مدام ديروليد دون أن تنتظر تعليمات بذلك •

لم يعد قلبها يحمل كراهية لجوليت •• فقـد حدست ما تعذر على بول ديروليد ادراكه •• ان جوليت تبادله حبـا عميقا • انهـا تعتقد اعتقادا جازما أنه لاشيء يمكن ان ينقذ جوليت من الموت •• وزحف شعور هائل من العطف والحنان الى قلبها من أجل المرأة التي كانت تنظر اليها كعدوتها •

لقد تعلمت أيضا في هذه الأيام القلائل نفس الدرس•• ان القصاص من شأن الله وحده •

الفصل العشرون

خان الحصان الأعور

اقترب الوقت من منتصف الليل .

وكان المكان قد أصبحت حرارته خانقة ، وقد تعلقت رائحة التبغ والخمور الرخيصة كالبخار وسط الهواء .. تلك كانت الحجرة الرئيسية في خان الحصان الاعور التى كانت تستعمل خلال السنوات الخمس الماضية كمكان أساسى للقاء اشد رجال الجمهورية تعطشا للدماء .

كان خان الحصـــان الأعور رابضا فى أحد الشوارع الحقيرة التى أدت دروبه الضيقة ومنازله المكدسة فوق بعضها الى اعاقة الشمس والهواء والضوء عن السكان التعســاء . وكان ذلك الخان من أحقر الدور فى هـــذا الشارع ويتمتع بسمعة سيئة . كان بياضه الخارجي مشققا ، وجدرانه ذاتها بارزة الى الخارج كأنها على وشك أن تنهار فى أية لحظة . أما سقوفه فكانت منخفضة تستند الى عروق خشبية سوداء من القذارة وقدم العهد .

وفى وقت من الاوقات كان الخان يشـــتهر ببدروماته الواسعة حيث كانت الأنبذة المعتقة النادرة تخزن فيه . وقد اعتاد أبناء الاسر الموسرة فى باريس أيام الملك لويس الرابع عشر أن يذهبوا الى خان الحصان الاعور اذا أرادوا أن يمضوا ليلة يحتسون فيها الخمر .

وأما الآن فلم يعد الامر كما كان فقد غيرت الثورة كل هذا .

لقد أصبحت أجزاؤه الكائنة تحت الارض مسرحا للفيران والهوام التى كانت تتقاتل ويأكل بعضها بعضا فى البدرومات على حين كان يفعل الرجال نفس الشيء فى الغرف العلوية .

كان ناديا للمساواة والاخاء .. وكان لكل عابر سبيل الحرية فى ان يدخله وأن يشترك فى المحادثات الدائرة بشرط أن يتوفر فيمن يريد الانضمام الى عضويته عشقه للسيدة المقصلة .

كانت معظم الاتهامات تأخذ طريقها مباشرة من خان الحصان الاعور الى ذلك الصندوق الخشبي ذى الفتحة العلوية ، والذى كان يعلوه الاعلان الحامل لهذه الكلمات « قانون الخونة المشبوهين » .

كانوا يجتمعون هنا .. ثلاثون أو أربعون فى بادىء الامر من الوطنيين الجمهوريين . كانت أغلب أحاديثهم تدور حول الحرية مصحوبة بوابل من الشتائم واللعنات ضد الطغاة ومن ثم يمارسون طغيانهم .. أشد قسوة من ملوك فرنسا أنفسهم .

كان هذا الخان معبد الحرية بالنسبة لهم .. ذلك المكان المعتم ذو الروائح الكريهة والنوافذ الضيقة ذات الضلف المشققة ، والارض التى تغطيها ألواح خشنة أكلتها الديدان عارية الا من سجادة سميكة من الغبار تخمد وقع الاقدام ذات الاحذية الثقيلة . ولم يكن هناك سوى مقعدين فى الغرفة

كانا لا بد أن يوضعا مستندين الى الحائط خشية أن يتحطما ويهويا على الارض بالجالس فوق كل منهما • وفيما عدا ذلك كان هنـــاك عدد من براميل النبيـــذ الفارغة تستعمل كمقاعد •

كانت الجدران مغطاة بالورق في أحد الايام •• ولكنه الآن يتدلى ممزقا في قصـــاصات تكشف تحتها عن البياض المشقق •

وقد كتب أحد الناس فوق هذه الحوائط هنا وهناك وبحروف سوداء كبيرة الصيحة الحربية للثورة : « الحريه ، المساواة ، الاخاء أو الموت • »

وكان الاجتماع في تلك الليلة يتـــكون من أقل من عشرين عضوا •• حيث أن عدد الاعضاء العاملين كان يتناقص تدريجيا •• لكل واحد منهم يرتاب في الآخرين •• ولا أحد منهم يشعـــر بالطمأنينة •• مثلهم مثل الفيران التي ابتلعت بعضها بعضا في البدروم ، فالذين اتهموا غيرهم جاء دورهم فقدمت البلاغات ضدهم أيضـــا فسيقوا الى المقصلة بوساطة غيرهم من الذين يفوقونهم قوة ودهاء •

وبعد مصرع مارا أصبح مرلين رئيســـا للنـــادي هو وصديقه الحميم فوكيه تنفيل النائب العام • ومع ذلك فبالرغم من كونهما صديقين حميمين ، فقد كان كل منهما يعمل ضد الآخر سرا ويهمس في ظهره : « انه خائن ! » كان سباقا بينهما نحو الهدف الذي لا مهرب منه •• المقصلة •

وفي هذه اللحظة كان يبدو أن مرلين سيكون سباقا الى الهدف .. فقد عهد اليه بمهمة فشل في تحقيقها .. وقد ظل الموضـــوع الرئيسي للمناقشات في خان الحصان الاعور يدور عدة أسابيع حول ســقوط المواطن النائب ديروليد . والآن سنحت الفرصة .. فهاهو ذا اتهـام من مجهول قد أحيا الأمل في صدور أولئك الوطنيين المتعطشين للدمـــاء . وبدا أن كل شيء قد أصبح واضـــحا وأنهم قد وصلوا الى بغيتهم .. فان وضع الخطط لانقـــاذ الملكة الخائنة لم يكن ليدور الا في عقل بول ديروليد .

وعلى ذلك فقد بعثوا بمرلين ليفتش منزل النائب .. بحثا عن أدلة اجرامه .

وها هو ذا مرلين يعود خاوي الوفاض .

ان القاء القبض على الفتاة الارستوقراطية التي بدا أنها هي التي اتهمت ديروليد لم يكن ليعفي مرلين من فشله في مهمته الكبرى .

وعندما انضـم مرلين الى أصـــدقائه في تلك الغرفة المنخفضة شبه المعتمة ذات الرائحة الكريهة أدرك على الفور بأن المشاعر ضده . وقـــد قوبلت تحيته « طاب مساؤكم » بابتسامات حاقدة أو بنظرات سوداء .. وحتى تنفيل نفسه قد انحنى له في استهزاء .

كان هناك أحد الوطنيين .. وقد بدا فحلا عملاقا له قبضتان ثقيلتان وكتفان عريضتان ، جذب برميلا من براميل

النبيذ الفارغة بعد أن تفوه ببعض الكلمات الساخرة ثم جلس الى منضدة مرلين في مواجهته ·

قال تنفيل وهو يضحك ضحكة شريرة :

ـ كن حذرا أيها المواطن لنوار فربما ألقى المواطن مرلين القبض عليك بدلا من ديروليد الذى سمح له بالافلات من بين يديه ·

فأجاب لنوار وهو يسب :

ـ كلا ·· لست خائفـــا ·· فالمواطن مرلين فيه من الارستوقراطية الكثير بحيث لا يستطيع أن يؤذى أحدا ، ان يديه نظيفتان جدا وهو لا يعنيه أن يقوم بمهـام الجمهورية القذرة ·

وأردف العملاق وهو ينحنى ساخرا :

ـ أليس الامر كذلك يامسيو مرلين ؟

وقد أكد لفظة « مسيو » التى لم تكن تستعمل على الاطلاق فى أيام المساواة تلك ·

فقال مرلين فى خشونة :

ـ ان وطنيتى معروفة جيدا حتى اننى لا أخشى مهاجمة الاعداء الحاسدين · وأما عن تفتيش منزل المواطن النائب بعد ظهر اليوم فقد أخبرونى بأن أعثر على أدلة ضده ولكنى لم أجد شيئا ·

فبصق لنوار على الارض ، وعقـــد أحد ذراعيه المغطى

بالشعر فوق الآخر وذلك على المنضدة ·· ثم قال بهدوء :

ـ ان الوطنية الحقة كمـــا نفهمـــها تخلق الادلة التى تريدها ولا تترك شيئا للصدف ·

فقوبلت تلك الكلمات بهمسات الاستحسان ·

واستطرد لنوار قائلا على مهل :

ـ لقد كنت أحمق أيها المواطن مرلين ·· لأنك لم تفطن الى أن الفتاة كانت تلعب دورها ·

فشـــحب وجه مرلين من تحت الاوســاخ التى كانت تغطيه ·· وقد شعر أمام اتهام هذا العملاق له بالاهمال ·· كانما هو واقف أمام تلك المحكمة التى لا تعرف الشفقة التى طالما ساق اليها الضحايا · والآن ها قد جاء دوره ·· فقد أخذت الفريســـة غدرا من بين أبنـــاء آوى هؤلاء المتعطشين للدماء ، وهم على استعداد لأن يمزقوه اربا تعويضا لهم عن خسارتهم ·

وتمتم قائلا :

ـ ولكن ماذا ترانى كنت فاعلا ؟

فأجاب لنوار ساخرا :

ـ استمعوا اليه ! ماذا تراه كان فاعلا ؟ أيها الوطنيون الاصدقاء الاخوة ·· انى أسألكم ·· ماذا تراه كان فاعلا ؟

ودفع لنوار برميل النبيذ جانبا ، فقد خرج من تحتـــه

بعيدا وبلغ ازدراؤه لمرلين ذروته عنـــدما وقف وبصق على الارض مرة ثانية ٠

كرر حديثه وهو يسب بصوت عال :

ــ انى أسائلكم ماذا كان يجب أن يفعله اى وطنى ٠٠ ماذا كنتم تفعلونه أو أفعله انا في منزل رجل نعلم انه خائن للجمهورية ! أيها الاخوة الاصدقاء ٠٠ ان المواطن مرلين قد عثر على كومة من الاوراق المحترقة ٠٠ وعثر على حافظة رسائل كانت من الواضح تحوى أوراقا هامة ٠٠ وهو يسائلنا ماذا كان يمكنه أن يفعل !

ــ ولكن ديروليد رجل له من الاهمية ما يحــول دون محاكمته بغير أدلة ٠ ولو جرؤنا على ذلك لألبنا ضدنا غوغاء باريس ٠

فتساءل لنوار :

ــ دون أدلة ؟ ومن قال انه لم تكن هناك أدلة ؟

ــ لقد وجـدت الاوراق المحترقة ٠٠ وحافظة الرسائل الممزقة في غرفة الفتاة التى اعترفت أنهـــا كانت خطابات غرامية ، وأنها اتهمت ديروليد حتى تتخلص منه ٠

ــ اذن دعنى أقول لك أيها المواطن مرلين ، ان الوطنى المخلص حقا كان يجب أن يحرص على أن يعثر على هذه الاوراق في غرفة ديروليد لا في غرفة الفتاة ٠ ودعنى أضيف الى ذلك أن الخادم المخلص للجمهورية كان يجب ألا يعثر على هـــذه الأوراق محترقة ٠٠ بل كان يجب أن يحرص على العثور على

رسالة معنونة باسم السجينة في سجن الكونسيرجيرى ، وبدا كان يمكن اثبات أن المواطن النـــائب ديروليد خائن • هذا ما كان يجب أن يفعله وطنى مخلص •• وما كنت أفعله أنا • أيها المواطن مرلين •• أأنت من الغفلة بحيث لم تجوز على تزوير خطاب واحد يكفى لارسال هذا الخـــائن الى حتفه ؟ دعونى أخبركم أيها الاصدقاء ان الجمهورية ليست فى حاجة الى رجل يسمح لأحد أعدائها بالافلات بسبب غبائه وجبنه من غضب غوغاء باريس •

قوبلت هذه الخطبة بعاصفة من الهتاف والاستحسان• مصحوبة بحركات واشـــارات لا يستطيع أن يصفها أكتب الكتاب •

وكان لنوار ذا صوت جهورى وقد تكلم بلهجة مواطنى الأقاليم التى تختلف كلية عن لهجـــة الطبقة الباريسـيـة الوضيعة • وخيل أن حماسه قد زاد من حجمه وملاه بقوة عجيبة • وكان يبدو فى أســماله الممزقة الملطخة بالوحل ، كأنما قد جمع فى شخصه أسوأ صفات الغوغاء الذين ساقوا كل ما هو معتدل عطوف نبيل الى المقصلة ليفسحوا الطريق لوحشيتهم وكراهيتهم •

الفصل الحادى والعشرون :

المواطن لنوار

لاذ تنفيل بالصمت في أثناء حديث لنوار ٠٠ وجلس يصرف بأسنانه وهو يحملق في المتكلم ، غير مغتبط كثيرا لاستطاعة لنوار جذب الانظار اليه ٠ ولم يكن تنفيل ليعيا ان يحتل المركز الثاني بالنسبة لاى رجل من المجتمعين في خان الحصان الأعور ٠

ـ من السهل أن تتكلم الآن أيهـا المواطن ٠٠ ار ٠٠ لنوار ٠٠ أهذا اسمك ؟ حسن ٠٠ انك مازلت غريبا هنا أيها المواطن لنوار ٠٠ ولم تظهر بعد للجمهورية انك تستطيع ان تفعل شيئا آخر غير الكلام ٠

فاجاب لنوار ساخرا :

ـ اذا لم يتكلم أحد أيها المواطن تنفيل ٠٠ أهذا اسمك؟ اذا لم يتكلم أحد ٠٠ فلن ينجز شيء ٠ انكم جميعا تجلسون هنا وتلومون المواطن مرلين على حماقته وأرى أنني اتفق معكم في ذلك ، ولكن ٠٠ ولكن ٠٠٠

فقال تنفيل عندما توقف لنوار كأنما ليستجمع افكاره:

ـ حسن ٠٠ ماذا تعنى بلكن أيها المواطن ؟

كان لنوار قـد سـحب برميل نبيذ ووضعه ملاصقا للمنضدة ، ثم جلس فوقه في مواجهة تنفيل والآخرين٠ وكان ضوء الشموع خلفه ينعكس على جسمه الضخم ورأسه الذي يتوجه قبعة الثورة وكتفيه العريضـتين الكبيرتين ٠ كانت له

يدان طويلتـــان مسودتان بتراب الفـــحم وكان يأتي بهما باشارات وحشية باستمرار كأنما يوشك أن يمسك بخناق عدو •

وأخيرا قال موجها حديثه للجماعة عموما :

ــ حسن •• اننا جميعا نعلم أن هذا الديروليد خائن ؟

فأجاب جميع الحاضرين :

ــ نعم نعلم ذلك •

ــ اذن فما دام من الخونة ، فليس له الا شيء واحد •• الموت • وكل ما نحتاج الى عمله هو أن نقرر أحسن وسيلة لتنفيذ غرضنا •

فرح مرلين فرحا شديدا اذ رأى انتباه المجتمعين يتحول عن فشله ، وأخـــذ سروره وفرحه يتزايد •• فجذب بدوره برميلا من براميل النبيذ التي كانت تقوم مقام المقاعد ووضعه ملاصقا للمنضدة •

قال تنفيل :

ــ أعتقد أيها المواطن لنوار أن في مقدورك أن تقدم لنا أدلة على اثم المواطن النائب ؟

فأجاب الآخر :

ــ اذا قدمت لك الأدلة أيها المواطن تنفيـــل • •فهل ستقوم بواجبك بوصفك النائب العام •

ـ انه من واجبي ان اتهم علنا أولئك الذين يخونون الجمهورية .

فقال لنوار :

ـ وانت أيها المواطن مرلين .. هل ستساعد الجمهورية بكل امكانياتك كي تتخلص من هذا الخائن ؟

فأجاب مرلين :

ـ ان خدماتي لمبادىء ثورتنا العظيمة معروفة جيدا بحيث لا تترك ظلا من الشك ..

ولكن لنوار قاطعه بصبر نافد :

ـ نحن لا نريد أي خطبة من خطبك المنمقة الآن أيها المواطن مرلين .. فجميعنا نعلم أنك فشلت فشلا ذريعا في هذه المهمة ، والجمهورية لاتعبأ كثيرا بأبنائها الذين يفشلون، ولكنك طالما لم تزل وزيرا للعدل فان شعب فرنسا بحاجة اليك .

ـ اذن ماهي نصيحتك أيها المواطن لنوار ؟

كان من الواضح أن الجماعة كلها كانت راغبة في قبول زعامة لنوار في هذا الموضوع . وكان مرلين مازال في رعب من اجل نفسه .. فاذا به ينظر الى لنوار ملتمسا منه النصح . وحتى تنفيل كان مستعدا للاصغاء . كان الجميع متحدين في رغبتهم في الخلاص من ديروليد .. وشعروا جميعا بأن لنوار يحمل في أعماقه أشد أنواع المقت والكراهية

للمواطن النائب ·· تلك التي أعطت له رؤية واضحة لأحسن الطرق للقضاء عليه ·

كان سؤال مرلين :

ـ ما هي نصيحتك ؟

وأصغى كل واحد بلهف الى الجواب ·

فابتدرهم لنوار قائلا في هدوء :

ـ حسن ·· اننا جميعا متفقون على أنه ليس من الحكمة أن نتهم هذا الديروليه في الوقت الحاضر دون دليل ·· ولقد فشل المواطن مرلين في الحصول على هذه الأدلة لنا ·· ولذا ظل ديروليه مطلق السراح حتى هذه اللحظة · ونظرا لما يتمتع به من الحكمة فانى أتخيل أنه سيغادر البلاد في مدى يومين · معنى هذا أنه ليس أمامنا وقت طويل · وعلى ذلك فانى اقترح أن المواطن النائب ديروليه هو الذى سيزود بنفسه شعب فرنسا بأدلة خيانته للجمهورية ·

فقوبل هذا الاقتراح الخارق بأسئلة لاحقة سريعة بأصوات مرتفعة منفعلة :

ـ ولكن كيف ؟ولكن كيف ؟

فأجاب لنوار بهدوء :

ـ بوسائل غاية في البساطة · أليس هناك أحد الأمثال التي اعتاد أجدادنا أن يرددوها وهو أنك اذا أعطيت انسانا

حبلا ذا طول كاف فمن المؤكد أنه سيشنق نفسه ؟ ومن رأيي أننا يجب أن نعطي صديقنا ديروليد حبلا طويلا ٠

فقال مرلين في انفعال :

ــ نعم ٠٠ نعم ! ٠٠ استمر !

ــ والآن نجد مفتاح كل شيء في تلك الفتاة التي اتهمت ديروليد ٠ أنها وشت به ٠٠ فهي اذن قد أرادت التخلص منه ٠ لماذا ؟ الأنه كان حبيبها وسئم منها ؟ كلا ٠٠ كلا ٠٠ فان لها عشيقا آخر ٠٠ وقد اعترفت بذلك ٠ انها ارادت التخلص من ديروليد لتفسح الطريق للرجل الآخر ٠ ولماذا ؟ ليس لأن ديروليد سئمها ٠٠ ولكن لأنه أحبها وهي قد سئمته ٠

فتساءل تنفيل :

ــ حسن ٠ وكيف سيساعدنا ذلك ؟

ــ هذا يدل على أن ديروليد الغارق في حب هذه الفتاة سيبذل قصارى جهده لانقاذها من المقصلة ٠

ــ طبعا ٠

فقال لنوار :

ــ حسن ٠٠ اني أقول ٠٠ دعوه يحاول ٠٠ اعطوه الحبل ليشنق نفسه به ٠

فسأل واحد أو اثنان من الحاضرين ٠٠ الذين لم تستطع عقولهم الغبية ادراك المعنى الكامل للخطة :

ــ ماذا يعني ؟

ــ انكم لاتفهمون ما أعنى أيها المواطنون .. انتم تظنون انى مجنون او بمل .. أليس لديك ؟ حسن جدا .. انتبهوا الى خمس دقائق أخرى وستررون . دعونا نفرض اننا وصلنا الى اللحظة التي ستقف فيها هذه الفتاة .. مااسمها ؟ أوه !.. آه .. نعم ! .. جوليت مارنى ... فى قاعة العدالة لمحاكمتها أمام لجنة الأمن العام . وما هو ذا المواطن فوكيه تنفيــل .. أحد كبار الوطنيين .. يقرأ الاتهام الموجه اليــها : الأوراق المحترقة ، حافظة الوســـائل الغامضة الممزقة التى عثر عليها فى غرفتها . فلو اعتبر هذا اتصالا خائنا بأعداء الجمهورية ، فستدان الفتاة في الحال .. وترسل الى المقصلة . ولن يسمح بالدفاع عنها .. لأنه بمقتضى قانون وزير العدل لا يســمح لأى محام بالدفاع عن المتهمين بالخيانة .

واكمل العملاق حديثه بتمهل :

ــ ولكن في حالة القضايا الأخرى فان وزير العدل يسمح بالدفاع علانية عن المتهمين . وعلى ذلك فكل شىء يتوقف عليك أيها المواطن تنفيل . فاذا اتهمت جوليت مــارنى بالخيانــة فستدان في دقائق قلائل ثم تقاد ثانية الى سجنها وتعدم قبل أن يجد ديروليد وقتا لوضع أى خطط للدفاع عنها أو انقاذها ولكن انظروا الفرق اذا اتهمت بأية تهمة عادية . فمن الممكن أن تتهم الفتاة جوليت مارنى بأنها وجهت اتهاما كاذبا ضــد ديروليد للتخلص منه من أجل عشيق آخر . وفى هذه الحالة يسمح وزير العدل لمحام بالدفاع عنها .. ولكنها ســـوف لاتجد محاميا فى المحكمة ..أفلا تعتقدون أن ديروليد سيخطو

الى الأمام ليدافع عنها بنفسه ؟ الا يمكنكم تخيل المراقعة التى سيلقيها دفاعا عنها ؟ انى استطيع ذلك •• وأقول لكم أيها المواطنون ان ذلك هو الحبل الذى سيشنق به نفسه • هل سيوافق أن الرسائل المحترقة كانت رسائل عشيق آخر ؟ كلا ! ••• وألف كلا ! ••• وهنا تتجلى براعة نائبنا العام فى انتزاع اعتراف منه بأن هذه الرسائل رسائله • فاذا كانت الرسائل تخصه فلماذا أحرقتها ؟ ذلك لأنها تثبت أنه خائن •• وأنها أحرقتها لتنقذه ؟

وسكت أخيرا وقد نال منه الاعياء ، وأخذ يجفف جبهته ثم جلس •

قوبل ختـــام حـديثه الطويل بصـــيحات عالية من الاستحسان • وحتى تنفيل لم يجد مايعترض به على هذا • وقد ابتسم بينه وبين نفسه عندما راودته أفكار الانتصار •• اذ كانت المحاكمات أمام لجنة الأمن العام خلال الشهور القلائل الماضية ثقيلة الظل غير شائقة • أما محاكمة الغد ستكون مختلفة •• بما فيها من اثارة •• والفخ المنصوب لديروليد ، والسرور النـــاجم عن رؤيته وهو يخطو أولى خطواته نحو الهاوية •

كان كل واحد هنـــاك فى لهف وحمـاسة •• فبعد أن أدلى لنوار بحديثه الطويل لزم الصمت •• ولكن كل واحـد عداه أخذ يتكلم ويحتسى البراندى •• وظلوا جالســين الى ساعات متأخرة من الليل •• وقد أدلى كل منهم بدلوه فى خطة لنوار وقدم اقتراحا جديدا •

وكان لنوار نفسه أول من فض الاجتماع .. فتمنى لرفاقه ليلة طيبة هادئة ، ثم مضى الى الشارع وابتلعه الظلام. وساد الصمت الغرفة بضع ثوان بعد رحيله . كان وقع أقدام العملاق في الشارع يسمع لها صدى ثم أخذت تتلاشى رويدا رويدا .

وأخيرا تكلم فوكيه تنفيل النائب العام فتساءل موجها حديثه لجماعة الوطنيين :

ـ ومن يكون هذا الرجل ؟

كان معظم الحاضرين لا يعرفه .

وقال أحد الرجال في النهاية :

ـ انه من أحد الأقاليم الشمالية . وقد تردد على الخان عدة مرات قبل الآن .. واعتقد انه قصاب ويخيل الى أنه قادم من كاليه . وقد جاء به هنا أول مرة المواطن بروجار وهو وطني مخلص .

وقال واحد اثر آخر ليلة طيبة لبعضهم البعض ثم انصرفوا .. ولم يبق سوى تنفيل ومرلين واثنان أو ثلاثة آخرون .

قال تنفيل لهؤلاء في هدوء :

ـ مارأيكم أيها المواطنون ؟ ان هذا الرجل بليغ جدا .. أليس كذلك ؟

فقال مرلين .. وهز الآخرون رءوسهم مؤمنين على كلامه :

ـ بليغ .. وخطر .

وقال واحد من الحاضرين :

ـ ولكن خطته جيدة .

فأجاب تنفيل :

ـ نعم وسوف نستفيد بها . ولكن بعدئذ ...

وسكت ومر بأصبعه علي عنقه وهو يبتسم ابتسامة شريرة :

ـ نعم .. انه خطر .. وسنتركه في سلام غدا .. ولكن بعد ذلك ...

فأومأ الموجودون برءوسهم لبعضهم البعض .. واكتفى آخر الوطنيين بما فعلوه في تلك الليلة .. ثم انطلقوا في الظلام .

وكان الحارس يقوم بجولته .. وهو يحمل مصباحه ويصيح صيحته المعتادة :

ـ يا سكان باريس .. ناموا في هدوء .. فان كل شيء على ما يرام .. كل شيء في سلام .

الفصل الثاني والعشرون

خاتمة يوم

قضى ديروليد طوال هذه الليلة فى البحث عن جوليت.

وبعـد أن سردت عليه آن مى ماالديهـا من أنباء ..
سرعان ما انطلق في الصباح الباكر الى صديقه الانجليزى
برسى بلاكنى وتحدث اليه بشأن الترتيبات النهائية لرحلة
مدام ديروليد وآن مى من باريس .. فقد كان يعلم أنه
يجب عدم اضاعة الوقت في هذا الأمر الهام .

ان بول ديروليد لم يكن لديه أفكار خاطئة بخصوص
شعبيته .. فقد كان يعلم أنه في أى وقت ولأى سبب تافه
سيتحول حب الغوغاء له الى مقت وكراهية . فكم من آخرين
قبله .. ميرابو . لا فاييت . ديمولان .. كانوا يتمتعون
بشعبية . ولكن حب الشعب شيء دائم التقلب .. فالجموع
التى احبتهم فى وقت من الاوقات عادت أخيرا وانقلبت
ضدهم . فهل من المحتمل أن ينجو من هذا المصير ؟ ولذلك
فانه وهو في أوج قوته متمتعا بالحب والثقة أعد كل
الترتيبات اللازمة لمواجهة الموقف عند سقوطه ولتهريب
اولئك الذين يعتمدون عليه . وكان من مدة عام قد زود
نفسه بجوازات السفر اللازمة ورتب مع صديقه الانجليزى
خططا معينة تتعلق بسلامة أمه وقريبته الصغيرة آن مى .
والآن أصبحت المسألة لا تتعدى تنفيذ هذه الخطط دون
ابطاء .

ففي مدى ساعتين بعـــد القبض على جوليت مارني ، كانت مدام ديروليد وآن مي قد غادرتا منزل شارع مدرسة الطب وهما تحملان معهما متاعا قليلا •• وقيل انهما ذاهبتان الى الريف لزيارة ابن عم مريض •

كانت والدة المواطن النائب ، الذي يتمتع بشعبيته . حرة في السفر أني شاءت • وكانت الجوازات التي زودت بها مدام ديروليد وآن مي ، والتي تقضي سلامة الجمهورية بوجودهما معـــهما ، تامة •• وقد مرتا من بوابة باريس الشمالية قبـــل غـــروب الشمس بساعة في اليوم الرابع والعشرين من فركتيدور •• وقد أقلتهما مركبة السفر الكبيرة في طريق الشمال حيث كانتا ستقابلان اللورد هستنجس ، واللورد أنتوني ديوهرست •• وهما اثنان من أعوان « زهرة كزبرة الثعلب القرمزية » الموثوق بهما ، واللذان كان عليهما أن يصحبا المرأتين حتى الشـــاطيء ، ويوصلاهما الى اليخت الانجليزي في أمان •

وفي هذا الأمر لم يكن ديروليد قلقا •• فقد كان واجبه الرئيسي نحو امه وآن مي •• وهذا الواجب قد أداه الآن على مايرام •

ولم يبق غير العجوز بترونيل •

فمنذ قبض على سيدتها الصغيرة وهي في حالة تقرب من الجنون ولم تستطع كلمات ديروليد أن تقنعهـــا بمغادرة باريس دون جوليت •

قالت وهي تنشج باكية :

ــ اذا قدر لحملي الصغير أن يموت فليس ثمة مايدعوني للحياة .. ودعوا هؤلاء الشـــياطين ياخذوني الى المقصـــلة أيضا . ولكن اذا أطلق سراح محبوبتي فماذا يكون حالها في مثل هذه المدينة الشنعاء بدوني ؟ اننا لم نفترق عن بعضنا أبدا . ترى من ذا الذي يطهي لهـــا طعامهـــا ويغسل لها ملابسها .. كم أتوق لمعرفة ذلك ؟

ان ديروليد لم يطاوعه قلبه ليخبرها ان مخالب لجنـــة الأمن العام قلما تترك فريستها بعد ان تطبق عليها . وكل ما استطاع عمله أن ذهب ببترونيل ثانية الى مسكنها القديم الذي غادرته جوليت كي تذهب الى منزله . وأقنعت المرأة العجوز نفسها أنها هناك في انتظار عودة سيدتها الصغيرة .. وقد غلبها السرور لمرأى الغرفة المألوفة .

وأمدهـــا ديروليد بالنقـــود والضروريات .. وكانت تراوده بعض البقية من الأمل في قلبـــه ، ولكنه شعر بأن بترونيل لم تكن من الأهمية بحيث تجذب اليها انتباه لجنـــة الأمن العام المروع .

وعندما نشر الليـــل أرديته السود جعل المرأة العجوز تستقر بمسكنها في أمان . وعندئذ فقط شعر بأنه حر في تكريس نفسه لما بدا له الآن أنه أمنيته الوحيدة في الحياة .. أن يعثر على جوليت .

كان فى باريس اثنا عشر سجنا ! وكان هناك اكثر من خمسة آلاف سجين فى تلك الليلة ينتظرون المحاكمة !

ومع ذلك فان ديروليد برغم قوة نفوذه لم يدرك فى بادىء الأمر مدى الصعوبة التى سيلاقيها فى عمله ٠

وعندما توجه الى قاعة العدالة لم يستطيعوا أن يفيدوه بشىء ٠٠ فان قوائم الأشخاص المقبوض عليهم حديثا لم تكن قد وردت هناك بوساطة حكمدار باريس المواطن سانتير ٠ زد على ذلك أن هذه القوائم لا يتم اعدادها الا فى اليوم التالى عندما تكون محـــاكمة المسجونين الجدد على وشك أن تأخذ مجراها ٠

عندئذ بدأ ديروليد بحثـه المضنى بين سجون باريس الاثنى عشر ٠٠ فتردد على سجن تمبـل الى الكونسيرجيرى ، ومن سجن كونديه الى لوكسمبورج ٠٠ وفى كل مكان كان يقابل بنفس هزة الأكتاف وبنفس الاجـــابة عن ســـؤاله المتلهف :

ـ جوليت مارنى ؟ غير معروفة هنا ٠

غير معروفة ! ٠٠ ان اسمها لم يكن قد دون فى قوائم السجون ٠٠ فهى لم تزل بعد واحدة من ذلك القطيع الكبير من الماشـــية الذى يرسل فى أعـــداد متزايدة باستمرار الى المذبح ٠

وعبثا حاول ديروليد أن يقنع ويتوسل أو يرشو ٠٠

فقد كان حراس هذه السجون الاثنى عشر لا يعرفـون شيئا عن شخصيات المسجونين ٠

ولكنه كمواطن نائب ســـمح له أن يبحث بنفسه ٠ ولكنه لم يعثر عليها ٠ ان أحدا لم يخبره بأن أوامر مرلين الصارمة كانت تقضى بوضعها مع المســجونين الخطرين الذين لا يسمح لهم بمقابلة أحد او الاتصال بأحد ٠

وعندما بدأ حارس الليل جولته واغلقت جميع الأمـاكن العامة أدرك ديروليد أن بحثه فى تلك الليلة لا بد أن يذهب هباء ٠

ولكنه لم يهدأ له بال ٠٠ فامضى شطرا كبيرا من الليل وهو يهيم فى طرقات باريس انتظارا لبزوغ الفجر كى يطالب علنا بحق الوقوف بجانب جوليت والدفاع عنها ٠ وطغت على قلبه موجة من التعاســـة والقنوط بلغت الى حد أن تمنى الموت ٠٠ بيد أن شيئا واحدا كان يجعل عقله محتفظا بحدته ومضائه : هو أمله فى انقاذ جوليت ٠

بدأ الفجر يمد ألسنته من المشرق البعيد ٠٠ وبينمـــا كان يتجول عند شاطىء النهر شعر فجأة بلمسة فوق ذراعه ٠٠ وسمع صوتا بهيجا خاملا يهمس فى أذنه :

ــ تعال الى شقتى ٠٠ ولو انها مكان موحش قذر الا أننـا نستطيع أن نتحدث فى هدوء هناك ٠

رفع ديروليد رأسه ليجد صديقه ، السير برسى بلاكنى يقف الى جانبه .. عملاقا أنيق الهندام مرحا فبدا كأن وجوده قد أزاح عن ديروليد الهمـــوم التى كانت جاثمة فوق عقله النشط . تبعه خلال الطرقات الضــــيقة المتعرجة فى هذه الناحية العتيقة من المدينة حتى وقف السير برسى خـــارج حانة صغيرة كان بابها مفتوحا .

قال الرجل الانجليزى موضحا :

ـ ان مضيفي لا يملك شيئا يخشي عليه من اللصوص.

وقاد صديقه خلال فتحة الباب الضيقة ثم فوق الدرج المتداعي الى ان انتهيا الى غرفة صغيرة في الطابق العلوى .. وأردف قائلا :

ـ انه يترك جميع الأبواب مفتوحة ليلجها أى شخص ، ولكن داخل المنزل كما ترى لا يغرى أحدا بدخوله .

فابتسم ديروليد ابتسامة سريعة عندما لاحظ التناقض بين مظهر صديقه الأنيق والمكان المعتم الذى يقطن فيه .. ثم قال معلقا :

ـ انى لأعجب كيف تستطيع أن تبقى فى هذا المكان .

ـ سأبقى فى هذا الجحر الحقير حتى اللحظة التى استطيع فيها انتزاعك خارج هذه المدينة القاتلة .

هز ديروليد رأسه قائلا :

ـ اذن فخـــير لك أن تعود الى انجلترا لانني لن اغادر باريس الآن ٠

فأجاب سير برسي في هدوء :

ـ أتقول انك لن تغادرها بدون جوليت مارني ٠٠ أليس كذلك ؟

فقال ديروليد :

ـ اخشى أنها قد وضعت نفسها في مكان لا يمكننـــا بلوغه ٠

فسأله الرجل الانجليزى فجأة :

ـ أتعرف أنها فى سجن لوكسمبورج ؟

ـ لقد حدست ذلك ولكنني لم أجد دليلا عليه ٠

ـ وأنها ستحاكم غدا ؟

فاجاب ديروليد بمرارة :

ـ انهم لا يمهلون سجينا قط ليبقى مدة طويلة ٠٠ وقد فطنت الى ذلك أيضا ٠

ـ وماذا تراك فاعل ؟

ـ سأدافع عنها حتي آخر نفس يتردد فى جسدي ٠

فسأله بلاكني مبتسما :

ـ أما زلت تحبها اذن ؟

ـ ما زلت ٠

ان النظرة واللهجة ومرارة الحب اليائس التى حملتها هذه الكلمة جعلت بلاكنى يدرك كل ما كان يبغى معرفته ٠

قال :

ـ ومع ذلك فانها خانتك ٠

ـ نعم ٠٠ وحتى تدفع ثمن خطيئتها ٠٠ التى ارغمها عليها قسم أقسمته امام أبيبا ٠٠ فهى على استعداد لتجود بحياتها من اجلى ٠

ـ وهل انت على استعداد للصفح عنها ؟

ـ اذا فهمت فقد صفحت ٠٠ وأنا أحبها ٠

ـ وهى ؟

ـ انها لا تحبنى ٠٠ والا لما أقدمت على خيانتى والوشاية بى ؟

جلس بجوار المنضدة ، ودفن رأسه بين يديه ٠٠ فقد كان يعز عليه أن يرى ٠٠ حتى أعز أصدقائه ٠٠ مدى ما عاناه من ألم ٠٠ وكيف جرح حبه جرحا عميقا ٠

لم يقل سير برسى شيئا ٠٠ وانما تلاعبت على شفتيه ابتسامة بهيجة عجيبة ٠٠ ثم أتى بحركة كمن يهم بأن يقول شيئا ولكنه بدأ يعدل عن رأيه ، وهز كتفيه ٠

ولما نظر ديروليد الى أعلى مرة أخرى ، كان السير برسى جالسا على مقعده فى هدوء دون أن تبدو أية تعبيرات على وجهه ٠

قال ديروليد عندما تمالك عواطفه :

ـ اما وقد عرفت الآن يا صديقي كم احبها ، فهلا رعيتها عندما يقبضون علي وان تعمل على انقاذها من أجلي ؟

ـ أنقذها ؟ هل تعتقـــد اذن أن « زهرة كزبرة الثعلب القرمزية » يستطيع أن يفعل المستحيل ؟

وللمرة الثانية بدا كأن السير برسي يهم باخبار صديقه شيئا في منتهى الأهمية .. ولكنه تراجع مرة أخرى . ان «زهرة كزبرة الثعلب القرمزيه» كان رجلا بعيد النظر وعمليا .. وقد أدرك من تألق عيني ديروليد وحركات يديه العصـــبية انه ليس في حالة من الهدوء ، تسمح بالثقة به في خطط يتعلق نجاحها بخيط واه .

وعلى ذلك فقد ابتســـم بلاكني فقط ، واردف قائلا في هدوء :

ـ حسن .. سأبذل جهدي .

الفصل الثالث والعشرون

عـــــــدالة

كان اليوم يوما غير عادى مكتظا بالعمل •

لقد حوكم خمسة وثلاثون سجينا في الساعات الثمانى الأخيرة •• بمعدل أكثر من أربعة في الساعة الواحدة •• أى اثنتا عشرة دقيقة ونصف لاثبات ادانة أو براءة كل واحد منهم •• ولم يسبق للمواطن فوكيه تنفيل أن أدى عمله بمثل هذه السرعة والهمة •

كان كل واحد من هؤلاء الخمسة والثلاثين سجينا متهما بخيانة الجمهورية وكان يجب أن تقدم للجنة الأمن العام أدلة الاتهام التى لا تقبل الشك لاثبات التهمة • وأحيانا كانت بضع رسائل مكتوبة لأصدقاء فى الخارج واحتجزت عند الحدود •• أو تعبير عن الذعر والهلع للاعدام فى ميدان الثـــورة •• أو مشاركة لشعور شـخص سبب تكديرا للجمهورية •• تعتبر أدلة قاطعة •• وربما كان زوج من المسدسات أو سيف عائلى قديم عثر عليه فى منزل مواطن مسالم من الأدلة المؤكدة التى تقدم ضد سجين على أنه عدو لشعب فرنسا •

أوه ! •• لم يكن الأمر صعبا !

لقد أدين ثلاثون من الخمسة والثلاثين متهما •• فمن المؤكد أنه كان يوما عظيما

ولكن أعمال اليوم لم تنجز كلها بعد •

لقد تخلصوا من السجناء المتهمين بالخيانة ، ولكن بقى

المجرمون العاديون ، واللصوص ، والنشالون ، والقتلة . وهؤلاء كانوا يحاكمون بمقتضى القانون . وهؤلاء حالتهم افضل بكثير اذا قورنوا بالخمسة والثلاثين متهما الذين عرفوا مصيرهم .

ان خيانة الجمهورية كانت لا يقبل عنها دفاع ، ولكن الجرائم الأخرى كانت تنظر طبقا لكل اجراءات العدالة .. فقد كان هناك مواطنون قضاة .. ومواطنون محامون.. ومواطنون مجرمون تعطى لهم كل الفرص .

انقضى بعد ظهر ذلك اليوم الحار من أغسطس وأحد الأيام الأخيرة من فركتيدور المجيد .. وبدأت ظلال المساء تزحف ببطء داخل الغرفة الطويلة العارية .

كان المواطن رئيس المحكمة يجلس فى أقصى الغرفة على مقعد خشبى خشن وأمامه مكتب مغطى بالأوراق . وفوقه مباشرة كانت الكلمات الآتية ترى على الحائط الأبيض العارى : « الجمهورية كل لا يتجزأ » وتحتها : « الحرية ، المساواة ، الاخاء ! » وكان هناك أربعة كتاب على يمين ويسار المواطن الرئيس ، منهمكين فى الكتابة . ولم يكن هناك أحد يتكلم فى هذا الوقت ، ولم يعكر سكون القاعة سوى صرير أقلام الكتاب .

وجلس فوكيه تنفيل أمام الرئيس على مقعد أكثر انخفاضا من مقعد الأخير .. وكان بادى النشاط .. مستعدا

لإستئناف عمله ثانية لعديد من الساعات حسبما تتطلب منه بلاده ذلك ٠

وكان فوق كل مكتب شمعة تدخن وتهتز ذبالتها وهي تلقي أضواء وظلالا غريبة على وجوه الكتبة والرئيس ٠ وكان قفص الاتهام ذو القضبان الحديدية يتوسط الحجرة على استعداد ليتلقف المتهمين ٠ وكان هناك ثلاثة صفوف من المقاعد في موازاة كل جدار من جدران الغرفة الطويلة المطلاة باللون الأبيض ٠ وقد حجز الصف الأول منها لجلوس المواطنين النواب الذين يرغبون في حضور المحاكمة ٠٠ فذلك كان امتياز لهم بل وواجب عليهم كممثلين للشعب ليطمئنوا على أن المحاكمات تسير على ما يرام ٠

كانت مقاعد الصف الامامي قد ملئت في تلك اللحظة ٠٠ فعلى أقصى مقعد على اليسار كان يجلس المواطن مرلين وزير العدل ، وبجواره المواطن الوزير لبرون ، وأيضا المواطن روبسبير بوجهه الشاحب وعينيه المبتلتين وابتسامته الساخرة العجيبة ٠ وكانت هناك أيضا وجوه أخرى معروفة ٠ ولكن كل واحد كان يرنو الى المواطن النائب ديروليه معبود الشعب وهو يجلس في أقصى مقعد على اليمين ٠٠ وساعداه معقودان على صدره بقوة ٠

وفي النهاية دق المواطن الرئيس جرسا يدويا ٠٠ فتعالت الضوضاء من ضحكات ولعنات عالية ، ودفع وجذب عندما سمح للجمهور بالدخول الى القاعة ٠ كانت النسوة

يرتدين جونلات ممزقة ، بأرجل عارية ، وقد انتعلن قباقيب خشبية ثقيلة .. وهن يتطلعن بنظرات وحشية وشعور غير مرتبة . نساء بلا مشاعر اللهم الا الكراهية والحقد وقد امتلأت نفوسهن بذكريات أعوام الجوع والعطش والاساءات ، وليست لديهن سوى رغبة واحدة هي الثأر ممن يقلون عنهن تعاسة وبؤسا .

تدافعن بالمناكب وهن يتلهفن لبلوغ صفوف المقاعد الامامية ، حيث يستطعن رؤية أفضل للضحايا والتعساء الذين كانوا على وشك احضارهم . أما الرجال الذين كانت مشاعرهم الطبيعية هي العطف والحب فانها قد تحولت في هذا الوقت المرير الى كراهية وحب للدماء . حتى الأطفال أيضا .. بوجوههم المتقعة وهم يحملقون حولهم بعيون ملهوفة انتظارا للتمتع بالمشهد .. يتطلعون تارة للرئيس بقبعته الطويلة الحمراء .. وتارة أخرى للكتبة وهم يكتبون ويكتبون ويكتبون .. وأحيانا الى الشموع وهي تنفث سحبا من الدخان الأسود تتصاعد الى السقف المعتم . وفجأة وقع بصر احدى الأطفال على وجه بول ديروليد في الناحية الأخرى من القاعة .

قالت الطفلة وهي تشير بأصبعها الصغير وتتلفت الى من حولها في لهف :

ـ أنظروا .. ! .. أنظروا .. ! .. بابا ديروليد !

وعساها قد تذكرت أمسية سعيدة أمضتها في منزل

بابا ديروليد حيث تناولت خبزا جميلا أبيض واناء من اللبن الدسم ٠

وأفاق ديروليد عندما سمع اسمه يذكر ، وتبخرت من عينيه نظرة التعاسة ٠٠ عندما استجاب لتحية الطفلة الصغيرة٠ وسادت الهمهمة بين النساء لحظة ٠٠ ورقت التعبيرات الجامدة الجائعة الجائمة على محياهن لمجرد مرآه ٠

وكان فوكيه تنفيل يراقب ما يحدث بانتبـــاه فابتسم لنفســـه ٠ ودق المواطن الرئيس جرســـه اليدوى بصبر نافد وأصدر أمره بصوت عال قائلا :

ــ احضروا المتهمين !

الفصل الرابع والعشرون

محاكمة جوليت

جيء بالمتهمين واحدا في اثر الآخر .. يتولى حراستهم اثنان من رجال الحرس الوطني في أزيائهما الرسمية البالية الملطخة بالألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء .. ومن ثم سيقوا الى قفص الاتهام وجعلوهم يصغون الى الاتهامات التى كالها لهم المواطن فوكيه تنفيل النائب العام .

كانت معظم الاتهامات تافهة .. نصب ، وسرقة .. وما الى ذلك .. واتفق ان عرضت حالة قتل بلا سبق اصرار ، ومع كل فقد أدين قاطع طريق متهم بالقتل المصحوب بالسرقة وأرسل الى المقصلة .. وأما الآخرون فقد أرسلوا الى السفن المستخدمة كسجون في برست أو طولون . وأرسلت ثلاث نساء الى سجن النساء في سالبترير وقد اقتادوهن وهن يصحن عاليا معلنات براءتهن فشيعتهن ضحكات المشاهدين من فوق مقاعدهم .

ثم ساد المحكمة فترة سكون وقتية .

وجيء بجوليت مارني .

كانت هادئة تماما ، ورائعة الجمال ، مرتدية فستانا رماديا بسيطا ، وتمنطقت بحزام أسود حول وسطها ، واطل منديل أبيض من فوق نهدها . وكان وجهها الصغير البيضاوى ممتقعا .. وبدا كأنها غير دارية بشيء مما حولها ، ولم تر

ديروليه وهي تسير بخطى ثابتة ناحية قفص الاتهـــام وهى لا تنظر الى يمينها ولا الى يسارها .

طغى على ديروليد شعور بألم كان معظمه جسمانى مرير عندما سمع النائب العام ينطق باسمها عاليا .

كان ينتظر تلك اللحظة الرهيبة ناسيا تعاسته بالتفكير المريع فيما عانته عندما علمت أنهـــا ستحاكم لا كعــــدوة للجمهورية ولكن كمجرمة عادية .

هذا بالرغم من أن ذلك أفضل لها من حيث فرصتهـــا للنجاة وحصولها على حريتها فى النهاية . فلو أنهـــا اتهمت بخيانة الجمهورية فانها كانت معرضــــة للمحاكمة السرية ، فيجيئون بها ويدينونها وينفذون فيهـــا حكم الاعدام قبل أن يسمع عن مكانها وقبل أن يلقى بنفســـه أمام قضاتهـــا وينسب جريمتها الى نفسه .. وكان كل شيء ينتهى قبل أن يعرف ديروليد شيئا عنها .

لا شك أن هذا أفضل ... فان قدرته على المرافعة قد تجذب الأنظار المتجهة اليها نحوه .. وبعد هذه اللحظات القليلة من الشقاء ستكون حرة طليقة فى استطاعتها مغـادرة باريس، وتنعم بالسعادة وتنساه وتنمحى ذكراه من مخيلتها .

لقد أصبحت التهمة التى وجهت لجوليت مارنى فى ذمة التاريخ .. فكل شيء مســجل فى نشرة محكمة الثــورة . ويمكن لمن يريد الاطلاع عليها أن يجدها محفوظة على الدوام بدار الكتب الوطنية بباريس .

ـ جوليت مارني ·· انك متهمة بارسال اتهام كاذب خبيث تفترين فيه على أحد ممثلي الشـعب ·· وقد تسببت بعملك اللعين هذا في اتهام محكمة الثورة لنائب الشعب هذا، وقيامها بتفتيش منزله ، واضاعة وقت ثمين هو ملك لخدمة الجمهورية · وقد فعلت ذلك لا بدافع واجبك نحو وطنك ، وانما مدفوعة بروح شريرة آثمة لتتخلصي من شخص لم يفكر في شيء الا خيرك وصالحك · انك فعلت هذا من أجل عشيق خفي · وهذا هو ما جاء بك امام محكمة العدل هذه لتجيبي عن تهمة الافتراء وافساد الأخلاق العامة · وللتدليل على ذلك أضـع أمام المحكمـة اعترافك بأن اتهامك للمواطن النائب ديروليد كان كاذبا وخبيثا · هذا بالاضـافة الى حافظـة الرسائل الممزقة التي كانت تحوى رسائل من شخص مجهول قد حاولت عبثا اعدامها · واني أطالب ، باسـم شعب فرنسا الذي أتكلم نيابة عنه ، أن تساقي من قاعة العدالة هذه الى ميدان الثورة على ملأ من مواطني باريس ، مرتدية ثوبا أبيض ملطخا بالأوحال كدليل على عدم طهـارة روحك · وهنـاك تجلدين بالسوط بيد المواطن سامسون الجلاد العام ·· ومن ثم ترسلين الى سجن سالبترير لتظلي به تحت تصرف لجنة الأمن العام ·

والآن يا جوليت مارني ·· لقد سمعت الاتهام الموجه ضدك ، فهـل لديك شيء تقولينه وتدحضين به الحكم الذي طالبت باصداره عليك ؟

وحيا المتفرجون مرافعة النائب العام وارتفعت الصيحات والضحكات واللعنات •

أما بالنسبة لديروليد فقد ظن ان عقله يزايله •• فغرس أظافره في لحمه محاولا ان يغرق آلام عقله بالالم الجسماني • وقد لاح له ان صرخات وصياح استهزاء الغوغاء القذرين كأنها صرخات أرواح ضائعة تصيح من أعماق الجحيم• وتلاشت من نفسه عاطفة الاشفاق السابقة نحوهم ، وحبه للانسانية ، وولائه للفقراء المعذبين • وامتلأت روحه بالحقد على هذه الثورة ورجالها ، وتملكته رغبة مجنونة في أن يراهم جميعا يتعذبون ويعانون من الجوع ثم يموتون ميتة تعسة • وأصبحت الآن شهوة الكراهية لا تقل قبحا عن الكراهية التي عرفت عنهم • وهكذا في لحظة قصيرة واحدة هبط الى مستواهم وهو ينشد الثأر منهم •

وكانت جوليت هي الوحيدة التي ظلت هادئة صامتة طوال هذه الفترة • لقد سمعت الاتهام وطبيعة عقوبتها •• فامتقع خداها ولكنها لم تفقد كبرياءها قط ولا لحظة واحدة•• ولم تدر رأسها على الاطلاق ناحية الغوغاء الذين أهانوها وسبوها • كانت تقف صامتة حتى توقف الصياح لا تبدى حراكا اللهم الا اطراف أصابعها التي كانت تنقر في صبر نافد فوق القضبان أمامها •

ـ جوليت ماربي •• هل لديك أي شيء تقولينه ردا على التهمة الموجهة اليك أو اعتراضا على الحكم الذى طالبت باصداره ضدك ؟

كانت الحرارة فى المحكمة قد أصبحت صعبة الاحتمال .. فتناولت جوليت منديلها وجففت حبات العرق التى نضحت على وجهها قبل أن تجيب :

ـ كلا . ليس لدى ما أقوله .

فاردف النائب العام :

ـ هل لديك محام ليدافع عنك طبقا لحقوق المواطنة التى يبيحها القانون ؟

كادت جوليت تجيب فى الحال وبدأ فمها يتشكل بالشكل الملائم لنطق كلمة « كلا » التى كانت ستجيب بها .

ولكن الآن قد حانت ساعة العمل بالنسبة لديروليد . كان حتى هذه اللحظة صامتا يتعذب محتفظا بهدوئه خلال الثمانى والأربعين ساعة الماضية التى كانت تمر متعبة منذ قبض على المرأة التى أحبها .

وفى لحظة واحدة هب مستويا على قدميه أمام الجميع ، معتمدا على قدرته الخطابية والتسلط والأمر .

قال قبل أن تفلت كلمة « لا » من بين شفتى جوليت البيضاء :

ـ لقد عهدت الى المواطنة جوليت مارنى بالدفاع عنها .. وأنا هنا اعترض على التهمة الموجهة اليها وأطالب باسم شعب فرنسا أن تنال عدالة كاملة ويطلق سراحها .

الفصل الخامس والعشرون

الدفـــــاع

قوبلت عبارات ديروليد بعاصفة من الحماسة والهتاف ·
وصاح صوت آت من الصفوف المزدحمة حول المحكمة :
ـ هذا حسن ! ·· استمر ياديروليد ! ·· اننا نريد سماع ديروليد !

وتأهب الرجال والنساء والأطفال للاستمتاع مدة ربع ساعة ·· فما دام ديروليد له دخل فى المحاكمة فلا بد أنها ستنتهى نهاية مثيرة · وكان الشعب على استعداد دائم للاصغاء الى معبوده ·

وبدا كان المواطنين النواب قد أفاقوا واستعادوا اهتمامهم الذى انتابهم بعد يوم طويل شاق · فالوزير لبرون الذى كان نصف نائم استيقظ من غفوته ككلب كبير · وابتسم روبسبير من خلال شفتيه الرقيقتين وتطلع الى مرلين ·· فقد كان الجفاء بين مرلين والمواطن ديروليد معروفا جيدا ، وقد لاحظ الجميع ان أمارات الانتصار تلوح على وجه الأول ·

وكان المواطن لنوار يجلس على أحد المقاعد العالية · وكان يرقب بارتياح تام المشهد الذى اقترحه ليلة الأمس والذى تحقق تماما كما تنبأ به ·

وقد حاولت عينا مرلين النفاذتان أن تخترقا الظلام الذى كان يلف جمهور المشاهدين بحثا عن العملاق ذى الكتفين العريضتين دون جدوى ·

لم تفقد جوليت هدوءها ولم يكن هناك أحد يهتم بأمرها ليلاحظ لون خديها الباهتين اللذين اصطبغا بحمرة خفيفة عندما فاه ديروليد بأول كلمة ٠

وانتظر تنفيل حتى تلاشت الضوضاء ثم استأنف حديثه قائلا :

ـ اذن ماذا تريد أن تقوله أيها المواطن ، لماذا لا يصدر هذا الحكم ضد المتهمة ؟

فأجاب ديروليد في حزم :

ـ انى أقول ان المتهمة بريئة من كل تهمة وجهت اليها ٠

فتساءل تنفيل قائلا :

ـ ما هي الأدلة التي يمكن أن تسوقها مؤيدا بها قولك أيها المواطن النائب ؟

ـ ان الرسائل التي أشرت اليها أيها المواطن تنفيل لا تخص المتهمة ولكنها خاصة بي ٠ انها تحتوى على مراسلات معينة كنت أود ارسالها الى مارى انطوانيت ، السجينة الآن فى الكونسيرجيرى في المدة التى مكثت فيها هناك كحاكم لهذا السجن ٠ ان المواطنة جوليت مارنى قد خدمت الجمهورية عندما قدمت بلاغا ضدى لأن رسائلى الى مارى انطوانيت كانت تتعلق بآمالى فى اخراجها من هذه البلاد والتجائها الى وطنها الأصلى ٠

وبينما كان ديروليد يتكلم ، انبعثت تدريجيا من جمهور

المقاعد العليا مبهمة كزئير البحر القادم من بعيد . وكان كلما استرسل في حديثه في هدوء وحزم ازداد الزئير حتى غرقت كلماته الأخيرة وسط صيحة غضب كهزيم الرعد .

ديروليد .. صديق الشعب ومعبوده ، محبوب ذلك الجمهور المتمرد العنيد .. أب الأطفال .. وصديق النساء .. والمجامل لهم في الشدائد .. بابا ديروليد كما كان يدعوه الصغار .. خائن .. يتهم نفسه بأنه يتآمر ويضع الخطط من أجل الطاغية الأجنبية المستبدة ماري انطوانيت ! .. ديروليد .. خائن !

وفي لحظة واحدة انقلب حبهم بغضا وكراهية .. لقد خدعهم .. وضحك عليهم سرا .. وحاول أن يرشوهم باطعام صغارهم ! كان خبز خائن ! ولا بد أنه سيخنق اطفالهم ! انه كان معبودهم .. أما وقد سقط الآن .. فقد كرهوه بمثلما أحبوه من قبل .

وقد لاحظ خصوم ديروليد ذلك فابتسموا مغتبطين .

ان الشعب وهو أكثر شيء في الدنيا تقلبا قد انقلب على محبوبه فجأة . وقد تنبأ لنوار بهذا ، وقد حدث بحذافيره بأسرع مما كان يتوقع .

لقد أعطى ديروليد حبلا طويلا .. وها هو ذا يشنق نفسه .

وأصبحت الحقيقة الآن مجرد ساعات قلائل .. فالمقصلة غدا .. وسيسوقه غوغاء باريس الى ميدان الثورة بعد أن

كانوا بالامس على استعداد لتمزيق أعدائه اربا اربا · وقد كان يعلم هذا جيدا ولكنه وقف هادئا مستعدا لمواجهة أى حادث اذا ما نجح في انقاذها من مصيره ·

وأما جوليت فقد ظلت لا حراك بها وفر لونهامن خديها ثانية ·· فعادا شاحبين كما كانا من قبل ·· وبدت في تلك اللحظة كانها تعاني آلاما مبرحة كما لم يعان مخلوق بشرى من قبل ·

انه لا يريد أن يدين لها بحياته ·

تلك كانت الفكرة المسيطرة على عقلها والتى غطت على ما عداها من الأفكار · لقد مات حبه لهـا ورفض أن يقبل التضحية العظيمة من يديها ·· وهكذا رأى كل منهما الآخر في تلك اللحظة الرهيبة من حياتهما ·· ولكن انى لهما أن يفهما بعضهما ·· مع أن كلمة أو لمسة كانت كفيلة باعطاء كل منهما مفتاح قلب الآخر ·· ولكن يبدو الآن أن الموت سيفرق بينهما الى الأبد دون أن يفهم أحدهما الآخر ·

كان النائب العام ينتظر حتى يتغلب صوته على الضجيج ·· ثم قال :

ـ هل للمحكمة أن تفهم اذن أيها المواطن ديروليد انك انت الذى حاولت احراق هذه الرسائل التى تنضح بالخيـــانة ·· واتلاف الحافظة الحاوية لها ؟

ـ ان الرسائل كانت خاصة بى ·· وأنا الذى أتلفتها ·

فقال تنفيل :

ــ ولكن المتهمة اعترفت للمواطن مرلين أنها هي بنفسها كانت تحاول احراق رسائل غرامية معينة وصلتها من رجل لم تكن تريدك أن تعرف بأمره ·

ربما لم يكن الحبل ذا طول كاف ·· فليعط ديروليد كل ما يحتاج اليه ·

ومع ذلك فان ديروليد بدلا من أن يوجه اجابته مباشرة الى النائب العام ، استدار الآن نحو جموع المشاهدين الزاخرة ·· الجالسين فوق مقاعدهم في مواجهته وقال بحرارة :

ــ أيهـا المواطنون ·· الأصـدقاء ·· والاخوة ·· ان المتهمة لا تعدو أن تكون فتاة صغيرة بريئة لا تعرف شيئا عن الخطر او الخطيئة ··· وهي تحب الجمهورية وشعب فرنسا·· وخشيت أنني ·· غير الجدير بتمثيل أبناء فرنسـا كنت أتآمر وأضع خطط الخيانة ضد بلادنا · وكان أول خاطر لها أن تمنعني من ارتكاب الجريمة الشنعاء ·· وأن تعاقبني ·· أو ربما فقط لتحذرني · كان هذا هو معنى اتهامها لي ·· فهل تستطيع فتاة صغيرة أن تزن الأمور وتحسب حسابها ايهـا المواطنون ؟ كلا ·· انها تتصرف حسبما يملي عليها قلبها دون تفكير في العواقب · وعندما نفذت عزمها ركبها الأسف والاشـفاق ·· فهل هذا جرم ؟ لقد أرادت معارضتي في خيانتي ·· بيد أنهـا عندما رأتني في خطر تغلبت عليهـا مشاركتي في الشعور · كانت تحب أمي التي كانت سـتفقد

ابنها . كما كانت تحب أختي المتبناة العاجزة .. ومن أجلهما وليس من أجلي أنا الخائن ـ أرادت أن تنقذني من عواقب حماقتي وطيشي . فهل كان ذلك جريمة أيها المواطنون ؟ لقد أخذت على عاتقها أن تتحمل وزر جريمتي وكانت على استعداد أن تضحي بنفسها وأن تقف هنا امامكم جميعا كمجرمة . وقد عانت كثيرا بسبب كذبتها النبيلة التي قالتها من أجلي .. ولكنكم يا مواطني فرنسا .. يا أنبل الجميع وأكرمهم .. لن تسمحوا بأن تتعذب أكثر مما تعذبت .

أصغوا اليه دون أن يقاطعوه .. وعندما سكت ، كان من الواضح أن الشعور الشعبي قد تحول الى عطف على السجينة . ان مناشدته لشرفهم وكرمهم قد أيقظ فيهم كل مشاعرهم النبيلة . ولما كانوا لا يزالون يمقتونه ، فان كلماته قد حولت قلوبهم نحوها . ولو ان مصير جوليت كان من الممكن أن يقرر في تلك اللحظة تبعا لأصوات الجموع لأطلق سراحها على الفور .

وبينما كان ديروليد يتحدث ، نظر مرلين مرة أو اثنتين نحو صديقه فوكيه تنفيل .. ولكن النائب العام كان يجلس الى مكتبه وعلى وجهه تعبير مبهم وقد اعتمد ذقنه بيده وهو يحملق أمامه دون اكتراث .

والآن عندما انتهى ديروليد من دفاعه .. نهض ببطء ووقف على قدميه وقال في هدوء :

ـ هلا قلت للمحكمة أيها المواطن النائب لماذا تصر على

اتهام نفسك علانية بالخيانة ضد الجمهورية وانت تعلم جيدا ما ستكون عليه النتيجة بالنسبة اليك ؟

ـ هل يرضى أى رجل فرنسى بانقاذ حياته ويترك امرأة تعاني عقوبة غير عادلة ؟

قوبلت هذه الجملة بهمسات استحسان ٠٠ وأكمل تنفيل حديثه قائلا :

ـ تماما ٠٠ تماما ٠٠ وهلا أخبرت المحكمة أن المتهمة لم تكن تعرف شيئا عن الاوراق التى تدعى أنك أعدمتها ؟

ـ انها لم تكن تعرف شيئا عنها ٠ وأنا الذى أحرقتها ٠ ولم أكن أعرف أنه قد عثر عليها ٠ فعندما عدت الى منزلى اكتشفت أن المواطنة جوليت مارنى قد اتهمت نفسها زورا وبهتانا بأنها أعدمت سرا بعض الأوراق ٠

ـ لقد ذكرت أنها كانت رسائل غرامية ؟

ـ هذا كذب ٠

فاستطرد تنفيل قائلا :

ـ اذا كان ذلك كذبا أيها المواطن ديروليد ٠٠ فكيف يتأتى أن الرسائل ، التى اعترفت أنها تحتوى على المؤامرة ، وجدت محترقة والدخان يتصاعد منها فى غرفة نوم جوليت مارنى ٠ كما وجدت حافظة الرسائل الممزقة مخبأة بين ثيابها فى حقيبتها ؟

ـ هذا كذب ٠

ـ ان وزير العدل ـ المواطن مرلين ـ يستطيع أن يجيب بصحة ذلك ٠

وهنا قالت جوليت فى هدوء :

ـ تلك هى الحقيقة ٠

فصمت ديروليد الآن ٠

ان هذه الحقيقة البسيطة لم يكن يعرفها ٠٠ فآن مى عندما أخبرته كيف قبض على جوليت ٠٠ غاب عنها أن تذكر له هذا بالتفصيل وأن الرسائل المحترقة قد عثر عليها فى غرفة نوم جوليت ٠ وحتى هذه اللحظة وعندما وجه اليه تنفيل هذا السؤال ، كان ديروليد يعتقد أنها أعدمت الأوراق وحافظة الرسائل فى غرفة المكتبة ، حيث مكثت وحدها بعد مغادرة تنفيل ورجاله للغرفة ٠٠ فقد كان من اليسير عليها أن تحرقها هناك حيث يوجد مصباح صغير دائم الاشتعال فوق منضدة جانبية ليستعملها المدخنون ٠

وقد غيرت هذه الحقيقة البسيطة مجرى المحاكمة كله ٠٠ فتحول تنفيل الى جموع المشاهدين الجالسين فوق المقاعد وقال :

ـ يا مواطنى فرنسا ٠٠ انظروا كيف خدعتم واستغفلتم!

ثم استدار ثانية الى ديروليد وقال :

ـ أيها المواطن النائب ٠٠٠

ولكن كلماته ضاعت وسط ضجيج الصيحات واللعنات فلم يعد يسمعها أحد ٠٠ وسرعان ما تحولت قلوب الجموع التى رقت لحظة من ناحية جوليت بتأثير حديث ديروليد وانقلب عطفهم عليها الى مقت وغضب ٠ فها هما ذا شخصان قد خدعاهم وكان أحدهما يتمتع بحبهم وثقتهم ٠٠ فهو

وعشيقته الارستقراطية الشاحبة الوجه كانا يتآمران ضد الجمهورية وكان يتحدث اليهم خلال هذه الشهور والأعوام وهم يصغون اليه ٠ انه قد خدعهم بطلاقة لسانه وبخبزه وبالمستشفى الذى أنشأه لأطفالهم ٠

وأخذ الضجيج والصياح يزدادان ٠٠ واندفعت الجموع الهادرة من فوق المقاعد يدوسون فوق بعضهم البعض ، ويطئون أجساد الأطفال الذين سقطوا فوق الأرض فى محاولة للوصول اليه والى الفتاة ليمزقونهما اربا ٠ كانوا يزارون كالوحوش الضارية ، وصاحت النساء وصرخ الأطفال وأسرع جنود الحرس الوطنى الى الأمام واستطاعوا أن يصدوهم بشق الأنفس ٠ ودق الرئيس جرسه بعنف وسمع صوته الذى كان يرتجف انفعالا مرة أو مرتين من خلال الضجيج :

ـ اخلوا قاعة المحكمة ! ٠٠ اخلوا قاعة المحكمة !

ولكن الناس رفضوا الخروج من المحكمة ٠٠٠

ـ الموت للخونة ! ٠٠ اشنقوهما ! ٠٠ الموت لديروليد ! ٠٠ اشنقوا الارستوقراطية ٠

وكان المواطن لنوار يرى بين الجموع بكتفيه العريضتين ورأسه الكبير ٠ وبدا فى أول الأمر أنه يثير غضب الغوغاء ٠٠ فكان صوته الجهورى بلهجته الشمالية يسمع واضحا وهو يصب اللعنات على المتهمين ٠٠ ولكن فى لحظة معينة عندما بلغ الضجيج والعجيج أشده ٠٠ وعندما بدأ رجال الحرس الوطنى يعتقدون أنه حتى حرابهم المثبتة فى بنادقهم لن تفلح

فى ايقاف اندفاع الجموع الهائجة المائجة ٠٠ بدا أن لنوار قد عدل عن رأيه ٠٠ فصاح بصوت عال :

ـ قفوا ! ٠٠ قفوا ! ٠٠ هذه حماقة ! ٠٠ اننا سننال من الخائنين عندما نظفر بهما فى الخارج ٠ فما رأيكم أيهـــا المواطنون ؟ أليس من الأوفق أن نترك القضاة هنا ينتهـــون من هذا الهراء ، ونهيىء بأنفسنا خاتمة أفضل فى الشوارع ؟

لم يلاق اقتراحه اكتراثا في بادىء الامر ، ولكنه عاد فكرره مرة أو اثنتين ، وهو يضيف تفاصيل شائقة :

ـ ان الانسان يكون أكثر حرية فى الشـــوارع حيث لا يستطيع قرود الحرس الوطنى أن يقفوا بين شعب فرنســـا وانتقامه العادل ٠٠ أى والله !

ثم أردف وهو يشق طريقه بكتفيه العريضتين وســـط الزحام ناحية الباب :

ـ اننى ذاهب بنفسى للبحث عن أفضـــل مكان لنصب المشنقة ٠ هلموا أيها الأصدقاء ٠٠ ودعونا نشنقهما بأيدينا ٠

فبـــدأت الجموع تتبعـــه كقطيـــع من الغنم واخـــذوا يصيحون :

ـ الى الشارع ! ٠٠ الى الشـــارع ! ٠٠ فلنشنقهمـــــا بأيدينا ! ٠٠ ليشنق الخائنان ! ٠

وبدأ أغلب المشاهدين يشق طريقه الى الشارع وهـــو يسب ويلعن أعداء الجمهورية بصوت عال ٠ ولم يبق ســـوى قلة لمشاهدة خاتمة المحاكمة ٠

الفصل السادس والعشرون

شعب فركتيدور

تصدى الكثير من الكتاب لوصف الحوادث المعروفة فى التاريخ بشغب فركتيدور • ولكن هذا هو الوصف الذى تقدم به السير برسى بلاكنى للبرنس أوف ويلز بانجلترا بعد بضعة أيام من حدوثه • ومن عساه يكون أكثر معرفة بها من زهرة كزبرة الثعلب القرمزية نفسه ؟

كان ديروليد وجوليت مارنى آخر المسجونين الذين حوكموا فى ذلك اليوم الخالد من أيام فركتيدور • وكان هناك عدد ضخم منهم حتى أن العربات المغلقة التى كانت تستعمل فى نقل المسجونين من والى قاعة العدالة قد أرسلت جميعها بشحناتها الآدمية • وعلى ذلك فلم يكن هناك غير عربة خشبية خشنة مفتوحة فصدرت الأوامر لديروليد وجوليت بالصعود اليها •

كانت الساعة التاسعة مساء وأخذ رذاذ خفيف من المطر يتساقط متسربلا بالضباب • وكانت شوارع باريس مظلمة اللهم سوى تلك المصابيح الزيتية التى تتدلى من الأسلاك من منزل الى منزل والتى كانت ترسل ضوءا باهتا ضئيلا مما يشكل منظرا تعسا •

كانت قاعة العدالة محاطة بجموع يتصاعد منهم الصراخ والصياح وقد احتسوا كل البراندى فى الحانات المجاورة •• وكانوا الآن ينتظرون فى الخارج تحت الأمطار

كي يأخذوا ثأرهم بأيديهم من الرجل الذي أحبوه يوما ما ثم كرهوه الآن .. فتزاحم الرجال والنساء وحتى الاطفال حول المداخل الرئيسية .. وعلى طول شاطىء النهر حتى القنطرة وحتى سجن لوكسمبورج الذي لا شك أن المحكوم عليهما بالاعدام سيؤخذان اليه .

وعلى امتداد شاطىء النهر وفي مواجهة قاعة العدالة مباشرة كان هناك صف من الأعمدة كأعمدة المشانق .. وبين كل عمود وآخر مسافة قدرها مائة ياردة أو يزيد . وكان كل واحد منها يحمل في أعلاه مصباحا زيتيا ينفث الدخان على ارتفاع ثمانية أقدام من الأرض . وقد سقط أحد هذه المصابيح ، وكان يتدلى من العمود نفسه في ذلك الوقت حبل في نهايته أنشوطة . والتفت حوله جماعة من النساء ذات الثياب المهلهلة المبتلة بماء المطر ، يجلسن وسط الاوحال في انتظار الفريسة في حين راح الرجال يندفعون في قلق واضطراب على غير هدى هنا وهناك خشية أن تفلت منهم الفريسة قبل أن ينالوا ثأرهم .

اوه .. لكم يكرهونه الآن ! .. ان المواطن لنوار كان ظاهرا للعيان وسط الجموع بكتفيه القويتين ورأسه المغطى بالأوساخ . وكان ظلام الشارع والضباب الذي حجب الضوء الضئيل الساقط من المصابيح الزيتية يجعلان من المستحيل رؤيته ، ولكن صوته الأجش كان يمكن سماعه الآن هنا وهناك وهو يستحث الرجال ، ويصيح في النسوة مثيرا الكراهية

ضد السجينين • وبدا أنه يعتبر أن من واجبه اقناع الناس ليقبلوا على عمل مروع انتقاما من أعدائهم •

وعندما خرج ديروليد الى العراء •• سقط ضوء مصباح كان يتأرجح عند مدخل الباب فوق وجهـــــه فعرفته طلائع الجموع •• فتعالت صرخات الغضب الى عنــــان السماء •• ولوحت مئات القبضات نحوه مهددة اياه •• وبدا كأنهم يودون تمزيقه اربا وهم يصيحون :

ـ اشنقوه ! •• اشنقوه ! •• الخائن !

فاعترته رجفة خفيفة كأنما بتأثير الهواء البارد الرطب، بيد أنه خطا نحو العربة في هدوء تتبعه جوليت عن كثب •

وقد لاقى جنود الحرس الوطني تحت رئاسة الـكمدار سانتير الأمرين في صد الغوغاء •• فلم تكن رغبة الحكومة ان تسمح للناس بممارسة العدالة بأيديهم في الشوارع •• فهي تعتقد أن الاعدام العلني في ساحة الثورة خير رادع لمن تحدثه نفسه بخيانة الجمهورية •• ولذا فقد أصدر المواطن سانتير ، الحاكم العسكري لباريس ، أمره الى رجاله لافساح الطريق للمسجونين •• حتى ولو باستعمال حراب بنادقهم اذا لزم الأمر •• ، ثم أمر حاملي الطبول بأن يدقوا طبولهم عاليا لئلا يحاول ديروليد التحدث الى الجموع •

ولكن ديروليد لم يكن في نيته شيء من هذا •• اذ كان مشغولا كلية بحماية جوليت من البرد • وقد أجلسوها بجانبه

في العربة فخلع معطفه وأخذ يلفه حولها ليحميها من غائلة المطر .

ويروى شهود العيـان لتلك الأحداث التي لا تنسى أن ديروليد في لحظة معينة أخذ يتطلع فجأة وقد بدا في عينيـه لهف وفضول .. ثم استوى في جلسته داخل العربة وخيل كأنه يحاول أن يخترق الظلمات المحيطة به بحثا عن وجه أو ربما صوت معين .. وقد اكتنفته صرخات الغوغاء المتواصلة:

ـ اشنقوهما ! .. الخونة ! .. اشنقوهما !

وحتى الآن كان من السهل على جنود الحرس الوطني أن يصدوا الجموع محتمين بجدران قاعة العدالة من خلفهم .. غير أنه جاءت لحظة عندما اضطرت العربة الى السـير في العـراء لتذهب بالسجينين عبر شارع بالاس الى سجن لوكسمبورج .. ومن ثم أخذت هذه المهمة تزداد صعوبة في كل لحظة .. فقد جن جنون الجموع من فرط الغضب وهم يرون قلة من الجنود يحولون بينهم وبين رغباتهم . اما النسوة اللاتي كن يجلسن حول المشانق فلم يتحركن من أماكنهن .. وراحت احداهن تعيد الحبل بهدوء الى موضعه الأصلي بينما التف باقي الجموع حول العربة ، يهددون الجنـود الذين كانوا يحولون بينهم وبين مصدر غضبهم ، وبدا أنه لا شيء يمكن أن ينقـذ ديروليد وجوليت من موت سريع مخيف .

ـ الموت للخائنين ! .. أعدوا الحبـال ! .. أعدوا الحبال ! .. لنشنقهما بأيدينا !

اما سانتير نفسه فلم يكن فى استطاعته اسماع صوته بين هذا الضجيج فحار فيما يفعله ٠٠ وكان قد أرسل أحد رجاله الى اقرب الثكنات طالبا مزيدا من الجنود ٠٠ بيد أن هؤلاء لن يصلوا قبل مضى بعض الوقت بينما رجاله قد نال منهم الاعياء ٠٠ فى حين اشتد هياج الغوغاء حتى بدا أنهم على وشك أن يحطموا الخط الفاصل بينهم وبين السجينين فى كل لحظة ٠٠ ولم يكن هناك مجال لضياع ثانية واحدة ٠

ولو ترك سانتير وشانه لسمح للجمـــوع أن تتصرف بطريقتها الخاصة ولقذف اليها بالفريســــتين اللتين ارتفع الصياح فى طلبهما ٠٠ ولكن كانت لديه أوامر ٠ وكان من الخطر أن يعصاها ٠

وفى تلك اللحظة الحرجة شـــعر بيد تلمس ذراعه فى احترام ٠٠ ورأى بالقرب منه جنديا من جنود الحرس الوطنى ـ ولكنه ليس من رجاله ـ وهو يقف وقفة انتباه ممسكا فى يده بورقة صغيرة مطوية ٠

أسرع الجندى يهمس قائلا :

ـ انها مرسلة لسيادتك من وزير العدل ٠ لقد شـهد المواطنون النواب الضجيج والشغب من القاعة ويطلبون منـك الا تضيع لحظة واحدة ٠

فانتحى ســـانتير الى جانب العربة الى حيث كان أحد مصابيح الاصطبلات مثبتا ٠٠ وتناول الورقة من يد الجنـــدى

وفتحها بسرعة وقرأها على ضوء المصباح الضئيل ·· وعندما فرغ من قراءتها بدا على وجهه الارتياح ·

سأل فى عجلة :

ـ ان معك رجلين ؟

فأجاب الجندى وهو يشير الى يمينـه :

ـ نعم أيها المواطن ·· وقال الوزير ان عليك أن تمدنى باثنين آخرين ·

ـ وهل تعلم ما يجب عليك عمله ؟ يجب أن تأخـذ السجينين فى هدوء الى سجن تمبل ·

ـ نعم أيها المواطن · لقد زودنى المواطن مرلين بكافة التعليمات ·· وهو يقول انه فى امكانك أن تسحب العربة الى الظل ، حيث تستطيع انزال السجينين لأتولى شـأنهما بعد ذلك ·· بينمـا تمكث أنت ورجالك فى نفس الوقت حول العربة الفارغة لأطول مدة ممكنة · وسرعان ما سيصلك مدد من الجنود ليقدموا لك المعاونة التى تحتاجها · وعند وصولهم تحركوا مع العربة كأنكم ذاهبون الى سجن لوكسمبورج ·· وبهذا أجد وقتا كافيا لايصال السجينين فى أمان الى سجن تمبل ·

كان الرجل يتحدث فى عجلة ، ولم يسع سانتير سوى الاذعان ، وقد سره أن يتخلص من مسـئولية نقل هذين السجينين اللذين تحيط بهما المشاكل ·

سحبت العربة الى أشد بقع الظل اظلاما ، وبينما الرعاع يصرخون بأعلى أصواتهم ..أمر ديروليد وجوليت بالنزول من العربة .. ولم يرهما أحد ، فقد كان المكان معتمـا والضباب كثيفا .

همس صوت خشن فى أذنيهما :

ــ اتبعانى فى هدوء ! والا أطلقت النار عليكما طبقـــا لما لدى من أوامر .

بيد أنه لم يكن هناك ما يدعو لهذا الأمر .. فلم يكن لدى أى من السجينين رغبة فى المقـــاومة . وكانت جوليت تشعـــر بالبرد .. نصف نائمة وقد تعلقت بديروليد الذى أحاطها بذراعه كى يحميها . وأمر ســـانتير اثنين من رجاله بمرافقة حرس السجينين الجدد . ومن ثم بدأت هذه الجماعة الصغيرة تسرع الخطى وهى تسير بجوار الجدران العالية لقاعة العدالة مبتعدة عن منظر الشغب والاضطراب . وقد لاحظ ديروليد أن هناك حوالى ستة رجال كانوا يحيطون به وبجوليت .. ولكنه لم يستطع أن يرى شيئا أبعد من ذلك .. فقد نشر الليل أرديته السود الثقيلة .. وأخذت صيحات الجمـــوع تتضاءل رويدا رويدا كلما أمعنوا فى السير .

الفصل السابع والعشرون

غير المتوقع

سارت الجماعة الصغيرة في صمت .. وبدت مؤلفة من عدد قليل من الحرس الوطني وضعه سانتير تحت امرة الجندى الذى حمل اليه أوامر المواطنين النواب .

وقد تساءلت جوليت وديروليد أين تراهم ذاهبين بهما: ربما الى سجن آخر بعيدا عن غضبة الشـــعب .. وشعرا بالارتياح لتخلصهما من تلك العصبة من الوحوش الضارية. وعدا ذلك لم يكن هناك ما يزعجهما .. فكلاهما كان يشعر بظل الموت يحلق فوق رأسه .. وقد حانت أروع لحظـــات حياتهما .. فاذا بهما جنبا الى جنب . ومدت جوليت يدها باحثة عن يد الرجل الذى أحبته .. ولم يتبادلا كلمة أو حتى همســـة واحدة . وقد أدرك ديروليد كل ما أرادت يدها أن تنقله اليه .. فنسى كل شىء سوى الفرحة بهذه اللمسة .. وتلاشى من الوجود الموت أو الخـــوف من الموت .. وحل فى قلبيهما السلام التام بل السعادة الحقة . لم يعد هناك شك أو أى شىء فى حاجة الى الصفح .. ولم يعد ديروليد يعتقد :

ـ انها لا تحبني .. والا فكيف خانتنى ؟

وعرفت أنه صفح عنها أو أنه لم يعد لديه ما يصفح عنه .. فالحب تفاهم تام لا يعرف المقاضاة والمؤاخذة .

وهكذا تبع الاثنـــان حراسهما الى حيثمـــا شاءوا أن يقودوهما .

وكانوا قد ابتعدوا الآن عن النهر ، وشرعوا يجوسون خلال الشارع الساكن المهجور حيث يقع خان المواطن بروجار الذي يقطن فيه السير برسي بلاكني • فلما اقتربوا من المكان •• ألفى ديروليد نفسه يتساءل في غموض وابهام عما عساه يكون قد حدث لصديقه الانجليزي • لقد وعد الأخير بأنه سيبذل ما في وسعه •• ولكن انقاذ سجينين معروفين خارج باريس في هذه الليلة يتطلب ما يفوق مهارة زهرة كزبرة الثعلب القرمزية •• حتى ولو •••

ـ قف !

دوت كلمة الأمر هذه في وضوح وجلاء •• فدفع ديروليد برأسه وراح ينصت • كان هناك شيء غريب وغير مفهوم في تلك الكلمة الآمرة أصاب أذنه الحساسة •

ومع ذلك فقد توقفت الجماعة وكان هناك صوت حراب البنادق أو البنادق وهي مشرعة على اهبة الانطلاق •

حدث كل ذلك في أقل من ثوان قلائل •• وفي اللحظة التالية صاح صوت عال :

ـ الطريق من هنا ياديروليد ! انه زهرة كزبرة الثعلب القرمزية !

وسقط أقرب مصابيح الشارع بضربة واحدة من يد خفية وانطفأ •• وأحس ديروليد بأنه وجوليت يجذبان بسرعة خلال مدخل احد الأبواب بينما كان صدى الصوت البهيج

يتردد في الشارع الضيق . وأعقب ذلك عراك ستة رجال في الوحل .. وبدا كأن رجال الحرس الوطني يتساقطون فوق بعضهم البعض .. ولو لم تكن الشتائم بالانجليزية .. لابطأ ديروليد وجوليت في فهم ما يدور حولهما ..

ـ أحسنت يا توني ! .. عظيم يا فولكس ! .. اطعن .. هذا عمل جميل !

ان الصوت المرح الكسول كان لا يخطئه الانسان ، ولكن من أين أتى ؟

لم يكن هناك ادني شك في أمر واحد .. فالرجلان اللذان أرسلهما سانتير كانا ممددين على ظهورهما فوق الارض بينما انهمك الجنود الثلاثة الآخرون في شد وثاقهما بالحبال.

ترى ما معنى كل هذا ؟

ـ حسن أيها الصديق ديروليد ! .. آمل أنك لم تعتقد أنني كنت سأتركك والآنسة جوليت لمصيركما ؟

وهناك بالقرب منهما كان يقف خلفهما العملاق المتعطش للدماء .. المواطن لنوار . فحملقا .. وحملقا .. ثم عادا ينظران اليه ثانية وهما لا يكادان يصدقان أعينهما . واطلت من وجه لنوار عينان زرقاوان مرحتان أخذتا تتطلعان اليهما في غبطة .

وأخيرا قال :

ـ اعرف انني أبدو قذرا بائسا .. ولكن تلك كانت

الطريقة الوحيدة لأجعل هؤلاء الأبالسة يفعلون ما اريد ٠٠ ولكنكما الآن بين أصدقاء يا آنسة ٠

فرفعت جوليت اليه عينيها اللتين كانتا تسبحان في الدموع تنقلهما بين الرجل الجرىء الذى وقف الى جانبها في نبل ٠٠ والرجل الذى أحبته ٠

قال ديروليد :

ـ بلاكني ٠٠٠

وسرعان ما قاطعه سير برسي قائلا :

ـ صه يا رجل ! فليس لدينا الا لحظات قلائل ٠ وتذكر أنك ما زلت في باريس والله وحده يعلم كيف سيمكننا مغادرة تلك المدينة القاتلة الليلة ٠ لقد قلت انك والآنسة جوليت بين أصدقاء ٠ وهذا كل ما لدى في هذه اللحظة ٠ لقد كان على أن أنقذكما معا والا فشلت ٠٠ فلم يكن أمامي الا خطة واحدة لعملية الانقاذ وكان على أن الجأ الى أفضل الوسائل عندى حتى يحكم عليكما معا بالموت ٠٠

وأردف ضاحكا :

ـ من المؤكد أن صديقي تنفيل لن يسر عندما يعرف أن المواطن لنوار قد خدع المواطنين النواب وهزأ منهم ٠

وبينما كان يتحدث ، قاد ديروليد وجوليت الى حجرة مظلمة ضيقة في الطابق الارضى ٠٠ ثم نادى بصوت عال على بروجار ٠٠ صاحب ذلك الخان المظلم المقبض ٠

صاح قائلا :

ــ بروجار ! ·· أين انت أيها الحمار بروجار ؟

ثم أردف عندما هرول المواطن بروجـار بجيوبه المنتفخة بالذهب الانجليزى قادما اليه :

ــ أسرع يا رجل ·· أين تخبيء وجهك القبيح ؟ هنـا حبل آخر للجنديين · ايت بهما الى هنا واسكب ذاك السائل فى حلقهما كما أخبرتك ·· فانه سيجعلهمـــا هادئين لعشر ساعات ·· دون أن يؤذيهما ·· ودون أن يمسونا بسوء ·

وهكذا انطلق يثرثر فى انشراح معطيا ديروليد وجوليت وقتا ليفيقا من دهشتهما ·

كان التغير من اليأس الى الأمل مفاجئا ·· وحدث كل شيء فى أقل من ثلاث دقائق ·· وكانت المعركة التى نشبت فى الخارج قصيرة الأمد ومفاجئة ·· فقد بوغت جنديا ســـانتير وانقض عليهما ثلاثة شبان من مساعدى زهرة كزبرة الثعلب القرمزية بقسوة بما لم يدع لهما مجالا ليطلقـــا صـيحة . « النجدة ! » ·· زد على ذلك ان هذه الصيحة كانت لا تجدى ·· فقد كان الليل حالك السواد ومطيرا ، وكان المواطنـون فى حالة انفعال وهياج وفى شغل شاغل عند قاعة العدالة على بعد ميل ونصف من هذا المكان · وقد ظهر رأس أو رأسان فى نوافذ المنازل المقابلة ، ولكن الظلام كان حالكا لكى يرى المرء شيئا ·· وسرعان ما تلاشى صوت العراك ·

كان السكون يرفرف على الشارع الآن ٠٠ وتمدد جنديا الحرس الوطنى موثوقين وغائبين عن الوعى فى غرفة تنـاول القهوة القذرة ٠٠ فى حين كان الثلاثة الآخرون يضحكون فى جذل وهم يجففون وجوههم وأيديهم التى يبللها المطر ٠٠ وفى وسطهم كان يقف ذلك العملاق المغامر الجرىء الذى دبر خطة الانقاذ ٠

ـ حسن ٠٠ لقد قطعنا شوطا كبيرا أيها الأصدقاء ٠٠ أليس كذلك ؟ ولننظر الآن الى المستقبل ٠ يجب أن نغـادر جميعا باريس الليلة والا ستكون المقصلة فى انتظارنا غدا ٠

تحدث فى انشراح ٠٠ ولكن كان صوته تشوبه لهجة تنم عن اللهفة ٠٠ ونظر اليه وكلاؤه ومساعدوه وهم على استعداد لاطاعته فى كل شىء وهم يدركون الخطر الذى يحيق بهم ٠

كان اللورد آنتونى ديوهرست ، وسير آندرو فولكس، ولورد هاستنجس يرتدون ملابس جنود فى الحرس الوطنى وقد أدوا دورهم بمهارة ٠ وكان اللورد هاستنجس هو الذى أبرز الأمر لسانتير ٠٠ وقد انقض المغامرون الثلاثة ، بناء على أوامر رئيسهم ، على الرجلين اللذين ارسلهما حكمدار باريس لحماية السجينين ٠

وسار كل شىء على ما يرام ٠ ولكن كيف سيغادرون باريس ؟ أخذ كل واحد ينظر الى زهرة كزبرة الثعلب القرمزية ينشد عنده الهداية ٠

استدار السير برسى نحو جوليت ثم انحنى لها قائلا :

ـ يا آنسة دى مارتى ·· أتسمحين لى بأن أقتادك الى غرفة ، ولو انها غير مناسبة ، الا انها ستمكنك من أخذ قسط من الراحة لبضع دقائق حتى اعطى صديقى ديروليد مزيدا من النصائح والتعليمات · وفى الغرفة ستجدين ما تتنكرين به ·· فارجوك أن ترتديه بكل سرعة · حقا انها أسمال بالية ، ولكن حياتك وحياتنا أيضا ·· تتوقف على معاونتك لنا ·

ثم لثم أنامل يدها ·· وفتح باب غرفة مجاورة ·· ليدعها تدخل ·· وحالما أغلق الباب خلفها تحول ثانية الى الآخرين ·

قال :

ـ ان هذه الملابس الرسمية لم تعد لها فائدة الآن · توجد بعض ثياب أخرى هنا ياتونى ·· فهلا ارتديتموها جميعا بأسرع ما فى طاقتكم ·· اذ يجب أن نبدو الليلة كأقذر ما تكون عصابة من القتلة اجتازت شوارع باريس ·

أطاع الرجال الاربعة الأمر ·· فأحضر اللورد انتونى ديوهرست ، الذى كان معروفا فى مجتمع لندن بأنه من أشد الرجال أناقة ، من دولاب كومة من الثياب البالية القذرة ولكنها كانت ناقصة · وما هى الا عشر دقائق حتى حدث التغيير ، ووقف أربعة أشباح فى ثياب مهلهلة تعلوها الاوساخ أمام رئيسهم ·

قال السير برسى :

ـ حسن جدا ! والآن لم تبق الا الآنسة دي مارني

ما كاد يتكلم ، حتى فتح باب الغرفة المجـــاورة ورأوا منظرا شـــنيعا ٠٠ امرأة ترتدى صديريا وجـونلة تعلوهما الاقذار ووجهها ملطخ بالاوساخ ، وشـعرها الاصفر المختلط بالدهن قد دفع تحت قبعة قذرة مهشمة ٠

قوبل ظهور جوليت بصيحة تهليل تحييها ٠ وقد شعرت الآن أنهـــا ستلعب دورا هاما فدبت فيهـــا روح النشاط والحيوية ٠ لقد أدركت أن أصدقاء نبلاء يضحون بحياتهم من أجل الرجـل الذى أحبته ومن أجلهـــا ٠ ولم تكن تفكر في نفسها ٠٠ وتذكرت فقط أن حضور ذهنها ، وقواها الجسمية والعقلية لازمة لانجاح الخطط التي وضعها هؤلاء الرجال ٠ وكانت نظرة واحدة الى تنكرها المتقن كافية لأن تؤكد للزعيـم أن أوامره نفذت بحذافيرها ٠

وقف الرجال الاربعة مع جوليت عندما كان السيربرسى يلقي اليهم بأوامره الاخيرة ٠

قال :

ـ سنختلط بالجموع ٠٠ ونفعل مثلما يفعلون٠٠ ولكن علينا أن نتأكد من أنهم سيعملون وفـق ما نبغى ٠ يا آنسة دى مارنى ٠٠ ان تنكرك تام ٠٠ وانى أرجوك أن تمسكى بيد صديقي ديروليد ، وألا تدعيها تفلت من يدك لأى سبب كان٠

واستطرد باسما :

ـ ولا أظن ان ذلك عمل شـــاق ٠ وعملك ياديروليد

بسيط بالمنل ·· فأنا اضع الآنسة جوليت تحت رعايتك ·· ويجب عليـــك الا تتركها بأى حال من الاحوال حتى تغادر باريس ·

فتنهد ديروليد في لهف :

ـ نغادر باريس !

فأجاب السير برسى في شجاعة :

ـ نعم ·· نغادر باريس تتعقبنا جمـــوع صاخبة من الغوغاء ·· وتذكروا قبل كل شيء أيها الاصدقاء أن نداءنا هو صرخة طائر النورس البحرى تكرر ثلاث مرات ·· فاتبعوهـا حتى تصبحوا خارج بوابات باريس ·· ومن هنـاك انصتوا اليها مرة أخرى ·· فانها ستقودكم أخيرا الى الحرية والأمن · نعم ! خارج باريس باذن الله ! والآن دعونا نذهب ·

وأخيرا قال بلاكني :

ـ لا بد أن ذلك الحمار سانتير يخبر الجموع الآن أنه قد غرر بهم ·· وسوف يزحفون الى سجن تمبل ليعثروا على فريستهم ·· وسنتبعهم الى هناك ·· فهلموا أيها الاصدقاء·· وتذكروا صرخة الطير البحرى ·

وأمسك ديروليد بيد جوليت وقال :

ـ نحن مستعدون ·

وخرج الرجال الخمسة ، تتوسطهم جوليت ، الى الشارع مرة أخرى ·

الفصل الثامن والعشرون

الأب لاشيز

لم يكن من الصعب التكهن بأى الطرق قد سلكته الجموع ، فقد كان الصياح مسموعا من الجانب الآخر للنهر ٠

وقد أخفق المواطن سانتير فى صد الجموع حتى وصل الجنود من التكنات ٠ وبعد خمس دقائق من رحيل ديروليه وجوليت بعيدا ، اخترق الغوغاء نطاق الجنود ، ليجدو العربة خالية والفريسة قد اختفت ٠

صاح سانتير صيحة انتصار ووحشية :

ـ انهما آمنان الآن فى سجن تمبل !

وفى بادىء الأمر بدا كأن غضب الجموع ، الذين خدعوا وحيل بينهم وبين الانتقام ، قد استحال ضد الحكمدار وجنوده ، حتى ان وجنات سانتير الحمراء قد بهتت لهذا الخطر غير المنتظر ٠ ثم ارتفع صوت مفاجىء يقول :

ـ الى تمبل !

فوجد الصوت استجابة له :

ـ الى تمبل ! ٠٠ الى تمبل !

وتلقفت الجموع هذه الصيحة ٠٠ وفى أقل من دقيقتين خلا المكان المجاور لقاعة العدالة ٠٠ بينما الشعب يصرخ ويلعن الخونة وأخذ يزحف على الضفة الشمالية للنهر صوب السجن ٠

أما السير برسى بلاكنى وأتباعه الخمسة قد وجدوا في طريقهم من خان بروجار ، أن القنطرة والشوارع المجاورة كانت خالية الا من نفر ضئيل من الجموع قد فترت حماسته بفعل الامطار .. فعادوا الى منازلهم فى تعاسة . ولذا فان الجماعة الصغيرة المهلهلة كان الانتباه اليها قليلا أو معدوما.. وهاهو ذا السير برسى يسأل فى جرأة كل عابر سبيل السؤال الآتى مرة أو اثنتين :

ـ أين الطريق الى سجن تمبل أيها المواطن ؟

أو يسأل قائلا :

ـ هل شنقوا الخائنين ؟ أتستطيعين أن تخبرينى أيتها المواطنة ؟

كانت الاجابة المعتادة زئيرا أو لعنة .. ولكن أحدا لم يحفل كثيرا بأمرهم .

واستدار بلاكنى فجأة الى تابعيه عند ناصية تقاطع الطرق المؤدى الى الشارع الذى يقع فيه سجن تمبل ، وقال هامسا وهو يتحدث بالانجليزية :

ـ لقد اقتربنا .. ويجب أن تندسوا فى غمار الحشد بأسرع ما يمكنكم .. وسنتقابل ثانية خارج السجن وتذكروا صرخة طائر النورس البحرى .

ولم ينتظر الاجابة ، وسرعان ما اختفى وسط الضباب .

وكان الصياح يسمع بوضوح .. وبدأ عدد الناس

يتزايد تدريجيا في الشارع • وكان من الواضح أن الجموع قد احتشدت في الميدان الكبير خارج السجن وهم يطالبون بأعلى أصواتهم أن يسلموهم مثار غضبهم لينتقموا لأنفسهم •

وحانت لحظة العمل الهادىء •• فزهرة كزبرة الثعلب القرمزية قد دبر الخطة كاملة ، غير أنه كان على اتباعه ، وعلى الذين يحاول انقاذهم من موت معين ، أن يعاونوه قلبا وروحا •

أمسك ديروليد بيد جوليت وهمس اليها قائلا :

ـ أخائفة انت ياحبيبتي ؟

فتمتمت تجيبه :

ـ كلا مادمت قريبا مني •

وما مرت بضع دقائق أخرى حتى اندسوا في غمرة الزحام • وكان الرجال الثلاثة الانجليز •• السير أندرو فوالكس ، ولورد أنتوني ديوهرست ، ولورد هاستنجس في المقدمة ، وكان ديروليد وجوليت خلفهم مباشرة • وقد حملتهم الجموع ، المبللة بماء المطر والثملة بالبراندى والغضب ، بعيدا • وكان كل واحد يصيح ، ولا سيما النساء حيث كانت صيحاتهن أعلى من الباقين •• وقد أمسكت احداهن بحبل طويل كانت تأمل ان ينتفع به •

ـ الينا بالخائنين ! لنشنقهما !•• لنشنقهما ! الشنق للخائنين !

وكان ديروليد ممسكا بيد جوليت ويصيح معهم :

ـ لنشنقهما ! الشنق للخائنين !

واستدار السير آندرو فولكس تجاههما وضحك .. فقد كان الأمر لعبا ولهوا بالنسبة لهؤلاء الشبان . لقد اندفعوا يشقون طريقهم بالمناكب وهم يتبعون الجموع ويستحثون ويشجعون من حولهم ، في حين كانوا يسبون ويصيحون بأصوات تفوق غيرهم .. أفليست هذه الجموع تقدم لهم أملهم الأكبر في الأمان ؟ وكان البحث عن السجينين وسط ذلك الحشد الهائل المتحرك كالبحث عن ابرة وسط كومة من التبن .

احتشد الناس في الساحة الفضاء الكائنة أمام سجن التمبل كأنهم في يوم الحشر . وكان الظلام حالكا هناك ، وكانت المصابيح القليلة المثبتة في البوابة الكبيرة وجدران السجن لا تلقي على الميدان سوى ضوء باهت ضئيل . ولما وصلت العصابة الصغيرة المكونة من الرجال الانجليز الثلاثة، وديروليد ، ممسكا بيد جوليت ، الى الفضاء المكشوف حتى سمعوا صرخة تشبه صرخة طائر النورس البحري تتردد ثلاث مرات ، ثم أعقبها صوت أجش يصيح من أعماق الظلام :

ـ يا الهي ! انني لا أعتقد أن السجينين في سجن تمبل الآن ! وفي اعتقادي أيها الاصدقاء أننا خدعنا مرة أخرى !

كان الصوت صوت المواطن لنوار بلهجته الشمالية وقد انبعث عاليا فوق الضوضاء التي تصم الآذان . وقوبل اقتراحه

بصيحات غضب عارم وتقدم الحشد الهائل مهاجما السجن الضخم المتـــجهم ‥ وهم يتدافعون ويصيحون وقد تعالت صرخات النساء ولعنـــات الرجال ‥ وبدا أن أحداث ذلك اليوم العظيم ـ ١٤ يوليو منذ خمس ســنوات توشــك أن تتكرر ‥ وسيشارك سجن التمبل مصير سجن الباستيل ٠

واطاعة لأمر زعيمهم ظل الشبان الانجليز الثلاثة وسط الجموع ‥ وقد استطاعوا مع ديروليد أن يكونوا جدارا قويا حول جوليت لحمـــايتها ‥ وكانوا يســـمعون صرخة طائر النورس البحرى قادمة اليهـــم من جهـــة اليمين بين الفينة والاخرى فيمدهم ذلك بالقوة والشجاعة ٠

وكانت مقدمة الجموع قـــد وصلت الى بوابات السجن وكانوا يطالبون بظهور حاكم السجن ، ولكن لم يسفر ذلك عن تحقيـــق مآربهم ، وظلت البـــوابات الضخمة بقضبانها القوية ومفصلاتها المتينة على صمتها وتحديها ٠

ثم سمع الصوت مرة أخرى :

ـ يا الهى ‥ ان السجينين ليســـا في التمبل ! فقد ســـمح لهم الحمقى بالهرب ‥ وهم يخشون ذكر الحقيقة لنا ‥ وهم في خوف من الخروج ومقابلة غضب الشعب وجها لوجه !

ومن العجيب أن الجموع قـــد تلقفت الفكرة الجديدة بسهولة ويسر ‥ وسرت الكلمة بينهم بسرعة مذهلة :

ـ لقد هرب السجينان ! فهل سمعتم هذا ؟ لقد هرب السجينان !

وكان البعض منهم قد شرعوا ينفـــذون فكرتهم الاولى بمهاجمة سجن التمبل ولكنهم لم يكونوا كثيرين ٠

ان المبنى المظلم المتجهم العــــابس كان يرتدى رداء من القوة والمنعة ٠٠ هــــذا بالاضافة الى أن الباستيل قد هوجم نهارا منذ خمس سنوات ٠٠ فلا ريب ان ما سيبذل من جهد فى هذا السبيل سيضيع سدى فى ليــلة يسودها مثل هذا الظلام الدامس حيث يتعذر على الانســـان أن يتبين يد الآخر أمام عينيه ، والمطر غزير يهرأ العظام ٠

صاح صوت وسط الظلام :

ـ ربما يكونان قد مرا من أحد حدود باريس الآن !

فجاء الصدى اشبه بصدى قطيع من الأغنام :

ـ الى الحدود ! ٠٠ الى الحدود !

فأمسكت جماعة الاصدقاء بأيدى بعضهم بشدة ٠٠ وقد فهموا أخيرا قول زهرة كزبرة الثعلب القرمزية :

ـ يجب أن نتأكد من أن الجموع تفعل ما نبغيه ٠

انه يريد أن تأخذه الجمـــــوع مع اصدقائه الى خارج باريس ٠٠ وبدا أنه على وشك النجاح ٠

كان قلب جوليت يدق بعنف وانقبضت يدهـــا الصغيرة بشدة على أصابع ديروليد وهى منفعلة ٠

ـ الى الحدود ! ٠٠ الى الحدود !

وبدءوا ينتشرون فى جميع الاتجاهات ٠٠ كقطيع من الجياد ألهبها الرعاة بالسياط ٠ وبغير أن يعرفوا ما يريدون ،

ولا ماذا سيجدون ، وقد نسوا تقريبا سر وموضوع غضبهم، اندفعـــوا في كتلة واحدة نحو أبواب المدينــــة التي كانوا يعتقدون أن السجينين قد هربا منها •

أما الرجال الثلاثة الانجليز وديروليد وجوليت وسطهم في حمايتهم ، فلم ينضموا الى السيل المندفع بعد •• اذ كانت الجموع المحتشدة في الميــــدان أمام السجن لا تزال جموعا زاخرة ، بينما كانت الشوارع المتفرعة من ذلك الميدان ضيقة جدا •• وما لبثت الحشود أن اندفعت فيها في عجلة وتهور كتيار من الآدميين صوب الحـــدود •• وهرولوا مسرعين •• مما أدى الى ســـــقوط بعضهم فوق بعض •• ودفع الضعفاء جانبا •• في حين ديس الآخرون بالأقدام •• ولكنهم كانوا على استعداد للنهوض ثانية مهما كان عدد السقطات ، اذ كان الطين لينا والذين يدوسون الآخرين أقدامهم عارية بلا أحذية•

واندفعوا من الميدان العـــارى المظلم الى الشوارع الأشد ظلمة •• واستمروا في عدوهم •• الى الامام !•• الى الامام!• البعض شـــــمالا ، والبعض جنـــوبا ، والبعض شرقا وآخرون غربا •

ولكن صوت صرخة طائر النـــورس البحرى جاء من الشرق •

ولهذا عدا ديروليد وأصدقاؤه في جراة نحو الشرق •• وساروا في شارع الجمهورية مسترشدين بنداء زعيمهم •• وكان الزحام شديدا هناك • ولم تكن حدود منيلمونتان بعيدة

عنهم .. وهى أقرب بوابة الى سجن تمبل .. وتقع خلفها مدافن الاب لاشيز .

وبعد ربع ساعة وصلوا الى منيلموتنان .

وكانت تحرس بوابات المدينة الكبيرة جاعات من الحرس الوطنى .. كل منها تحت امرة أحد الضباط . وكان عدد كل جماعة لا يزيد عن العشرين من الرجال الاشداء .. ولكن ماذا يفعل هؤلاء أمام جحافل الشعب .

كان عدد الغوغاء عند كل بوابة ناحية الشمال والشرق من المدينة يربو على الاربعة أو الخمسة آلاف شخص لا يعرفون لماذا تجمعوا .. وقد نسى كل منهم السبب الذى جعله يندفع كالاعمى وبهذا الجنون صوب أقرب الحدود . ولكن كل واحد وواحدة يعرف أنه اراد أن يتجاوز الحدود ليهاجم الجنود الذين يقفون فى طريقهم .. وان يطرح رئيس الحراس أرضا . وبصرخة وحشية هوجمت كل بوابات المدينة .. وانقض الشعب كموجة هائلة ، فى تلك الليلة الخالدة من ليالى فركتيدور ، على صف الجنود الذين حاولوا عبثا صدهم .

كان رجال الحرس الوطنى لا حول لهم ولا قوة ، وأبدى الضباط مقاومة ضعيفة .. أما الطلقات النارية القليلة فلم تؤذ الا القليل فى الظلام . والهبت غضب الجماهير .. وفى مدى نصف ساعة كان سكان باريس خارج بواباتها . وكان النصر التام حليفهم بعد أن استسلم الضباط . وشقت الجموع القوية طريقها وحققت غرضها .

ولكن رذاذ المطر قد تحـول الآن الى مطر غزير يتخلله قصـــف الرعد ووميض البرق •• ومـــع النصر جاء الاعياء والاجسام المتعبة والجلود المبتلة والاقـدام الملطخة بالوحل ، والحناجر التى جفت من الصراخ المتواصل •

وفى خارج بوابة منيلمونتان عند بقعة مكتظة بالجموع كانت تمتد أمام الحشود المتعبة الثائرة مقـابر الأب لاشيز مظلمة موحشة مهجورة بشوارعها التى تحف بها أشجار الارز والأضرحة والنصب التـذكارية الحزينة •• وبدا كأن جلال سكون مدينة الاموات يعبس من حدة انفعال وغضب البشرية• كما بدا كأن وميض البرق يكشف عن مواكب اشباح أبطال فرنسا الذين ماتوا منذ زمن بعيد وهى تتجول فى هدوء بين المقابر •

استدارت الجموع وهى ترتجف مبتعدة عن هذا المقـــر الفسيح للسلام الأبدى •

ومن وسط المقابر ارتفع صوت طائر النورس البحرى ينادى أليفه ، فانفصل خمســـة اشباح عن الجموع ونفذوا فى هدوء الى مقابر الأب لاشيز من ثغرة فى الحائط بجوار المدخل الرئيسى •

وارتفعت صيحة طائر النورس البحرى مرة أخرى •

كان السكون يخيم على المكان داخـــل البوابات • ان الأرض اللينة المبتلة أضاعت صدى وقع أقدام الأشباح الخمسة وهم يلبون النداء الذى سيقودهم الى الحرية •

الفصل التاسع والعشرون

خاتمة

لم يبق الا القليل لتسجيله .

حدثنا التاريخ كيف عـادت جموع شـعب باريس الى منازلهم متعبة مبتلة قبل أن تحيى صيحة الديك الأولى أشعة الفجر الباهتة في القرى الواقعة خلف البوابات .

ولكن قبل ذلك بمدة طويلة .. بل قبل أن تقرع نواقيس المدينة العظيمة مؤذنة بانتصاف الليل .. وصل السير برسى بلاكنى واصدقاؤه ، كستة أشباح صامتة ، الى الخان المجاور لأقصى بوابة من بوابات الأب لاشيز . وقد استطاع الذهب أن يشترى صمت صاحب ذلك الخان المنعزل وتمنياته الطيبة .

وكانت هناك مركبة سفر ضخمة تجرها أربعة جيـاد أصيلة تنتظر على أهبة الاستعداد منذ نصف ساعة مضت . وكانت العجوز بترونيل تنظر من خلال احدى نوافذ المركبة وقد انهالت الدموع على وجهها .

وافلتت من ديروليد وجوليت صيحة فرح ودهشة ثم استدارا كلاهما ليعربا عن امتنانهما للرجل الذى وضع هذه الخطة ونفذ هذه المغامرة الجريئة .

قال السير برسى موجهـا حديثه الى ديروليد بصـفة خاصة :

ـ يا صديقى .. لو انك عرفت كم كان كل شىء سهلا ميسورا ! ان المـال يفعل الكثير ومن حسن الحظ انى امتلك

كمية ضخمة منه . لقد حدثتني بنفسك عن موقف العجوز بترونيل . وقد وعدتها بمهابة وخشوع أنها ستقابل سيدتها الصغيرة هنا وبذا أقنعتها بمغادرة باريس . لقد جاءت الى هنا في شجاعة نامة في احدى عربات السوق .. ومن الواضح أنها سيدة من عامة الشعب لايرتاب أحد فيهما . وأما عن صاحب هذا الخان وزوجته فقد دفعت لهما مبلغا محترما .. وسرعان ما استطعت بالمال أن احصل على مركبة وجياد . ان أصدقائي الانجليز وأنا نملك جوازات سفرنا ، كما نملك جوازا للآنسة جوليت التي يجب أن تسافر كسيدة انجليزية مع مربيتها العجوز بترونيل . وتنتظرنا في الخان ملابس لائقة .. وأمامنا ربع ساعة لنرتديها ثم نبدأ رحلتنا .. وبالطبع تستطيع استعمال جواز سفرك الخاص . ان اعتقالك كان مفاجئا حتى ان أنباءه لم تتجاوز باريس .. ونحن نتقدم اعداءنا بمسيرة ثماني ساعات .. وسوف يستيقظون في الصباح ليجدوا أنك قد افلت من أيديهم .

كان الوقت ثمينا بالطبع .

وفي مدى ربع ساعة خلعت العصابة الصغيرة أسمالها البالية وظهرت مرتدية ملابس مواطنين محترمين .. فارتدى السير برسي الملابس الرسمية لموذي أسرة انجليزية عريقة .. في حين ارتدى اللورد أنتوني ديوهرست ملابس خادم انجليزي .

وبعد خمس دقائق حمل ديروليد جوليت الى داخل

المركبة .. وبرغم التعب والقلق والانفعال كانت سعادته لا حد لها وهو يشعر بذراعها تحيط بكتفيه فى فرح وثقة .

وانضم اليهما السير اندرو فولكس ولورد هستنجس .
وجلس اللورد أنتونى بجانب سير برسى فى مقعد الحوذى .

وبينما كانت جموع شعب باريس تتساءل مندهشة لماذا هاجمت بوابات المدينة . كانت المركبة تقل السجينين الهاربين وتنهب بهما الارض خلال طرقات فرنسا فى طريقها شمالا الى الميناء .

كانوا يتقدمون أعداءهم بثمانى ساعات .. وقد أتمت عصبة زهرة كزبرة الثعلب القرمزية عملها على خير وجه .. فكانوا مزودين بجوازات السفر .. وكانت تنتظرهم جياد أخرى فى كل محطة تبعد حوالى الخمسين ميلا عن الأخرى .. ولو ان الرحلة كانت شاقة ، الا أنها تمت دون حوادث خطيرة .

وعندما وصلوا الى الهافر صعدوا الى يخت السير برسى بلاكنى « حلم اليقظة » وهناك قابلا مدام ديروليد وآن مى .
وكانت المرأتان قد نفذتا تعليمات السير برسى فواصلتا رحلتهما شمالا الى الميناء البحرى كما كان ذلك معدا لهما من قبل .

كان لقاء آن مى وجوليت مؤثرا . .فقد كانت آن تعتقد ان جوليت ماتت وان بول يعانى مرارة اليأس ، وقد تألمت نفسها الرقيقة عندما تذكرت أن غيرتها دفعتها الى تسديد طعنة نجلاء الى قلب الرجل الذى أحبته . وعندما التقت

نظرة واحدة على وجه بول ديروليد تبينت أنه صفح عنها ولم يخالط فرحها أية مرارة وهى تراه سعيدا بجانب حبيبته ٠

***

كان ذلك فى فجر يوم جميل من الأيام الأخيرة لشهر فركتنيدور الخالد ، عندما كانت جوليت وديروليد يقفان جنبا الى جنب فوق ظهر اليخت « حلم اليقظة » وشاهدا شواطيء فرنسا تختفى رويدا رويدا عن أعينهما ٠٠ وكانت تلك أول مرة يختليان فيها ببعضهما وأول مرة استحال فيها كل تفكير فى الخطر الى مجرد حلم ٠

ترى ماذا يخبيء لهما المســـتقبل فى الأرض التى كان اليخت الرشيق يسرع فى حملهما اليها ؟

تطلعا تجاه الشمال حيث صـــخور انجلترا البيضـاء مازالت متوارية بين ذراعى الأفق بينما كان الضباب يلف فى احضانه شواطيء البلاد التي تعذبا فيها ٠٠ وتعلمـا فيهـــا أن يحبا ٠

لقد أخذها بين ذراعيه وهمس قائلا :

ــ زوجتى !

ومس الضوء الوردى شعرها الذهبى ؛ ورفع وجهها الى وجهه ، وتقابلت روحاهما فى قبلة حارة طويلة ٠

- **قصص فائزة**
  تأليف غنيم محمد غنيم

- **تاريخ الاشتراكية البريطانية "جزءان"**
  ترجمة فؤاد أندراوس

- **العلم ومشكلات الإنسان**
  تأليف يوسف مصطفى الحاروني

- **عيون إلزا**
  تأليف أراجون
  ترجمة فؤاد حداد

- **أفريقيا الجنوبية الغربية**
  ترجمة عبد السلام شحاته

- **الاستعمار الجديد**
  ترجمة أحمد فؤاد بلبع

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

روائع مجلة
الابتسامة
من الكتب
المعالجة
والصفحات الفردية